


أسرار عمليات المخابرات الإسرائيلية وصراع القنبلة الذرية
عادل حموده
الموساد
واغتيال المشد

الموساد واغتيال المشد

عادل حمودة

الطبعة الأولى ديسمبر ١٩٨٩

الطبعة الثانية يناير ١٩٩٠

الطبعة الثالثة يناير ١٩٩٠

دار سفنكس للطباعة والنشر والتوزيع
٧٦٠٢٨٥ ـ ٧٥٣٤٠٦ ـ ٣٩٢٨٥٦٩

دعـــوة

هذه الدار

هى دار نشر حرة تعتبر ملتقى لكافة الكتاب المصريين والعرب من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية والقومية .

وهى تدعوهم جميعا لكى تنشر آرائهم وأفكارهم وميولهم واتجاهاتهم الفكرية المتباينة دون حظر أو إضافة أو تعقيب .

وهذه الدار مستقلة تماما لا يقودها تيار محدد وإنما يحدوها الأمل فى أن تكون مركز إشعاع فكرى مستنير ومؤثر لخدمة وطننا وعالمنا العربى الحبيب .

« الناشر »

□ المحتويـــــات □

□ □ □

□ قبل أن تقرأ □

كنت فى باريس وهى تقتل عالم ذرة .. يحمل وجه طفل .. وقلب شاعر .. وعقل عبقرى .. هو الدكتور **يحيى المشد** .

تركته مدينة النور والذوق يموت ميتة بربرية .. غارقا فى دمه .. وحيدا فى غرفته وغربته .. عاجزا عن الاستغاثة .

كان يحمل فى يده أكياس بلاستيك فيها هدايا صغيرة لأسرته .. ساعة يد لابنه .. فستان حرير لزوجته .. جوارب نايلون لابنته .. لكن .. هذه الاشياء البسيطة لم تصل إلى أصحابها إلا وعليها بقع من دمه وعرقه .. وبقايا أنفاسه الأخيرة .

لم أكن أعرفه .. ولا سمعت عنه من قبل .. إلا أننى تساءلت : كيف يموت بلا مقابل .. وبلا رحمة ، رجل فى الأربعين من عمره .. وهبه الله العلم والمستقبل .. ومات كما يموت بلطجى فى كباريه ؟

أحسست بأن لهذه المدينة وجها آخر .. يتفجر شررا وقبحا .. ويجعلها تطلق الرصاص لا القبلات .. وتنشر رائحة الدم لا العطر .. وتحمل الخناجر لا عقود الفل .

وبدلا من البحث عن **سارتر وفان جوخ** وسر لهفة الفاتنة العجوز **بريجيت باردو** على حماية الحيوانات والدفاع عن حقوقها ، رحت أبحث عن اسباب اغتيال عالم ذرة نابغة ، كانت حياته أرخص من حياة قط سيامى مدلل .

وأعترف بأننى ــ رغم جهود مرهقة ــ عجزت .

وأعترف بأننى ــ رغم مساعدات صادقة من زملاء وأصدقاء احترفوا مهنة المتاعب ومارسوها ببراعة فى صحيفة الموند ــ لم أتوصل إلى الكثير .

ولم أحاول الاقتراب من السفارة المصرية هناك .. ليس فقط بحكم العادة .. وإنما لأنني أعرف مسبقا كيف يتصرف الدبلوماسيون فى مثل هذه الامور .. إنهم يبتسمون .. ينحنون .. يتكلمون ثلاث لغات فى جملة واحدة .. ثابتة .. معناها .. الموت علينا حق .. ومن لم يقتل فى باريس ، قتل فى هونج كونج .

ثم .. إنهم بالقطع سيتحدثون عن مصلحة الوطن العليا .. والوطن هو الحاكم .. والحاكم كان **أنور السادات** .. و**أنور السادات** كان فى مرحلة جنون العظمة .. يرتدى ثياب **هتلر** ويتصرف كمهرج فى سيرك ولا يعرف الفرق بين **يحيى المشد** و**مناحم بيجن** .. ويخشى أن يخدش روح **كامب ديفيد** التى كان يخاف عليها من النسيم العليل .

ومن باريس سافرت إلى لندن .

ولندن عقل العالم .. عاصمة الأسرار المفضوحة .. تعرف فيها عن بعد مالا تعرفه فى غيرها عن قرب .. فالحرية فى تلك المدينة عادة صباحية .. والمعلومات — مثل الهواء — لا يمكن العيش بدونها .

وفى أرشيف كبريات الصحف البريطانية ، وجدت ما يجعلنى لا أتردد فى اقتحام الموضوع ... ومواصلة التحرى .

وفى المكتبات وجدت ثروة من الكتب التى لابد من الحصول عليها .. عن القنبلة الذرية الإسرائيلية .. والصراع النووى العربى — الإسرائيلى .. وعمليات الموساد فى هذا المجال .

وقبل أن أعود إلى القاهرة ، كان فى لندن أصدقاء عرب ، تعهدوا بإرسال كل جديد يصدر من الكتب والأبحاث التى أحتاجها .. وقد وفوا بما وعدوا .

حتى عندما كنت أعود إلى لندن لم يتخلوا عنى .. فقد كانوا يشفقون علىّ من مشقة ما أبحث عنه .. ووصل إشفاقهم إلى الذروة عندما رفض بعضهم الحصول على ثمن كتب اشتراها لحسابى .. فقد أحسوا أن طموحى أكبر من نقودى .. ومن شدة رقتهم ، غلفوا ما فعلوا بعبارات مجاملة ، تمنحنى دورا يتجاوز ما أعتقد .

فى القاهرة لا أحد كان يعلم .. ولا أحد يريد أن يعلم .. فالقاتل كان من حقه دخول بلادنا بتأشيرة عليها خاتم السفارة المصرية فى تل أبيب .

وبعد مرور سنة ، تقريبا على الحادث ، كنت فى مدينة تجمع بين السياحة والسياسة .. هى شرم الشيخ .. جنوب سيناء .. لمتابعة لقاء — نصف نهار — بين **أنور السادات ومناحم بيجن** .. كان كل ما على المراسلين ومصورى التليفزيون أن يجلسوا على الشاطىء الساحر .. يدخنون .. يعبثون بالرمال .. يتسكعون فى انتظار عبارات باردة .. جوفاء .. وكاذبة اسمها البيان الختامى المشترك .. الذى جاء — كما توقعنا — فاترا .. فقد كانت نجومية **السادات** .. تهوى ..

لكن .. بعد ساعات .. أغارت إسرائيل على المفاعل النووى العراقى .. فكان أن أصبح لهذا اللقاء معنى .. وكان أن سعيت إلى معرفة ما جرى فيه .. وكان أن وضعت مذكرات عنه فى ملف كان على مكتبى يحمل عنوان « **قضية الدكتور المشد** » .. والحق أن هذا الملف ، كان حتى ذلك الوقت .. نحيفا ..

ثم .. تضخم الملف أكثر .. بأوراق المفاعل النووى العراقى .. فالعلاقة قوية بين الحادثين .. وخاصة أن الدكتور **المشد** قُتل وهو يعمل لصالح بغداد .

فى أغسطس ١٩٨١ سافرت إلى فيينا .. عاصمة النمسا .. التى غنت أسمهان عن ليالى الأنس فيها .

لم أسهر هذه الليالى .. لم أرها .. فقد كنت مشغولا .. بالذرة .. ففى فيينا يوجد المقر الدائم لوكالة الطاقة الدولية .. وفى الصيف من كل عام يعقد مؤتمرها السنوى .. وكان مؤتمر ذلك العام يناقش ما جرى للمفاعل العراقى .. فرحت لمتابعة أعماله .. وكان هدفى الحقيقى إضافة ما أستطيع — من أوراق ووثائق وشرائط تسجيل عليها آراء المسئولين عن أعلى سلطة نووية فى العالم — إلى ملف القضية .. الذى من الواضح الآن أنه تجاوز الحدود الجنائية إلى ما هو أرحب وأهم .

لم تغرنى المدينة النمساوية الناعمة .. البريئة ، بالموسيقى التى تعزفها .. ولا بالسياحة التى تجيدها .. ولا بدورها الخفى فى مد أسلاك الاتصالات السرية بين مصر

وإسرائيل .. ولا بالتفتيش عن أسرار محاولة اغتيال **السادات** التى جعلته يعدل عن زيارة فيينا .. وإنما جعلتنى أستهلك أيامى الخاطفة فيها فى التنقل بين قاعة المؤتمر ومكاتب المسئولين عن الوكالة ... ومع أننى استفدت إلا أن الثمن كان غاليا .. التهاب مزمن فى الجهاز الهضمى .. سببه التوتر الحاد .. والطعام الشهى الوحيد الذى كان متاحا فى هذه الظروف .. أصابع الهوت دوجز المعجونة بالتوابل .. وترجمة الهوت دوجز .. الكلاب الساخنة .. لقد عدت إلى القاهرة .. وأمعائى تنبح !

فى يونيو ١٩٨٢ سافرت فى رحلة طويلة إلى الولايات المتحدة .

لم تكن الرحلة بحثا عن الذرة .. لكنها .. كانت بحثا عن البشر والحياة فى دولة عظمى تعاملنا على طريقة « **لعبة الأمم** » .. وتعتبر رجال مخابراتها وجنرالاتها وجواسيسها أفضل خبراء فى « **الزواج المثالى** » بينها وبين العالم الثالث .

لكن ... لأن الموضوع الذى لا يحسمه الصحفى يصبح مثل شوكة فى بطنه .. مثل خنجر فى ضلوعه .. مثل زائدة دودية ملتهبة .. فقد وجدت نفسى أشمشم بأنفى عما أريد فى معهد دراسات الشرق الأوسط ، ومعهد الدراسات السياسية والاستراتيجية ، فى واشنطن ــ العاصمة ــ وقدمت لى مستشارة الرئيس الأمريكى لشئون الإسلام « **سستر كوفى** » نصائح وأبحاثا ، من الإنصاف أن أذكر أنها كانت مفيدة .. وربما أكثر من ذلك .

وبعيدا عن كل تعصب وطنى ، وقومى ، أقول إن الباحثين هم الوجه العاقل فى أمريكا .. لكن .. الكارثة .. أنه لا أحد يسمع صوتهم إلا بعد فوات الأوان ... إن لهم حرية التفكير .. وللمسئولين عن السياسة الخارجية حرية الاشمئناط .. وحرية ارتكاب الحماقات ..

وقد تضاعف اقتناعى بذلك فى لوس انجلوس ، بعد أن زرت مركز أبحاث الأمن والسلاح التابع لجامعة كاليفورنيا ، وحصلت من رئيسه رومان كلوكوفيسكى على مجموعة الأبحاث التى نشرها المركز عن الخيار النووى الإسرائيلى .. وحقيقة التورط الأمريكى فى برنامج القنبلة الذرية الإسرائيلية .. وطبيعة التعاون النووى بين إسرائيل وجنوب إفريقيا .

وقبل أن أعود إلى القاهرة ، كان فى نيويورك من الأصدقاء ، من وعد بموافاتى بالكتب الجديدة التى ستصدر بعد سفرى .. لكن يبدو أن بعد المسافة حرر البعض مما التزم به .. على أن ما أرسله البعض الآخر .. غطى .. وفاض .

باريس .. لندن .. شرم الشيخ .. فيينا .. واشنطن .. لوس أنجلوس .. مشوار طويل استغرق سنوات .. ولست أحاول استعراضه من باب ابتزاز المشاعر .. أو من باب التأثير على القارىء كى يغفر أى تقصير قد يلمسه فى الكتاب .

أبدا ...

فهذا أبعد ما يكون عن تفكيرى .. وعن تفكير أى كاتب يتصور نفسه عاقلا .. فالمهم الكتاب نفسه لا ما وراءه .

لكن ... أقصد من ذلك ــ بجانب المعايشة بين الكاتب والقارىء ــ أكثر من حقيقة :

١ ــ أن مصادر معلوماتنا عن القضايا التى تهمنا لا تتوافر ــ للأسف ــ إلا خارج الحدود دائما .. ومن ثم فإننا آخر من يعلم .

٢ ــ أن جهد الحصول على المعلومات من الخارج يتضاءل ــ مهما كان ــ أمام جهد تنقيتها من شوائب مغرضة ، مقصود أن تصل إلينا ــ على هذا النحو ــ لتعلق بأذهاننا .. ولا تتركها .

٣ ــ أن الذين يعرفون الحقيقة فى بلادنا ، يسيطر عليهم هاجس السرية ... مع أن المطلوب منهم تصحيح ، أو تأكيد أو نفى ما ينشر عنا ويباع فى المكتبات ، وأكشاك التبغ والصحف ، وعلى أرصفة العواصم الغربية .

٤ ــ أن خوفا ما من عقاب غير معروف يشعر به أى شخص ، ولو عادى ، تذهب إليه لتسأله فى أى شىء ، ولو بسيط ، عن حياة إنسان آخر .

وقد واجهنى هذا الخرس ، الممزوج بالقلق وأنا أسأل زملاء وتلاميذ الدكتور **المشد** ــ فى قسم الهندسة النووية بجامعة الإسكندرية ــ عنه .. عن عمله .. وعن حياته .. فقد أحسوا بأنهم على حافة بحر بلا قرار ، تسبح فيه أسماك القرش .. والذين

تجرأوا منهم وقبلوا الكلام .. تحدثوا ـــ فى أفضل الأحوال ـــ بنصف لسان .. وفتحوا عبارات لم يكملوها .. مع أنهم أساتذة وعلماء .. ويعرفون أنه لا حقيقة بدون لسان قوى .. سليم النطق .

ومن ثم ... لم أصدق أن تقبل زوجة الدكتور **المشد** استقبالى .. والحديث معى بصراحة .. قالت من خلالها كل ما عندها .

إنها سيدة شجاعة بطبعها .. كما أنها ـــ بعد مصرع زوجها ـــ لم تعد تخشى إلا الله .. وضميرها .. وقد تعجبت من حماسى للكتابة عن رجل قتل فى مدينة صاخبة لم يتذكره الناس فى بلاده .. وقالت وهى تجاهد فى حبس دموعها .. « الليل له آخر » .

كان ذلك فى الإسكندرية .. آخر مدينة سافرت إليها بحثا عن التفاصيل .. فى الشتاء الماضى .. وقد وجدت نفسى أمام بحرها الأبعد بكثير من مرمى البصر .. والأمواج تتلاطم على سطحه ، وفى رأسى .. لماذا جريت طويلا وراء هذه القضية ؟.. هل الدافع خبطة صحفية أصوغها بدماء الضحية ؟.. هل هو الغيظ الدفين من عدو يصر على إذلالنا ؟ وكل ما نفعله أن نداری شحوبنا بالمكياج وأضواء الكاميرات ، وعناوين الصحف الكاذبة ،.. هل قضية اغتيال **المشد** المدخل لقضية أكبر .. وأخطر .. قضية اغتيالنا جميعا بقنبلة إسرائيل النووية ؟

تكسرت أمواج البحر .. ولم تتكسر أمواج الحيرة فى رأسى .

فى الإسكندرية أيضا ... وعلى بعد أمتار من شاطىء « العجمى » .. مددت اكثر من جسر للحوار مع رجل جرىء .. يُوصف بالأب الروحى لعلماء الذرة فى عالمنا العربى .. وكان على علاقة علمية ، وعائلية مع الدكتور **يحيى المشد** ، هو الدكتور **عصمت زين الدين** .

كانت الشمس قد استدارت ، وتحولت إلى قرص أحمر يمس زرقة البحر وتستعد للنوم فى أحضانه .. وعلى الرمال بقايا ثرثرة ومرح ومشاعر ساخنة تركها أصحابها ولم يسعَ للتخلص منها عمال الشاطىء .

لكن ... هذا المشهد الناعم سرعان ما أصبح خلف ظهرى وأنا أضع كل اهتمامى فى خدمة الدكتور **زين الدين** وهو يمزج ما بين الغضب والأرقام .. وما بين السياسة والذرة .. ولم يقطع تدفقه سوى حرصه على تأدية صلاة المغرب .

وقد ذهبت إليه لأننى أعرف أنه كان أستاذ الدكتور **المشد** ، ومؤسس قسم الهندسة النووية ، وأنه كان من القلائل الذين كلفهم الرئيس الأسبق **جمال عبد الناصر** بوضع برنامج طموح للسلاح النووى .. مع أنه كان معارضا للحكم منذ سنة ١٩٦٨ ... ولا يزال .

وبعد أن تشبعت ... وقبل أن أنصرف ... ألقيت نظرة خاطفة على البحر ... فأحسست بالانقباض ... فقد تحول من الفيروز إلى ثياب الرهبان .. وراحت أمواجه تتكسر على الشاطىء الناعم فى لحن جنائزى حزين .. مخيف .. فكان ان سارعت بالبحث عما تبقى من التفاصيل .

وقد كنت أجمع هذه التفاصيل وكأنها فراشات نادرة .. حرفا حرفا .. كلمة كلمة .. جملة جملة .. وحاولت قدر استطاعتى دعمها بالصور أحيانا .. بالوثائق أحيانا أخرى .. ونسبتها إلى مصادرها دائما .. وليس من الصعب — بعد ما فات — تحديد نوعية هذه المصادر .

ولا شك فى أن هذه المصادر أتاحت لى كميات هائلة من المعلومات ، كان من السهل فرزها وتبويبها فى ثلاثة اتجاهات ، يستقل كل منها بذاته ، لكنه يتلامس ، ويتقاطع ، ويتداخل مع غيره ... فى النهاية .

اتجاه أول : يقودنا إلى حياة بطل الكتاب .. الدكتور **يحيى المشد** .. طفولته .. دراساته .. أبحاثه .. أسرته .. أهميته .. أيامه وساعاته الأخيرة .. ونهايته .. كيف ولماذا قتل ؟.. من قتله ؟ والأدلة الجنائية والسياسية على ذلك !

اتجاه ثان : يلقى بنا فى طريق القنبلة الذرية الإسرائيلية .. من تحمس لها ودافع عنها ؟.. من صممها وكان وراءها ؟.. كيف صنعت بعيدا عن عيون العالم ؟.. ولماذا ؟.. وكم عدد الموجود منها الآن فى « قبو » أو « بدروم » المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ؟

واتجاه ثالث : يفرض علينا الخوض فى مستنقعات المحظور .. والسير فى طريق وعر .. طريق البرامج النووية العربية .. كيف كانت ؟.. كيف ستصبح ؟.. هل هى ضرورة ؟.. لماذا لا تتقدم ؟.. وما المؤامرات التى فجرتها ؟.. ومن الضحايا الذين استشهدوا فى سبيلها ؟

لقد كان حادث اغتيال **المشد** مثل حجر ألقى فى بحر ساكن .. راكد .. ما أن اخترق المياه حتى راحت الدوائر تتسع .. وتتسع .. وتتسع .

ومع أن فرز المعلومات الخاصة بكل اتجاه كان يسيرا .. لا مشاكل فيه .. فإن تشابكها كان أمرا لا مفر منه عند صياغة الكتاب .

فلا يمكن فصل حادث **المشد** عن حادث المفاعل العراقى .

ولا يمكن فصل حادث المفاعل العراقى عن حوادث الرسائل الملغومة التى أرسلتها المخابرات الإسرائيلية للعلماء الألمان فى مصر فى الستينات .

ولا يمكن فصل تلك الحوادث عن إصرار إسرائيل على أن تكون القوة النووية الوحيدة فى الشرق الأوسط .

إنها خيوط غزل مختلفة الألوان .. لكنها .. تدخل فى نسيج واحد .

لذلك ...

سيلحظ القارىء أن فصول الكتاب تعكس هذا النسيج من خلال أسلوب ، يعرف فى عالم السينما بالقطع المتوازى .. وهو أشبه بقضبان السكة الحديدية .. لا تلتقى إلا لتفترق .. ولا تفترق إلا لتلتقى .. مع أنها تبدو متوازية .. متباعدة أحيانا .

وقد ترددت كثيرا فى استخدام هذا الأسلوب .. الذى يؤخر تواصل الحدث قليلا .. ويفتح بابا قبل أن يسد آخر .

وسر ترددى ، كان الخوف من عدم تقبله .. ربما لأنه غير معتاد فى الكتب السياسية .. ومن النادر اللجوء إليه فى الروايات الأدبية .

لكننى ...

حسمت ترددى ، وفضلت استعماله .. مستندا على ظهر صلب ... هو فطنة القارىء وتقبله للجديد دائما .

وبعد أن انتهيت من الكتابة على هذا النحو سعيت إلى اختبار التجربة بنشر الكتاب على حلقات فى مجلة روز اليوسف القاهرية وصحيفة الأنباء الكويتية ... خلال شهرى يونيو ويوليو الماضيين ... وأحمد الله على أن ظنى لم يخب .

أيضا ...

تراوح رد الفعل بين الحماس لإنصاف عالم لم يمش سوى أسرته فى جنازته .. والتأييد لكل من يمسح التراب عن الذاكرة القومية ولا يكف عن ترديد .. أن إسرائيل لاتزال عدوا .. وأنها لن تقبلنا على سطح الحياة فى الشرق الأوسط إلا راكعين .. أذلاء .. ضعفاء .. ومتخلفين .

لقد انقلبت الآية ... تماما .

كانت إسرائيل تحلم بالوجود .. ثم أصبحت تتمنى أن تحظى بالاعتراف .. ثم .. ها هى تحدد من يكون .. ومن لا يكون .

وما أسعدنى أكثر ... أن الأجيال الصغيرة .. الشابة هى التى كانت الأسرع والأشد فهما لذلك .

وقد فرحوا بأن تنجب مصر نجوما فى العلم أيضا ... لا فى الفن فقط .. وفرحت مثلهم .. لأن الناس تعاملت مع ما كتبت ، وما نشرت عن د . **المشد** ، معاملة نجوم السينما والكرة واستعراضات التليفزيون .. وقد تعمدت ذلك ... فالصور التى حصلت عليها من أسرته وأصدقائه ، أفرطت فى نشرها .. صوره فى مراحل العمل المختلفة .. من الطفولة إلى الجامعة .. ومن أيام البعثة فى موسكو إلى أيام العمل فى المفاعلات النووية .. ومن زمن الشباب إلى زمن الأسرة .. وبعض الصور كان جادا ... فى مؤتمرات الذرة الدولية .. فى هيئة الطاقة النووية بأنشاص .. فى زيارات عمل للندن وأوسلو .. والبعض الآخر كان نادرا .. فى النيل يمارس رياضة التجديف .. فى غابات موسكو يلعب الكرة .. فى المطاعم يأكل مع زوجته .

ولو كان الهدف ... إنصاف عالم عبقرى .. أعطى لوطنه الأصغر ، ولوطنه الأكبر أكثر مما أخذ .. فقد نجح الكتاب .

فقبل نشر اجزاء منه فى الصحافة .. كان الدكتور **المشد** غير معروف إلا لجيرانه وتلاميذه وزملائه والمهتمين بالذرة ، وبعض المثقفين ، من مختلف التخصصات .. وكان ذكر اسمه يقترن دائما ـــ من باب التعريف الاجبارى ـــ بعبارة « **عالم الذرة المصرى الذى قُتل فى باريس** » .. فموته ـــ على هذا النحو ـــ كان عنصر شهرته الوحيد .. وأحمد الله ، أن اسمه الآن يُذكر دون إضافة أو تعريف .. يكفى الآن أن نقول د . **يحيى المشد** .. أو د . **المشد** .

ولو كان الهدف ... التحذير من ضياع علماء مصر .. والتخلص منهم بواسطة أجهزة المخابرات السرية ـــ المعادية ، فأحسب أن هذا الهدف قد تحقق هو الآخر .

فقبل أن تنهى « روز اليوسف » الأجزاء التى اتفقت عليها ، وقع حادث عالم الإلكترونيات **سعيد السيد بدير** (ابن الفنان والسيناريست **السيد بدير** من أولى زوجاته) فى حى كامب شيزار بالإسكندرية .. حوالى الساعة السابعة من مساء الخميس ١٣ يوليو ١٩٨٩ ... وكان ذلك اليوم ، أول أيام عيد الاضحى .

قيل إنه انتحر .. ونفت زوجته .. وأصرت على أنه قُتل ... وكان أن سعت اجتهادات صحفية متنوعة للتدليل على أن الموساد تخلصت منه .

وكان أن كثر الحديث عن اغتيال العلماء ... بداية من **سميرة موسى** .. ونهاية **بسعيد بدير** .. وفى تلك الرحلة كان اسم **المشد** حاضرا .. بارزا .

كذلك ...

فإن ما نُشر .. كان أشبه بشباك الصيد .. فقد طرق بابى مَن أضاف الكثير ... معلومات .. ووثائق .

كما أن الذين سبق وتكلموا ، أحسوا بمزيد من الثقة ... فكان أن أباحوا بما أخفوه من قبل .

ولأن الشكر واجب ... فأنا مدين به لعدد كبير من البشر .. لولاهم ما كان

هذا الكتاب .. ومنهم أخص السيدة **زنوبة على الخشخانى** ، زوجة الدكتور **يحيى المشد** ، والدكتور **عصمت زين الدين** ، والصحفى الأمريكى **ستيفن جرين** ، والدكتور **عبد المنعم سعيد** الخبير بمركز الدراسات الاستراتيجية بمؤسسة الأهرام ، والصحفية الفلسطينية **أسماء الأفغانى** ، والأستاذ ــ المترجم **صبحى مشرق** ، والدكتور **رومان كلوكوفيسكى** ، والبروفيسور **سيجفريد آرنيه كلود** ، رئيس وكالة الطاقة الذرية الأسبق .

ونيابة عنهم ... أهدى الكتاب إلى صاحبه ...

إلى الدكتور **يحيى المشد** .

وأحسبهم يرحبون بذلك ... فأنا أعتقد أن تقدير أغلبهم له ، كان الدافع الأول وراء ما قدموه من مساعدة .

عادل حموده

القاهرة ــ مصر الجديدة

الخميس ١٠ أغسطس ١٩٨٩

□ ١ □
عاهرة « ميرذْيان » باريس !

باريس ... عاصمة النور والذوق والعطر والقهوة والريجيم واللوفر وسارتر وساجان والموند وديجول والبارى ماتش وبيير كاردان والسوربون وبرج إيفل وبريجيت باردو وقوس النصر وكلود ليلوش وطائرة الكونكورد وإيف مونتان ... هى نفسها باريس التى اغتيل فيها عالم الذرة المصرى النابغة الدكتور **يحيى أمين المشد** ..

كان ذلك منذ حوالى ٩ سنوات ..

بالتحديد ...

بين الساعة السادسة والنصف والساعة السابعة والربع من مساء يوم الخميس ١٣ يونيو ١٩٨٠ .

كانت السماء تمطر .. والناس تهرع إلى بيوتها وإلى المتاجر والمطاعم والحانات بعد يوم عمل شاق .. جاد .. وإطارات السيارات تطرقع على أرضية الشوارع المبللة .. ورائحة بخار الماء تملأ الخياشيم وتوسعها ، وتذكرها بعطر الندى الطازج ... ومن خلف ستائر هذا الطقس المعتاد صيفا ، بدت الأضواء صفراء ، شاحبة .. مثل أسنان ذهبية عتيقة فى فك امرأة عجوز .. وراحت المدينة التى لا تهدأ تستحم .. تتطهر .. تغسل نفسها من الذنوب ، حتى تتجدد رغبتها فى ارتكاب المزيد منها ، إذا ما أشرقت ـــ بعد ساعات ـــ شمس اليوم التالى .

مشاهد توحى بالعشق لا بالقتل .. بالنبيذ لا بالدم .. بالدفء لا بالغدر .

فى تلك اللحظات ... كنت هناك .

قابعا فى حجرة فندق الذى يطل على الحى اللاتينى ... حيث نهر السين ، ومتحف اللوفر ، وجامعة السوربون ، وكنيسة نوتردام ، وسور الكتب واللوحات القديمة ... وحيث الهيبز الذين استوطنوا الميدان وافترشوا الأرض ، وحولوا الرصيف إلى لوكاندة ، وباعوا أجسادهم مقابل سيجارة « جولواز » وأطلقوا موسيقاهم ورائحة عرقهم علينا ... مجانا .

كانت الصحف العربية المهملة على الفراش تتحدث عن إعلان حالة الطوارىء على حدود مصر الغربية .. ونسبت لمتحدث رسمى أمريكى أن ذلك لا يشكل تهديدا مباشرا ضد ليبيا .. وأبرزت خبر تمويل العقيد **القذافى** للقنبلة النووية الباكستانية بمبلغ ٢٥٠٠ مليون دولار ، بعد اتصالات سرية مع **ذو الفقار على بوتو** .

ولم تشر الصحف إلى زيارة نائب رئيس الوزراء ووزير الاقتصاد والتخطيط المصرى (الأسبق) د . **عبد الرزاق عبد المجيد** لفرنسا لتوقيع عقد مترو الأنفاق مع نظيره الفرنسى مسيو **رينيه مونوريه** .

ولم تشر أيضا إلى وجود د . **المشد** فى باريس .

ولو كانت قد أشارت ، ما كان ذلك لفت نظرى ... فحتى تلك الليلة لم أكن أعرفه .. ولا سمعت عنه .. ولا رأيت ـــ من قبل ـــ صورته .

وهذا قدر العلماء .. لا نعرفهم إلا إذا ماتوا .. ونعرفهم أكثر إذا انتحروا أو قتلوا .. ثم .. إننا نفضل العوالم لا العلماء .. هز « الوسط » .. لا « هرش » المخ .. **بديعة مصابنى** .. لا أول عالمة ذرة فى مصر .. د . **سميرة موسى** .. فتاريخنا يكتب على « واحدة ونص » .

أما التليفزيون فكان يعرض فيلما فرنسيا قديما .. تدور أحداثه فى السيرك .. ويلعب دورا بارزا فيه جميل راتب .

وقبل أن ينتهى الفيلم كانت حياة الدكتور **المشد** قد انتهت .

□ □

جرت المشاهد الأخيرة فى الغرفة رقم ٩٠٤١ فى فندق الميرديان .. ببوليفار جوفيون ـــ سان كير .

الفندق تملكه شركة الخطوط الجوية الفرنسية (**إير فرانس**) .. مبنى على طريقة الفنادق الأمريكية .. حوائط جاهزة .. حادة .. ارتفاع واضح .. تصميم صارم .. مصاعد سريعة .. خاطفة .. مدخل كبير .. واسع يمتلىء بعدد يصعب حصره من مقاعد جلدية وثيرة .. لا تهدأ فيه الحركة .. لا يخفت فيه الصخب .. ولا فرق بين الليل والنهار .. بين الكافتيريا والبار .. بين النزلاء والغرباء .. بين الوجهاء والأشرار .

والفندق على هذا النحو ، يختلف تماما عن الفنادق ذات الطابع الفرنسى عند المستوى نفسه ... حيث يخضع كل شيء للذوق والأصول والهدوء .. طرز المبانى .. نقوش الجدران .. ثياب العاملين .. وأسلوبهم .. وحركتهم .. والمدخل .. والمصعد .. وترتيب الأثاث فى الغرف .

ويفضل الشرقيون فندق **الميرديان** .. وقد نقلوا إلى إدارته الكثير من العيوب .. مثل .. البقشيش الذى يصل إلى حد الرشوة .. والخطأ المتعمد فى فواتير الحساب .. والإهمال الذى لا يختلف كثيرا عن المؤامرة .

والنزلاء هناك خليط من الأثرياء والدبلوماسيين والتجار والصحفيين ورجال الأعمال ونجوم السينما .

وكل شيء فيه مباح .. متاح .. حتى اللغة العربية .. فعندما تبرز النقود ، يتنازل الفرنسيون عن غطرستهم الشهيرة .. ويتحدثون لغة الشيطان ..

ويعمل بعض العرب فى أماكن الفندق الحساسة .. الحجز .. خدمة الغرف .. البار .. والملهى الليلى الذى لا يخلو برنامجه من الرقص والغناء الشرقى ، والاستعراض والاستربتيز الغربى .

ويمكن طلب أطباق « حلال » .. مذبوحة على الشريعة .

وفى الوقت نفسه تتساهل إدارة الفندق مع فتيات المتعة « الحرام » .. وتسمح لهن بالتواجد فى الممرات والكافتيريا والبار والغرف دون خوف إذا كن يعملن تحت إشرافها .. كما أن عاملة التليفون لا تتردد فى خدمة النزلاء .. بإحضار عاهرات بالتليفون من شركات الرقيق الأبيض والأسود ، المتخصصة فى التوصيل « من الباب إلى الباب » .

ولمزيد من السرية فإن الغرف مبطنة بعازل وكاتم للصوت .. أى أنها غرف مناسبة للخطيئة وللجريمة معا .

وقد دخلت هذا الفندق أكثر من مرة .. احتسيت فيه القهوة والثرثرة مع مهاجرين عرب من كافة أرجاء الوطن الأكبر .. تحدثنا فى السياسة .. والخيانة .. والنساء .. والعملة .. والعمالة .. وأسعار صرف الكلمة والرأى فى بورصة الصحافة المهاجرة .

لكننى ...

لم أهتم بجمع هذه المعلومات عن « الميرديان » إلا بعد حادث الدكتور **المشد** .

فمسرح الجريمة جزء منها .

لا يمكن فصله عنها .

ولا يمكن فهمها بدونه .

□□

لا نعرف ما إذا كانت هذه هى المرة الأولى التى ينزل فيها الدكتور **المشد** فى فندق الميرديان أم أنه فى زيارته السابقة لباريس (ديسمبر ـــ ١٩٧٩) أقام فيه ؟[1]

زوجته السيدة **زنوبة** (**زيزى**) **على الخشخاش** قالت لى : إنها « **غير متأكدة** » .. فهى لاتهتم « بمثل هذه الأمور » .. ثم .. « **إن زوجى عاد من رحلته الرسمية الأولى فى باريس سالما فلم أسأله أين كان يبيت ؟** » .

إدارة الفندق قالت فى البداية : **إن د . المشد** « **زبون معتاد** » .. **وإن كان غير** « **شهير** » .. أى انه يأتى فى صمت .. ويذهب فى صمت .. فلم يثر وجوده الانتباه .

---

(١) حصلت على خطاب شخصى أرسله د . **المشد** إلى شقيقه **أحمد** من بغداد بتاريخ ١٩٨٠/٣/١ يعتذر فيه بشدة عن تأخره فى الكتابة إليه ... ويضيف : « **ولكن ياأحمد عذرى أنى انشغلت هنا فى عملى الجديد انشغالا كبيرا كما أنى سافرت لمدة أسبوعين إلى فرنسا لأمور تتعلق بعملى ، وانشغلت قبلها وبعدها كثيرا بهذا السفر** » . وهذه الفقرة تؤكد أنه سافر إلى باريس ، لمدة أسبوعين ، وأن ذلك كان قبل تاريخ الخطاب بشهور ، ولكن ليس فى الخطاب ما يشير إلى الفندق الذى أقام فيه .. انظر صورة الخطاب فى ملحق الصور والوثائق .

لكن ... الكومبيوتر أنكر ذلك .

فقالت الإدارة :

ــ الكومبيوتر أصدق !

وحسب ذاكرة الكومبيوتر التى غذاها جواز السفر فإن المعلومات المؤكدة هى :

الاسم : **يحيى أمين المشد** .

المهنة : دكتور !

محل الميلاد : بنها .

تاريخ الميلاد : ١٩٣٢/١/١١ .

محل الإقامة : الإسكندرية .

الطول : ١٧٠ سنتيمترا .

العينان : عسليتان .

الشعر : أسود .

الأقرباء المقيمون بمصر للرجوع إليهم عند الاقتضاء : **أحمد المشد** (شقيقه) ــ شركة العبوات الدوائية ــ القاهرة .

تاريخ الوصول : ٧ يونيو ١٩٨٠ .

نهاية الإقامة : ١٣ يونيو ١٩٨٠ .. منتصف النهار .

أى قبل ٦ ساعات من اغتياله تقريبا .. لكن .. طلب مد فترة الإقامة فى الفندق ٣ أيام أخرى .. حتى ١٦ يونيو .

وقال مدير الاستقبال :

ــ إن لقب « **المشد** » هو الذى لفت نظره .. فقد عجز عن نطقه ! كان ينطقه « **مسد** » .. وأحيانا « **مصد** » .

وأضاف :

ــ أنه اعتقد أن **المشد** طبيب لا عالم ذرة .. فاسمه مسبوق بكلمة « دكتور » .. لا « بروفيسور » !

وبالرجوع إلى جواز السفر نجد أنه قد كتب فى خانة المهنة : أستاذ بقسم الهندسة النووية بكلية الهندسة ــ جامعة الإسكندرية .

لكن .. ذلك .. كتب باللغة العربية .. ولم يترجم إلى اللغة الإنجليزية .. واكتفى موظف الجوازات بكتابة (**DR**) قبل ترجمة الاسم .

وهكذا ...

التبس ــ على إدارة الفندق ــ الأمر .

لكن ...

كان هناك من يعرف الكثير عن العالم المصرى .. حياته .. أسرته .. أبحاثه .. مهمته فى باريس .. برنامجه اليومى .. تحركاته .. وعاداته .. ومن ثم لم يكن من الصعب الإجهاز على حياته[٢] .

□□

لم يختر د . **المشد** فندق الميرديان .. وإنما اختير له .

كان فى الفندق بمفرده .. مع أنه جاء من بغداد إلى باريس برفقة مهندس عراقى شاب يعمل فى مؤسسة الطاقة الذرية العراقية .. فقد نزل المهندس الشاب ــ طبقا للوائح الوظيفية ــ فى فندق أقل درجتين .. أى فندق ثلاث نجوم .

وفى تواضع .. لم يجد د . **المشد** ما يمنع الانتقال إلى فندق رفيق الرحلة .. لكن .. التعليمات هى التعليمات .. والروتين يجب احترامه مهما كان الثمن .

وهكذا ... بقى د . **المشد** وحيدا فى غابة « الميرديان » .

وهكذا ... أيضا .. سهلت اللوائح البيروقراطية فرصة اغتياله .. وشاركت ــ بنية حسنة ــ فى مؤامرة التخلص منه .

وفيما بعد ... سئل المرافق العراقى الشاب :

س : **هل هناك سبب محدد لاختيار فندق الميرديان ؟**

---

(٢) يلفت النظر هنا أن الدكتور **يحيى المشد** ذهب إلى حتفه عاريا ، مكشوفا ، من أى تغطية من تلك التى تحدث فى مثل هذه الحالة .. مثل تغيير جواز السفر .. أو وجود حراسة .. أو الإقامة فى مكان آمن .. ولاشك فى أن ذلك سهل عملية التخلص منه .. فقد كان أعداؤه يعرفون أهميته أكثر .

ج : كلا .

س : **هل كان د . المشد يفضل النزول فيه ؟**

ج : لا أعتقد .. فهو رجل ليست له مطالب خاصة .. والفندق بالنسبة له مجرد مكان للنوم ، وللراحة ، وللطعام .

وبعد الحادث أيضا ...

وصفت صحيفة الموند .. ميرديان ــ باريس بأنه مثل المقاهى العربية .. أى أنه فوضى .. وملتقى لعينات مختلفة من البشر .. العالم والقواد .. المناضل والنصاب .. السفير والخفير .. البرنسات والمومسات .

□ □

وحسب مانقلته الصحافة الفرنسية عن مصادر الشرطة ... فإن الدكتور **المشد** كان صارما مع نفسه .. شديد الاستقامة .. حريصا فى عمله .. يعطيه معظم وقته .. لا يعرف السهر .. لا يميل إلى المرح .. لا يدخن .. لا يشرب الخمر .. زوج مستقيم .. رب أسرة طيب .. يفضل النوم مبكرا .. متعته الكبرى .. الطعام .. وإن كان لا يتقبل المطبخ الفرنسى بسهولة ..

يوم اغتياله ، عاد إلى الفندق فى حوالى الساعة السادسة والثلث مساء .. كان يحمل فى يده أكياسا من البلاستيك الملونة .. لو كان لنا الحق فى فتحها لوجدنا فيها فستانا وجونلة وساعة يد ماركة جوفيال وجوارب نسائية مصنوعة من النايلون .. لا جدال أنها كانت لزوجته .. وابنته لمياء .

بدا واضحا أن المطر سبب له بعض الإزعاج .. فقد كان يمسح رأسه ــ التى كشف الصلع أغلبها ــ بيده .. كما أنه لم ينتبه إلى ابتسامة فتاة الاستقبال عندما سلمته مفتاح الحجرة وصحيفة ورسالة من عاملة التليفون .. وهرول كعادته فى اتجاه المصعد ..

لم ينتبه أيضا ... إلى أن هناك من سبقه إلى المصعد بمجرد أن رآه يدخل الفندق .

كان هذا الشخص امرأة ..

بدقة أكثر .. امرأة ليل .

اسمها **مارى كلود ماجال** .. عمرها ٣٢ سنة .. ملامحها وثيابها تدل على حرفتها .. المكياج صارخ .. الوجه منهك .. الثوب ممزق .. مشقوق حتى منتصف الفخذين .. الصدر مكشوف .. والصوت والحركات لامرأة علمتها مهنة اصطياد الرجال الكثير .

وهى معروفة بترددها على الفندق .. وعلى النوادى وعلب الليل المجاورة .

وتشتهر باسم « **مارى ــ اكسبريس** » .. ولا نعرف سر التسمية .. وإن كان من السهل استنتاج التفسير .. فإما أنها اكسبريس فى التقاط الزبائن .. أو فى التخلص منهم .

أمام المصعد اقتربت كثيرا من الدكتور **المشد** .. وبصوت فاحت منه رائحة الإغراء .. حيته :

ــ بنسوار ... مسيو .

لم يرد .

كررت المحاولة .

هز رأسه بسرعة .. ثم أدارها فى الاتجاه البعيد عنها .. وانشغل بمتابعة لوحات الإعلان التى تتحدث عن برنامج السهرة فى النايت كلوب .

جاء المصعد .. أفسح لها الطريق .. دخل بعدها .. ركز بصره على صور فوتوغرافية ملونة .. معلقة على جدران المصعد .. أما هى فقد راحت تصلح ثيابها الداخلية فى محاولة مكشوفة لاقتناصه .. وعندما فشلت .. لم يبق أمامها سوى أن تعرض نفسها عليه بصريح العبارة ..

« **إنك جذاب ياسيدى** » .

هكذا ... قالت .

ثم ... أضافت :

« **لاتتردد .. فلن تندم** » .

وأخيرا ... وجدت نفسها تقول :

« **لاتشعرنى بالإهانة** » .

لم يفتح د . **المشد** فمه .. وإن كانت حبات العرق قد انفجرت فى رأسه ، واستقر بعضها على وجهه ... والمؤكد أنه شعر بأنه فى ورطة .. أو فى مصيدة .. لكنه .. بدا عاجزا عن التصرف .. ولم ينقذه سوى وصول المصعد إلى الدور التاسع .. على أنه قبل أن يفلت ، كانت العاهرة قد سارعت بإغلاق الباب ، وضغطت على زر الهبوط .

انفجر غاضبا .. خرج البخار المكتوم .. حاول إيقاف المصعد .. فشل .. هبط المصعد إلى « اللوبى » .. ضغط على زر الدور التاسع .. كان حريصا .. متحفزا هذه المرة .. وصل المصعد .. فتح الباب .. خرج مسرعا .. جرت خلفه .. أمسكت ثيابه .. نزع نفسه منها .. توقفت .. بدت عليها علامات الخوف والحزن معا .

روت **مارى ــ اكسبريس** ذلك كله لرجال الشرطة ، عندما حققوا معها فيما بعد .. فى أول يوليو .. أى بعد أكثر من أسبوعين على الحادث !

وفى صفحة ٢٤٠ من الطبعة الإنجليزية لكتاب « القنبلة الإسلامية »[٣] .. الذى نشر فى الولايات المتحدة ، بعد اغتيال د . **المشد** بأكثر من عام ، يقول المؤلفان **ستيف وايزمن وهربرت كروسنى** :

ــ إن **مارى كلود ماجال** اعترفت بأنها ذهبت إلى عالم الذرة المصرى فى لوبى الفندق ، وتبعته فى المصعد ، وفى طول الممر .. ولكنها ابتسمت عندما قالت للشرطة :

« **إننى لم أذهب إلى غرفته** » .

س : لماذا ؟

جـ : **لأنه لم يستجب لى** .

STEVE WEISSMAN and HERBERT KROSNEY - THE ISLAMIC BOMB - TIMES BOOKS - N.Y. - 1981. (٣)

س : ألم تكتمل المحاولة ؟

جـ : **كلا .. وقد دخل إلى غرفته وحده .**

س : ماذا فعلت بعد ذلك ؟

جـ : **انتظرت فى الممر .**

س : لماذا .. وقد رفضك ؟

جـ : **قلت لنفسى لعله يغير رأيه .**

س : لكنه .. كان متشددا فى الرفض ؟

جـ : **مثلى .. لا يجب أن تستسلم لليأس .**

وفى التحقيقات الأولية روت **مارى كلود** قصة حياتها .. ولاحظت صحيفة « الموند » أنها أفرطت فى الكلام عن نفسها دون أن يكون لذلك أى فائدة فى التحقيق ... فهل كان المقصود تسويد أكبر عدد ممكن من الصفحات للحفاظ على ما تبقى من ماء وجه الأمن الفرنسى ؟... أم أن يد الجناة امتدت إلى رجال التحقيق ؟... ثم ... قبل ذلك لماذا تأخر استجوابها أكثر من ١٥ يوما ؟... مع أنها معروفة فى الفندق .. وشوهدت فيه وهى تتحرك بحرية وثقة ... ومع أن عادة الشرطة جرت على استجواب فتيات الليل وأصحاب السوابق أولا ؟

س : هل أنت دائمة التردد على الفندق ؟

جـ : **نعم .**

س : هل أنت معروفة هناك ؟

جـ : **نعم .**

س : هل ترددت على الفندق بعد الحادث ؟

جـ : **نعم .**

ثم ... بعد عدة صفحات :

س : كم من الوقت انتظرت فى الممر بعد أن دخل الحجرة ؟

جـ : **لا أذكر بالضبط .. لكنها بضع دقائق .**

س : هل لفت نظرك أى شىء ؟

جـ : **كلا .. لكننى سمعت صوت المصعد .. فقررت النزول .**

س : هل تسرب إلى سمعك صوت مشاجرة أو جدل أو صراع ، صادر من الحجرة .

جـ : **كلا .**

س : هل أنت متأكدة من الإجابة ؟

جـ : **نعم .**

ثم ... بعد عدة صفحات :

س : هل بقيت فى الممر أم حاولت الاقتراب من باب الغرفة ؟

جـ : **اقتربت بالفعل من باب الغرفة .**

س : لماذا ؟

جـ : **سمعت ضجة فى الغرفة .**

س : هل كان هناك شخص آخر فى الغرفة ؟

جـ : **نعم .**

س : كيف عرفت ؟

جـ : **أعتقد ذلك !**

وإزاء هذا التضارب ... تقرر إعادة التحقيق معها .. من جديد .

لكن .. ذلك لن يحدث .. لأسباب سنعرفها فيما بعد .

وفى فصل بعنوان « الحرب السرية » يقول مؤلفا الكتاب السابق الإشارة إليه :

ــ إن رجال الشرطة لم يكونوا متأكدين تماما مما قالته بنت الهوى ، واعتقدوا بأن لديها المزيد .. وبعد أيام طلبوا منها العودة .. لكنها .. لم تتسلم أمر الاستدعاء .. ولم تعد إليهم .. فقد ذابت كفص ملح ناعم فى مدينة شرسة ، تخفى أظافرها فى قفاز حريرى صنعه ووضع توقيعه عليه .. بيير كاردان .

□ ٢ □

يعشق الأوبرا .. والذرة !

هو من مواليد مدينة بنها ..

ومن مواليد برج الجدى أيضا ..

مثله مثل .. **نيكسون والسادات وستالين وعبد الناصر وذوالفقار على بوتو** وملك اسبانيا **خوان كارلوس** ومستشار ألمانيا الأسبق **هيلموت شميث** والملاكم الأسمر **جو فرايزر** ..

عنيد .. صبور .. مكافح .. صلب العزيمة .. قوى الإرادة .. لا يستسلم للتهور .. ولا للطيش .. يتحدى الموت فى سبيل هدفه .. طموح .. بطىء الحركة والتفكير .. يهتم بالتفاصيل .. متردد فى اتخاذ القرار .. يعشق العمل بجنون ..يتحفظ فى قوله وفعله .. يميل إلى الوحدة غالبا .. يكره المظاهر والدعاية .. قليل الكلام .. شديد الثقة بنفسه .. يفضل الاستقلال فى حياته .. ولا يمكن أن يفرط فى حرية تفكيره مهما كان الثمن ..

لا يخوض فى سيرة الناس .. يتأثر كثيرا بالكذب وبعدم احترام المواعيد .. يسعده السفر من أجل العمل .. يفتخر بأنه عانى الكثير من المصاعب حتى وصل إلى ما هو عليه .. لا ينكر ما مر عليه من أيام تعسة .. يكره الضعفاء والمهزومين .. لا يساعد إلا من يستحق المساعدة .. ونادراً ما يطلب العون من أحد ..

هكذا .. يقول علم الفلك عن شخصية الدكتور **يحيى أمين المشد** .

وهكذا .. أيضا .. يجمع من عرفوه وعاشروه .. زوجته .. أسرته .. زملاؤه .. رفاق بعثة الدكتوراه فى موسكو .. وتلاميذه الذين أصبحوا الآن علماء فى هيئة الطاقة الذرية .. وأساتذة فى كليات الهندسة المختلفة .

ولد فى ١١ يناير ١٩٣٢ .

وبعد أقل من سنة جاء شقيقه الأصغر ، والأوحد **أحمد** الذى أصبح ــ فيما بعد ــ محاميا .. وهو الآن يعمل فى مطار الظهران بالسعودية ..

الأب .. كان مدرسا للغة الإنجليزية .. عمل سنوات طويلة فى السودان .. وقد تزوجت شقيقته الوحيدة من محام اسمه **علي الخشخانى** .. وأنجبا ٦ ابناء .. لم يبق منهم الآن سوى آمال .. وزنوبة .. والأخيرة هى زوجة الدكتور **المشد** .. أو بكلمة أدق .. أرملته ..

وحسب ما قالته لى السيدة **آمال الخشخانى** فإن **يحيى المشد** كان طفلا وديعا .. غير مشاغب .. لم أره يتشاجر .. ولم يلعب ــ مثل أقرانه ــ الكرة .. وغالبا .. لم يكن له أصدقاء .

لكن .. زوجته .. أضافت :

إنه فى مرحلة الشباب بدأ يهتم بالرياضة .. لعب التنس .. ولا أزال أحتفظ بمضربه .. كما أنه فى موسكو هوى التزحلق على الجليد ..

وعندما أتيح لى الفرجة على ألبوم صوره .. اكتشفت صورة له وهو يجدف ، عارى الصدر ، فى مركب فى النيل .. قبل أن يزحف الشحم إلى جسده .

ومن السهل أن نستنتج أنه كان بارعا فى الشطرنج .. لكن .. كان من الصعب أن نعرف أنه كان يفهم فى الأوبرا .. ويهوى الموسيقى الكلاسيكية .. ويتابع السياسة من بعيد لبعيد .. دون أن يتورط فيها إلا بعبارات قليلة خاطفة .. اعترفت بذلك زوجته ..

تلقى تعليمه فى مدارس طنطا .. وفى سنة ١٩٥٢ ، تخرج فى كلية الهندسة ــ جامعة الإسكندرية ، قسم كهرباء ، بتقدير امتياز .. مع مرتبة الشرف .. وكان ثالث دفعته ..

فور تخرجه عمل مهندسا فى شركة كانت شهيرة فى ذلك الوقت هى شركة « ماركونى » للاتصالات اللاسلكية .

مدير الشركة كان خال زوجة الدكتور **عصمت زين الدين** ، ومن ثم توافرت فرصة العلاقات الأسرية والشخصية بين **المشد وزين الدين**[1] .

فى سنة ١٩٥٦ اختير لبعثة الدكتوراه .. وكانت للندن .. لكن .. حرب السويس التى اشتعلت فى خريف تلك السنة ، حولت البعثة إلى موسكو .. وكانت لستة طلاب ..

قبل الطيران إلى موسكو عقد قرانه .. وعندما أصبح على وشك الحصول على الدكتوراه ، حضرت زوجته إليه .. فكان الزفاف . ثم .. جاءت لمياء .. ابنته الكبرى ، التى أصبحت مهندسة كمبيوتر فيما بعد وهى الآن زوجة وأم لطفلتين ، وتعيش فى السعودية .

مدة البعثة كانت أربع سنوات .. لكن .. وفاة الأستاذ المشرف على الدكتوراه ، جعلها ست سنوات ــ عاش بعضها .. مع زوجته .. فى حجرة مستقلة بالمدينة الجامعية .. وكان خلالها ــ حسب تعليمات السفارة المصرية ــ بعيدا عن حياة وأفكار الناس فى العاصمة السوفييتية ، مع أنه كان قد درس وأجاد اللغة الروسية .. ومع أنه كان رئيس اتحاد الطلبة العرب هناك .

قبل أن يعود إلى مصر ، حصل على الدكتوراه ، فى هندسة المفاعلات النووية ... وكان تخصصا فريدا .. نوعا ما فى ذلك الوقت ... فى العالم النامى .

وهذا التخصص النادر ، جعله من القلائل الذين يفهمون فى :

ــ مجال تصميم المفاعلات النووية .

ــ مجال التحكم فى المفاعلات النووية .

---

(١) لأسباب سنعرفها فيما بعد ، نذكر أن **عصمت زين الدين** ولد فى سنة ١٩٢٥ ، وتخرج فى هندسة الإسكندرية ، سنة ١٩٤٧ ، وحصل على درجة الدكتوراه فى هندسة الطاقة من جامعة لندن ، سنة ١٩٥٤ ، وأنشأ قسم الهندسة النووية ، فى مصر ، وكان مستشارا للرئيس **جمال عبد الناصر** فى هذا المجال ، إلى جانب الدكتور **صلاح هدايت** .

وقد قاد فريق أبحاث المواد فى المركز النووى للأبحاث بنيوكاسيل (إنجلترا) فى السنوات ٦٢ ــ ١٩٦٤ ، ولا يزال يتمتع بعضوية معهد الفيزيائيين ، ومعهد المهندسين الكهربائيين فى لندن ، وبعضوية الجمعية الملكية الفيزيائية هناك .

ـــ مجال استخدام الحاسبات الإلكترونية فى تشغيل المفاعلات النووية .

وقد دعم هذا الفهم بأبحاث إضافية وخبرة عملية ، ظل ينبش عنها بأظافره حتى اغتياله ..

وفيما بعد .. بعد إذاعة نبأ اغتياله ، صرح د . **فوزى حماد** رئيس قسم الفلزات النووية بهيئة الطاقة الذرية ، والذى كان ـــ وقتها ـــ معارا للجامعة الأمريكية .

« **إن الدكتور المشد من الكفاءات العلمية الكبيرة والبارزة فى مجال المفاعلات النووية ، وتصميماتها ، وهو خسارة كبيرة لمصر لأنه من العلماء القلائل الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة فى مصر والمنطقة العربية فى هذا التخصص** »[٢] .

وفيما بعد .. أيضا .

اعترف زملاؤه بأنه كان « **العالم المصرى الوحيد الذى اهتم بجمع المعلومات عن تصميم القنبلة الذرية وتكنولوجيا تصنيعها** »[٣] .

وأضافوا :

أنه كون « **مدرسة علمية فى المفاعلات النووية** » .

وفى المؤتمر الأول للعلوم النووية وتطبيقاتها الذى عقد فى سنة ١٩٧٥ ، ألقى وحده ١٤ بحثا علميا عن المفاعلات النووية .. وهو جهد خارق .. لم يصل إليه أحد من قبل .. كما قال د . **إبراهيم حموده** ، رئيس هيئة الطاقة الذرية ساعة الاغتيال .

لكن .. فى المؤتمر الثانى الذى عقد فى سنة ١٩٧٧ لم يشارك الدكتور **المشد** .. فقد كان فى العراق ، بعد أن « طفش » من مصر .. « فلا كرامة لعالم فى وطنه .. ولا احترام ولا تكريم » ولا كلمة تقدير واحدة له إلا بعد أن يرحل أو يُقتل أو يموت من الغيظ .

---

(٢) الأهرام ـــ ١٩٨٠/٦/١٨ .

(٣) الأهرام ـــ ١٩٨٠/٦/٢٠ .

إن الإشادة بالدكتور **المشد** بعد اغتياله لا تزيد على وضع الزهور على قبره .. فلا أحد واصل مشواره العلمى .. ولا أحد اهتم بالعلماء وهم أحياء .. وضاع دمه بلا فائدة .. ودون أن نتعلم الدرس .

□ □

سألت الدكتور **عصمت زين الدين** :

س : متى بدأت علاقتك **بيحيى المشد** ؟

جـ : **فى سنة ١٩٥٤ .. عندما كان يعمل فى ماركونى !**

س : أين كان اللقاء الأول بينكما ؟

جـ : **فى بيت خال زوجتى .. الذى كان مديرا لماركونى ورئيسا وصديقا ليحيى .**

س : ما هى أهميته كعالم ذرة ؟

جـ : **تخصص يحيى المشد فى كيفية تصميم مفاعل نووى يستخرج أقصى كمية بلوتونيوم من اليورانيوم .. وهو تخصص دقيق بالنسبة لإنتاج السلاح النووى**[٤] .

□ □

من موسكو .. عاد **المشد** إلى القاهرة .

عُين فى هيئة الطاقة الذرية بأنشاص ، فى قسم المفاعلات النووية .

لكن .. سرعان ما شعر أن بحر العلم النووى يحتاج لمزيد من التدريب واللياقة قبل السباحة فيه .. فكان أن سافر إلى النرويج لمدة عامين .. وراح يدرس ويعمل فى مؤسسة الطاقة هناك التى تقع فى مدينة ليلستروِن .. وكانت أسرته معه .. وأصبح أولاده ثلاثة .. بعد أن رزق بتوأم .. **إيمان** التى تدرس الآن فى كلية طب ــ الإسكندرية .. **وأيمن** الذى أصبح مهندسا معماريا .. ثم .. هاجر إلى الولايات المتحدة ليدرس ويعمل فى غسيل الأطباق ..

---

(٤) حوار مباشر معه يوم ١٩٨٩/٦/٣٠ فى مصيف زهراء العجمى .

لم تكن الحياة فى النرويج سهلة فى البداية .. فالعنصرية فيروس يمكن أن يصيب العلماء أيضا ... ومن ثم .. وصفوه هناك بأنه « أفريكان » .. أى إفريقى .. ولم يكن هذا الوصف ليختلف كثيرا عن وصف « نيجرو » أى زنجى المنتشر فى الولايات المتحدة .. والذى يعنى القبح والتخلف والكسل والجهل والغباء والهمجية .

لكن .. بعد ٦ شهور من الصمت والعمل انقلبت الآية وتغير الرأى .. وعرفوا قيمته .. وكان أن عرضوا عليه إقامة ، وجنسية ، وفيلا .. وعملا دائما ، ومرتبا يتجاوز ما يتقاضاه رئيس الحكومة ..إلا أنه رفض .. ليس فقط لإيمانه بوطنه الذى منحه الكثير .. لكن .. لخوفه على أولاده من التحرر الذى يسود بلاد الشمال أيضا .

وهكذا .. قرر العودة .. مكتفيا بسيارة « فولكس » ــ بيتلز اشتراها من مدخراته .

فى النرويج .. وقع حادث يستحق التوقف .. وربما ساعدنا ــ فيما بعد ــ على حل لغز الاغتيال .

لاحظ الدكتور **المشد** أن النفوذ الصهيونى قوى ، وفعال هناك .. وأن الإعلام العربى المضاد لا وجود له .. فكان أن قرر تجاوز طبيعته وراح لمدة أسبوعين يدرس القضية الفلسطينية تمهيدا لإلقاء محاضرة عنها .. وبفضل لغة العلم التى يتقنها كانت محاضرته السياسية متينة .. فكان أن فهم من سمعها من النرويجيين .. وكان أن اشتد غضب من سمعها من اليهود .

إن الدكتور **المشد** الذى تجنب السياسة دائما ــ لأنها لا تجلب إلا الصداع ــ لم يتردد عند الضرورة فى ممارستها .. إنها ــ أحيانا ــ شر لابد منه .

فهل كانت هذه المحاضرة أول حجر القاه فى بحر الظلمات .. حيث تمرح أسماك القرش .. المحفور عليها نجمة إسرائيل .. فى انتظار رائحة الدم ؟

هذه التفاصيل مصدرها زوجته ..

وقد أضافت :

ــ أن طبيعته التى تجنح بشدة إلى النظام جعلته لا يجد صعوبة فى التفاهم مع البشر والحياة فى الخارج .. إن النظام هناك لغة ، كان زوجى يتحدثها بطلاقة .

وفى بلادنا كان من النادر أن يجد من يفهمها .
ومن ثم .. كان لا يتعامل بها إلا مع نفسه .
فى أوراقه الخاصة ـــ التى اطلعت على بعضها ـــ ما يدل على أنه كان يعرف جيدا قيمة الدقة والنظام .. ويضع كل شيء فى مكانه الصحيح ، بما فى ذلك ما يخص حاجاته الخاصة .
عثرت على ورقة بخط يده دون فيها ما يجب الاهتمام به .. مثل : إيصال التأمين .. جواب المعاش .. جواب الضرائب .. البطاقة التموينية .. الحذاء .. الترانسفورمر .. الجامعة « معاش شركة ماركونى » .. الكلية « تقدير معاش السنتين » .. تصريح العمل .. السؤال عن مكان إرسال خطاب معاش « ماما » .
إن ذلك سجله بنفسه حتى لا ينسى .. وكان عليه وهو العالم الذى يمكن أن يفجر الذرة أن يتعامل مع هذه المعوقات اليومية .. من المعاش إلى الحذاء .
ولا جدال .. فى أن مثل هذه الأمور دفعته أكثر للهجرة .. وجعلته دائم السرحان .. حتى أنه كان أحيانا يرتدى البلوفر بالمقلوب .. ولولا يقظة زوجته لتعرض إلى ما لا يحب .
إن أكبر الكبائر أن نورط علماءنا فى طابور الخبز لا فى سباق الاختراع .. فى البحث عن الزيت والسكر لا فى البحث عن العلم والتكنولوجيا .. فهم يمشون بعقولهم لا على بطونهم .. وهم يقاومون إغراء الرحيل ونحن ندفعهم إلى ذلك .. ولو استسلموا .. وهاجروا .. اتهمناهم بعدم الوفاء .
بعد خبرة النرويج .. كانت مصر فى انتظاره مرة أخرى .
أصبح وجها لامعا فى هيئة الطاقة الذرية .. ومحاضرا .. منتدبا .. فى قسم الهندسة النووية بجامعة الاسكندرية .
ويقسم تلاميذه على أنه لم يكن يترك المدرج إلا بعد أن يتأكد أنهم جميعا .. فهموا ..
ويقولون : **إنه كان أول من نبه لأهمية دراسة الكمبيوتر .. ولم يسترح إلا بعد أن أصبح مادة يدرسها طلبة كلية الهندسة .**

فى سنة ١٩٦٢ أُنشىء ــ بتوجيه من **جمال عبد الناصر** ــ قسم الهندسة النووية .. تولى تنفيذ المهمة د . **عصمت زين الدين** ، الذى يُحسب له أنه وضع طرق تشغيل توربينات السد العالى ، ووضع معظم الدراسات الخاصة بالطاقة فى مصر ، أو أشرف عليها .

كان الهدف من إنشاء قسم الهندسة النووية ــ كما قال لى د . **عصمت زين الدين** ــ الحصول على التوازن النووى فى الشرق الأوسط « بتصنيع سلاح نووى عربى » .. بعد أن أكدت مؤشرات عديدة أن إسرائيل قد بدأت خطوات جادة ، للتوصل إلى سلاح نووى صهيونى .

يضيف د . **زين الدين** :

ــ بدأنا باختيار الطلاب بدقة وكان الاختيار على أسس علمية وقومية ... فمن يصنع القنبلة الذرية يجب أن يؤمن بوطنه قبل أن يكون قادرا على ذلك .

س : هل انضم د . **المشد** إلى القسم بعد عودته من الخارج ؟

جـ : **عاد يحيى من الخارج ليعين فى هيئة الطاقة الذرية .. ثم كان أن جذبته للانضمام إلى الجامعة ، وسرعان ما أصبح أستاذا مساعدا .. وقد أحسست بأنه أفضل من يتولى رئاسة قسم الهندسة النووية من بعدى .. وخاصة أننى أصبحت معارضا لنظام الحكم بعد مظاهرات الطلبة فى الاسكندرية فى نوفمبر ١٩٦٨ .. فقد قُبض علىّ ودخلت السجن ، وكان يحيى « عارف أنا بأعمل إيه » ، فأصبح رئيسا للقسم بعدى .**

لقد كنا فى سباق مع الزمن حتى نكمل برنامجنا النووى الذى كان مقسما إلى ٣٠ جزءا ، كل جزء يحتاج إلى تخصص ، وكل تخصص يحتاج إلى علماء يسدونه .

بعد أن دخلت السجن أكمل يحيى الرسالة الأساسية التى بدأتها ، وكان ناجحا جدا .. وظل فى رئاسة القسم حتى عدت إليه فى ١١ فبراير ١٩٧٢ .

فى سنة **١٩٧٧** زار **السادات** إسرائيل ، وبعد توقيع معاهدة كامب ديفيد ، بدأت محاولات قوية ، مكثفة للإجهاز على القسم ، لأن ازدهاره كان من وجهة نظر إسرائيل عملا عدائيا ، تحرمه المعاهدة .

انتهى ما قاله د . **عصمت زين الدين** .

وقد لفت نظرى ــ بعد أن زرت القسم مؤخرا ــ ملصق على الجدران يدعو الطالبات إلى الحجاب لأنه « **طاعة لربك وصيانة لنفسك** » .. ولم أجد ما يدل على أننى فى مكان مهمته كشف أسرار النواة .. والذرة .. أى التوصل إلى الطاقة البديلة للكهرباء .. وربما .. التوصل أيضا إلى القنبلة الذرية .. ما المانع ؟

إن انكماشا واضحا قد حدث فى هذا القسم الذى أنشىء فى سنة ١٩٦٢ .. فلم يعد حجم الدفعة يزيد على ٢٠ طالبا وطالبة .. مع أنه القسم الوحيد المعترف بمستواه فى الجامعات الأمريكية .. حيث لا يحتاج خريجوه إلى معادلة شهاداتهم عند استكمال دراساتهم العليا .

ولعل السر فى هذا الانكماش هو أن الذرة لم تعد مجالا مغريا للعمل فى مصر .. كما أن علماءنا الكبار فى هذا المجال لا يجدون أنفسهم إلا فى الخارج .

إن هيئة الطاقة الذرية تضم حوالى ٤٠٠ عالم فى ١٣ تخصصا .. فى المفاعلات النووية .. الطبيعة النووية .. الكيمياء النووية .. الفلزات .. الوقود .. النظائر المشعة .. الأجهزة العلمية .. المعمل الحر .. البلازما .. المعجلات .. البيولوجيا النووية .. والوقاية من الإشعاع ..

ويضاف إليهم علماء معهد بحوث الإشعاع النووى وعددهم ١٥٠ عالما .

لكن ...

فى خارج مصر الآن ضعف العدد الذى لايزال فى مصر .

وخارج مصر يعنى البلاد العربية وأوروبا الغربية ، والولايات المتحدة الأمريكية التى يسمى العلماء المصريون فيها بالمافيا الذرية المصرية من كثرة عددهم .. وفى مؤتمر أخير للذرة عقد فى الشمال الأمريكى قدم ٤٠ بحثا .. كان نصفها لعلماء مصريين .. مهاجرين ..

إن عناصر الطرد متنوعة .

ومن الإنصاف أن نعترف بأن ذلك يرجع إلى منتصف السبعينات .. الدكتور **المشد** نفسه اضطر للرحيل فى هذا الوقت .

لقد عاد إلى بلاده مسلحاً بالعلم والخبرة .. لكنه لم يجد الفرصة ولا الإمكانات لكى يصنع شيئاً ملموساً .. وعندما قرر الاكتفاء بالتدريس ، وجد من يتخطاه فى الترقية .. وعندما تقرر بناء محطة نووية فى منطقة سيدى كرير .. توقع أن يكون المسئول عن المشروع .. لكنهم .. اكتفوا باختياره عضوا باللجنة التنفيذية للمحطة .. ثم .. كان أن تجمدت الفكرة ..

وتقول لى زوجته :

ـــ إنه شعر بمرارة لا حد لها عندما اكتشف أن الكفاءة وحدها لا تكفى لتولى مثل هذه المشاريع الحساسة .

وضاعف من هذا الإحساس ، أنه فى ذلك الوقت اختير فى الولايات المتحدة لينشر اسمه فى موسوعة أهم علماء الذرة فى العالم الذين يمكنهم صناعة القنبلة النووية !

وتضيف الزوجة :

ـــ وزاد الطين بلة .. أن مطالب البيت والأولاد زادت .. والمرتب لا يكفى الطعام والأبحاث .. فكان لابد من الرحيل .. بحثا عن الذات .. والزاد .. وهكذا .. لاحت العراق فى الأفق .

□□

أولاده كانوا نقطة ضعفه .

كانت الذرة عقله .. وكانوا هم قلبه .

لا فرق عنده بين الولد والبنت .. لذلك شجع **لمياء** على دراسة الهندسة ، وقد كان معلمها فى بغداد عندما كانت طالبة بالسنة الأولى فى كلية التكنولوجيا .. هناك .. وعندما اغتيل أكملت دراستها فى هندسة الإسكندرية .

وتتذكر الزوجة أنه سجل صوت **لمياء** وهى رضيع .. تبكى .. وقال على الشريط وهو يقدمها .. إنها ستتحدث من بلاد واء .. الواء .

أما **أيمن** .. فكان يؤلمه أنه ولد وهو مصاب بمرض السكر .. وقد حاول أن يعلمه

العزف على البيانو .. كما أنه لأجل خاطره كان يفرض على البيت الريجيم .. وتجنب الحلويات .. والنشويات .

وقد تأثرت **إيمان** كثيرا بما جرى له .. فتأخرت فى دراستها .

والعزاء الوحيد الباقى لهذه الاسرة ــ التى وقف لها القدر بالمرصاد ــ كنز من الصور والرسائل والذكريات الجميلة والسمعة الطيبة تركها لها الأب .. الذى كتب تاريخه بدمه .

ومن حسن الحظ أن الأب كان يميل إلى التصوير .. وتسجيل ما يمر به بالكاميرا .. وبعد أن رحل .. اقتسم الأبناء الصور .. اقتسموا ما تبقى من رائحته ..

أما نصيب الأم فكان قليلا .. وقد أتيح لى أن أراه .. ورحت أقلب صفحات الألبوم .. بينما انحدرت حبات الدموع من عينى الزوجة .. فالحزن ــ أحيانا ــ مثل بحر لا قرار له .. مثل أفق لا نهاية له .

□ □

فى سنة ١٩٧٣ سافر لحضور مؤتمر علمى فى بغداد .. وفى هذا المؤتمر حدث أول اتصال بينه وبين العراقيين .

بعد المؤتمر بأكثر من عام ، طلبت كلية التكنولوجيا فى بغداد أساتذة من الخارج .. فتقدم بطلب .. سرعان ما قبل .. فأخذ إجازة بدون مرتب وذهب إلى هناك .

كان ذلك فى سنة ١٩٧٥ .

وظل على هذا النحو حتى سنة ١٩٧٩ .

أى أنه لمدة خمس سنوات تقريبا كان يعمل بالتدريس .. ولم تكن له علاقة رسمية بمؤسسة الطاقة الذرية العراقية .. كل ما فى الأمر أنه كان يزورها فى إجازته الأسبوعية .. دون مقابل .. وحتى لا ينسى ــ على حد قول زوجته ــ أبحاثه العلمية .. العملية ..

لم يطق التدريس أكثر من ذلك .. كما أن عليه أن يعود إلى بلاده الآن ، بعد أن أنذرته جامعة الاسكندرية بالفصل .. لأنه تجاوز سنوات الإعارة ..

طلب العراقيون منه أن يبقى .. لكنه .. لم يقبل إلا بشرط .. أن يعمل فى مؤسسة الطاقة الذرية .. ولا مانع من التدريس ــ بعض الوقت ــ فى كلية التكنولوجيا .

وحتى يحسم الأمر ، سافر ــ هو وأسرته ــ إلى سوريا ، لقضاء إجازة على شاطىء اللاذقية .. لم يفكر فى أن تكون هذه الإجازة فى مصر خوفا من منعه من العودة بسبب إنذار الفصل من وظيفته .. وراح على الرمال الناعمة ، يرسم خطوطا ودوائر ، وعندما تطلع إلى البحر الممتد ــ إلى ما بعد مرمى البصر ــ كان قد تخلص من تردده .. وتوتره .. ثم قام ليلقى بجسده فى الماء .. فى منطقة الأمان .

□□

بغداد فى ٨٠/٣/١

أخى أحمد

أهديك أطيب أشواقى وتحياتى وسلامى لك ولسميرة والأنجال الأعزاء **إيهاب وسمر** ، كما أنقل تحيات ماما وزيزى والجميع هنا .

سررت جدا وكنت مطمئنا من ناحيتك نتيجة خطابك الأخير الذى شرحت فيه مغامراتك مع الأطباء فى مصر والسعودية . والحمد لله على اطمئنانك أخيرا .

المهم ، كيف أحوالك الآن ؟......... ما هى مشروعاتك لهذا الصيف يا**أحمد** ؟.
يظهر أنى سأضطر للبقاء فى العراق هذا الصيف أيضا لأنى لم أفصل بعد من الجامعة وأخشى إن سافرت ألا أستطيع العودة إلى العراق .

كما أعتقد أنه لن يمكننى السفر إلى سوريا مع **زيزى** والأولاد كما فعلنا فى العام السابق لأنى أرى أنه لا يمكن ترك ماما فى العراق وحدها لمدة ١٥ أو ٢٠ يوما كما حدث فى العام الماضى . لم يحدث لماما شىء والحمد لله فى العام الماضى ولكن أرى أنه من الأسلم عدم تكرار ذلك ، وعلى ذلك فسأضطر للبقاء أنا وماما فى العراق ، وتسافر زيزى والأولاد فى الأسبوع الأخير من يونيو إلى مصر .

فإذا كان فى نيتك يا**أحمد** لقاء ماما واستضافتها فى السعودية أو فى مصر خلال

هذا الصيف فأرجو أن تخبرنى بمشروعاتك بهذا الخصوص سريعا . أما من ناحيتى فإنه إذا كان هذا فى نيتك فإنى أفضل أن يتم ذلك قبل أول يوليو ولمدة شهر يوليو وهو موعد إجازتى حتى أتمكن من الذهاب إلى سوريا خلال هذه الفترة مع **زيزى** والأولاد .

ورقم تليفونى هنا ٨٨٧٣٤٨١ أو ٨٨٨٣٥٨٧ بالطاقة ، والرقم الداخلى هو ٦٠٤ وأكون موجودا أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء فقط من الساعة ٨ إلى الساعة ٣,٣٠ بتوقيت بغداد .

أطيب الدعوات والتمنيات .

يحيى المشد

٨٠/٣/١

□□

على الجانب الآخر .. لم يكن من الصعب أن يقبل العراقيون بشروطه العلمية .. فقد كانوا ــ فى ذلك الوقت ــ فى حاجة ماسة إلى خدماته .. وخاصة أن برنامجهم النووى تعطل قبل شهور قليلة .. بسبب عملية تخريب قامت بها المخابرات الإسرائيلية .

ففى أبريل ١٩٧٩ ، دمر قلب الفرن النووى للمفاعل العراقى « أوزوريس » فى مخازن بلدة لاسين سورمير القريبة من ميناء طولون الفرنسى ، عشية إرساله إلى بغداد .. وتفاصيل ما حدث مذهلة .. تستحق أن نتعرض لها .. لكن .. فى الوقت المناسب ..

كان على الدكتور **المشد** أن يتابع عملية إصلاح الفرن النووى ، وهكذا .. وجد نفسه فى قلب البرنامج النووى العراقى أسرع مما كان يتوقع .

والمؤكد أنه نجح فى مهمته فى وقت قياسى .. فكان أن تجاوز فى شهور حدود الشك .. وتمتع بدرجة من الثقة جعلته حلقة الوصل بين مؤسستى الطاقة الذرية فى العراق وفرنسا .. ومن ثم كانت مهمته الرسمية الأولى لباريس فى ديسمبر ١٩٧٩ ، والتى استمرت ١٥ يوما ..

وأغلب الظن ...

أن تلك المهمة كانت للتأكد من أن الفرن ـــ الذى تعرض للتخريب ـــ قد أصبح سليما .. ومن ثم .. يمكن شحنه إلى العراق .

وأغلب الظن .. أيضا ..

أنه أشرف على الشحن .. وعلى التركيب .. وجرب التشغيل .. فكان أن حظى بمزيد من الاحترام والثقة .. والتقدير .

وكان أن وجد نفسه ـــ مرة أخرى فى باريس .. فى مهمة حساسة .. وخطرة .. وإن لم يتصور .. أنها يمكن أن تودى بحياته .

□ □ □

□ ٣ □

قنبلة من الفوسفات !

بدأ التفكير فى القنبلة اليهودية قبل أن تبدأ إسرائيل .

فى صيف ١٩٤٥ ، ألقيت القنبلة الذرية الشهيرة على هيروشيما ، فحسمت الولايات المتحدة الحرب ، وخرجت منها دولة عظمى ، وأخذت ـــ من الغنائم ـــ نصيب الأسد .

إن ذلك المكسب الهائل ، والسريع أسال لعاب يهودى ، محنك ، سيدخل التاريخ على ماسورة مدفع ، أو على سن قنبلة ، هو **ديفيد بن جوريون** ، رئيس أول حكومة إسرائيلية .. فكان أن راح يفكر فى كيفية الحصول على القنبلة الذرية ، قبل أن يعرف بالضبط كيفية إعلان الدولة اليهودية .

فسعى إلى علماء الطبيعة اليهود فى جامعات ومعامل وارسو ، وبوخارست ، وبرلين ، وبراغ ، وكان من السهل إقناعهم بالرحيل إلى « أرض الميعاد » .. لبناء « الوطن القومى » .. لتحقيق الحلم .. بالعلم والدموع .

وكان من اليسير أن يوضع حجر أساس أول برنامج نووى فى العام الأول من قيام « دولة » إسرائيل .. ففى ذلك الوقت ، كشفت دراسة لموارد صحراء النقب عن وجود تراكمات ، ورواسب من الفوسفات تحتوى على مادة اليورانيوم الحيوية ، واللازمة للقنبلة الذرية .. وكانت هذه الدراسة سرية ، وتحت إشراف مكتب التخطيط فى وزارة الدفاع .. وقام بها العالمان **أرنست بيرجمان** ، **وإسرائيلى دوستروفسكى** .. وقد قيل ـــ من باب التمويه والتغطية ـــ أنهما يجمعان الفراشات ، النادرة ، والملونة .

ولم تعرف الحقيقة إلا عندما أعلنها **حايم وايزمان** ، أول رئيس لإسرائيل ، وكان

عالما أيضا ، وهو الذى وضع الخطوط العريضة للبرنامج النووى الأول ، وهو الذى أنشأ ــ فى بداية سنة ١٩٤٩ ــ قسم « النظائر » فى معهد العلوم الذى يحمل اسمه .. وقد نجح هذا القسم فى إنتاج « الماء الثقيل » .. المادة الضرورية لإنتاج القنبلة بطريقة جديدة لا تعتمد على القوة الكهربائية .. والتى كانت تحتكرها النرويج .

وفى ١٣ يونيو ١٩٥٢ تكونت لجنة الطاقة النووية برئاسة **أرنست ديفيد بيرجمان** ، وعضوية **إسرائيلى دوستروفسكى** ، و**صول كوهين** ، و**ج . راكاش** ، و**س . شامبورسكى** ، وهو من العلماء ، بالإضافة إلى رئيس الأركان السابق ، الجنرال **دورى** .. الذى أضفت عضويته للجنة طابعا عسكريا عليها .. وتأكد هذا الطابع بعدم الإعلان عن أعضاء اللجنة إلا بعد سنوات طويلة ، وبإشراف وزير الدفاع عليها ، وبتمثيل مستشاره العلمى فيها (بروفيسور **شامبورسكى**) .

وكانت الأهداف المباشرة للجنة :

١ ــ تشجيع الأبحاث النووية .

٢ ــ القيام بأبحاث الكشف عن اليورانيوم .

٣ ــ إنتاج الماء الثقيل محليا .

وقامت اللجنة بتنظيم برنامج لتدريب الكوادر اللازمة لمختلف فروع الطاقة النووية ، وأرسلت البعثات العلمية إلى فرنسا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة ، واشتركت فى معظم مؤتمرات الذرة .

ومع تبرعات الجاليات اليهودية فى الخارج ، أصبحت إسرائيل تملك المال أيضا .

وبعد توافر العقول والنقود ... جاء الدور على التكنولوجيا .

فى سنة ١٩٤٩ ، قرر **بن جوريون** ، طلب المساعدة التكنولوجية من فرنسا ... « وكان هذا الاختيار حكيما » .. على حد تعبير **ستيفن جرين** (كتاب الانحياز ــ علاقات أمريكا السرية بإسرائيل) .. الذى أضاف .. أن هذا الاختيار « **كان يمثل بداية علاقات عادت بالنفع المشترك على الهيكل الاقتصادى ، والبرنامج الدفاعى لكل من فرنسا وإسرائيل طوال عشرين سنة** »[1] .

---

(١) Stephen Green : America's Secret Relations A Militant Israel-N.y.-1982.

وقعت فرنسا وإسرائيل اتفاقية للتعاون المشترك فى هذا المجال ، فى النصف الأول من سنة ١٩٥٣ ، ولم تعلن هذه الاتفاقية ـــ التى لاتزال أغلب بنودها سرية حتى الآن ـــ إلا فى نوفمبر ١٩٥٤ ، حين كشف **جول موك** (ممثل فرنسا فى الأمم المتحدة ، ووزير دفاعها الأسبق) عن « وجود اتفاق اشترت بموجبه فرنسا براءة اختراع الماء الثقيل من إسرائيل » .

وبجانب إغراء « الماء الثقيل » ، كان هناك ما يبرر الحماس الفرنسى القوى لإسرائيل ، هو وجود **جمال عبد الناصر** ومساعدته لثوار الجزائر .. إن غيظ فرنسا من جمال عبد الناصر ، جعلها تندفع بجنون إلى إسرائيل .. فكان أن فتحت لها أبواب مخازن الأسلحة التقليدية على مصراعيها ، وأبواب التكنولوجيا النووية (التى كانت قاعدة إنتاج الأسلحة غير التقليدية) أيضا .

وبالأرقام ، أنفقت إسرائيل اكثر من ٦٠٠ مليون دولار على الاسلحة الفرنسية ، خلال السنوات ١٩٥٥ ـــ ١٩٦٧ ، من بينها ٧٥ مليون دولار ، قيمة مفاعل نووى .. أقيم فى ديمونة .. فى صحراء النقب .. بالقرب من مدينة بئر السبع .

كان قرار بناء مفاعل ديمونة نقطة تحول فى برنامج إسرائيل النووى ،على الرغم من أن هذا المفاعل لم يكن أول مفاعل فى إسرائيل .

فى ٨ ديسمبر ١٩٥٣ ، أعلن الرئيس الأمريكى **ايزنهاور** برنامجه الشهير « ذرة من أجل السلام » ، الذى جاء فيه : « **أن الولايات المتحدة تفتح أبواب مراكزها الذرية ، وتتعاون مع الدول الراغبة فى الاستخدامات السلمية للذرة** » .

وتحت مظلة هذا البرنامج ، وقعت إسرائيل ، والولايات المتحدة ، إتفاقية خاصة فى ١٢ يوليو ١٩٥٥ ، حصلت إسرائيل بمقتضاها على مفاعل نووى للأبحاث أنشىء فى نحال سوريك ، قرب شاطىء البحر المتوسط ، بين تل أبيب ، وأشدود .

وقوة هذا المفاعل ٥ آلاف كيلوواط .. من طراز يسمى « بركة السباحة » .. ويستخدم فيه الماء الثقيل .. وبدأ نشاطه فى ١٦ يونيو ١٩٦٠ .. وخلال الفترة ما بين ١٩٦٠ ـــ ١٩٦٦ ، قدمت الولايات المتحدة ٥٠ كيلوجراما من اليورانيوم

(٢٣٥ ــ درجة نقاء ٩٠ بالمائة) .. وهى كمية تكفى لإنتاج ٣ ــ ٤ قنابل ذرية مثل التى ألقيت على هيروشيما .. لكن .. أغلب الظن أن ذلك لم يحدث ، بسبب شرط تحريم الاستعمال العسكرى للمفاعل ، فى الاتفاقية .

وأثناء بناء مفاعل نحال سوريك تلقى ٥٦ عالما إسرائيليا تدريبهم فى مراكز الأبحاث التابعة لوكالة الطاقة الذرية الأمريكية .. وحصلت إسرائيل على مكتبة نووية تحتوى على ٦٥٠٠ كتاب وتقرير ودراسة عن الذرة و٤٥ مجلدا عن الطاقة النووية .

ونقلا عن مصادر أمريكية متنوعة ، يقول **بيتر براى** : إن « **حكومة الولايات المتحدة ، أو بعض عناصرها فى وكالة المخابرات المركزية ، قدموا يد المساعدة لبرنامج إسرائيل النووى ... فى أعقاب حرب السويس عام ١٩٥٦** » ... كتعويض عن انسحابها من سيناء .. ومقابل تعاونها مستقبلا .. ويقال إن **جيمس أنجلتون** ، رئيس العمليات السرية فى المخابرات المركزية ، كان وراء تلك المساعدة[٢] .

وفى إسرائيل مفاعل أبحاث آخر فى ريشون عتسيون ، قامت بإنشائه شركة إف . إم . أوتوماتيك الأمريكية ، وهو من فصيلة المفاعلات الحرارية المتجانسة ، يستخدم فى إنتاج النظائر المشعة ، وقوته ٨ ملايين واط ، ويعمل باليورانيوم الطبيعى ، ويبرد بالماء الثقيل ، وتم تشغيله فى مجالات الطب والزراعة وتحلية المياه .

وفى سنة ١٩٦٦ ، بدأ العمل فى مفاعل جديد ، يعرف باسم مفاعل النبى روبين ، بالتعاون مع شركة انترناشيونال أوتوماتيك الأمريكية .. والطاقة المفترضة لهذا المفاعل ٢٠٠ ميجاواط ، والغرض منه إنتاج الطاقة الكهربائية ، وتحلية ١٣٠ مليون متر مكعب من مياه البحر .. ويمكن الاستفادة منه فى صناعة الأسلحة الذرية ..

وهناك .. أيضا .. خمسة مراكز نووية خاصة بالوقود ، تتوزع على جامعة حيفا ، وجامعة تل أبيب ، والجامعة العبرية بالقدس ، بخلاف المركز الذرى فى رحبوت ، والمركز الذرى فى القدس .

---

(٢) **بيتر براى** ــ ترسانة إسرائيل النووية ــ ترجمة **منير غانم** ــ الناشر مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت) ودار البيادر (القاهرة) ــ ١٩٨٩ ــ ص ٣٤ .

ولا يمكن الفصل بين المفاعلات والمراكز النووية ، وطبيعة العلاقة بينهما لم تكتشف بعد ، والمهم فى النهاية تأمين الكمية المطلوبة من اليورانيوم ذى التركيز العالى لمفاعل ديمونة .. قلب إنتاج السلاح النووى فى إسرائيل .

إن مفاعل ديمونة أهم وأخطر مفاعلات إسرائيل .

وقد قدمته فرنسا فى وقت مبكر ، لم تكن قد صنعت فيه قنبلتها الذرية .. وفى المقابل ، حصلت من إسرائيل ، على تكنولوجيا الكومبيوتر الأمريكية ، التى منعتها عنها واشنطن ، خشية أن تستخدمها فى تصميم القنابل الذرية ، وتستقل عنها نوويا .

وقد فجرت فرنسا قنبلتها الذرية ، فى صحراء الجزائر الكبرى ، فى سنة ١٩٦٠ ، وشهد التجربة عدد من علماء الذرة الإسرائيليين .

وكان ذلك نوعا من التكريم ، ونوعا من الخبرة العملية لإسرائيل التى وقفت إلى جانبها ، بعد أن رفضت إدارة الرئيس **ايزنهاور** ، طلب الجنرال **ديجول** لقيام « علاقات نووية متميزة بين فرنسا والولايات المتحدة على غرار ما تتمتع به بريطانيا » ــ **بيتر براى** ــ ص ٣٧ .

وقد أسهم هذا الرفض فى نفور فرنسا من منظمة شمال الأطلنطى (الناتو) فى الستينات « ودفع بها إلى مزيد من التعاون الأوثق مع إسرائيل » .

فى أوائل ١٩٥٧ وقعت إسرائيل وفرنسا اتفاقية بناء مفاعل ديمونة .. ولأن الاتفاقية كانت سرية ، وتمت من وراء لجنة الطاقة النووية الإسرائيلية ، فقد استقال أعضاء اللجنة عندما عرفوا بها ، فى السنة نفسها ، ولم يبق فى عمله سوى رئيسها **أرنست بيرجمان** .

ومفاعل ديمونة من النوع الحرارى .. طاقته ٢٦ ميجاواط .. قامت بتنفيذه شركة سان جوبيان النووية التى تملك الحكومة الفرنسية ٦٦ بالمائة من أسهمها .

ويستخدم فى المفاعل الماء الثقيل .. ووقود اليورانيوم الطبيعى وليس اليورانيوم المخصب الذى يستخدم فى مفاعل نحال سوريك .

ويقول **بيتر براى** :

إن مفاعل ديمونة يشبه فى تصميمه مفاعل سافانا ريفر ، الأمريكى ، فى ساوث كارولينا « الذى ينتج مادة البلوتونيوم ــ ٢٣٦ ، التى تستخدم فى صنع القنابل النووية الأمريكية »[٣] .

ويقول كذلك .. إن العمل فى ديمونة بدأ فى ديسمبر ١٩٦٣ .

والمرجح أن إسرائيل دفعت ثمن مفاعل ديمونة نقدا .. « وقامت أيضا بتزويد فرنسا بطريقة تصنيع الماء الخفيف والثقيل واستخلاص اليورانيوم من خامات (مثل الفوسفات) نسبة تركيزه فيها منخفضة » .

لقد استخرجت إسرائيل اليورانيوم من صخور الفوسفات فى النقب بتركيز ١٠٠ ــ ٢٠٠ جرام فى كل طن .. ويقدر احتياطى الفوسفات فى إسرائيل بحوالى ٣٠٠ مليون طن ، أى حوالى ٥٠ ألف طن من اليورانيوم .. وبالرغم من ذلك لاتكتفى إسرائيل ــ من اليورانيوم ــ ذاتيا .. وكان أن استوردت من فرنسا والولايات المتحدة والجابون والنيجر وإفريقيا الوسطى وكندا والأرجنتين والبرازيل .. بطرق شرعية ، وطرق غير شرعية .

وسبب هذا النقص أن مفاعل ديمونة يحتاج ٢٤ طن يورانيوم ، فى حين أن إسرائيل لا تنتج سوى ١٠ أطنان فقط .

ومن المؤكد أن فرنسا لم تتخذ أى إجراءات للتفتيش على مفاعل ديمونة سواء بواسطة فرنسيين أو بواسطة موظفين فى وكالة الطاقة الذرية الدولية « للحيلولة دون استخدام هذا المفاعل للأغراض العسكرية » .

وحسب تحريات **بيتر براى** (ص ــ ٤٥) فإن بعض الأوساط تعتقد أن فرنسا قدمت لإسرائيل ــ فى الميدان النووى ــ ما هو أهم من ديمونة .. « إذ يحتمل أن تكون فرنسا قامت فى الفترة ما بين ١٩٦٠ ــ ١٩٦٤ بمساعدة إسرائيل فى تصميم وتفجير قنبلتها التجريبية الأولى فى حقول التجارب الفرنسية [ريجان] أو[أكار]

---

(٣) **براى** ــ المصدر السابق ــ ص ٤٠ .

فى الصحراء الجزائرية .. ولكن ليس هناك برهان على حدوث مثل هذه التجربة ، بل هناك سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن مثل هذه التجربة النووية المزعومة لم تحدث قط . إذ لم يكن بمقدور الإسرائيليين الحصول على كميات من البلوتونيوم من مفاعلهم تكفى لصنع قنبلة ذرية قبل نهاية سنة ١٩٦٥ أو حتى بعد هذا التاريخ ، وهذا بدوره ينفى إمكانية أن يكون الإسرائيليون قد أجروا تجربتهم النووية فى صحراء الجزائر إذا علمنا أن فرنسا قامت بتفكيك موقع ريجان ــ الذى كانت تجرى فيه تجاربها الذرية ــ عام ١٩٦٤ » .

يضاف إلى ذلك أن فرنسا بدأت تشعر بالذنب فى وقت مبكر فى الستينات .. وفيما بعد .. نشرت صحيفة « يديعوت أحرونوت » الإسرائيلية فى ١١ مارس ١٩٧٧ .. أنه فى سنة ١٩٦٠ نشبت أزمة بين فرنسا وإسرائيل .. « إذ طالبت الحكومة الفرنسية ، إسرائيل بالإعلان عن إنشاء مفاعل ديمونة وفرض إشراف أجنبى عليه »[٤] .

وقد كتب **ديجول** ــ حول هذا الموضوع ــ فى مذكراته : « **لقد توقفت المساعدات التى كنا نقدمها إلى إسرائيل عند بداية إقامة منشأة لتحويل اليورانيوم إلى بلوتونيوم بالقرب من بئر سبع حتى لا يمكن أن تطلق من هناك فى أحد الأيام الصافية قنابل نووية** » .

وحسب الرواية الإسرائيلية ، فإن بن جوريون سعى إلى تسوية الأزمة ، وزار **ديجول** ، الذى قال له :

« هل تخشون من تكتل عربى قد يعرضكم للخطر ؟ » .

فأجاب **بن جوريون** :

ــ إن الخطر الذى يمثله العرب بقيادة جمال عبد الناصر لا يهدد إسرائيل فقط ، وإنما يهدد إيران والحبشة ومصالح فرنسا فى الجزائر أيضا .

---

(٤) د . **سلمان رشيد سلمان** ــ السلاح النووى والصراع العربى الإسرائيلى ــ دار ابن خلدون ــ بيروت ــ ص ٦٧ .

« وتذكر الصحافة الإسرائيلية أن الاجتماع الثانى الذى عقده **ديجول** و**بن جوريون** تميز بجو من التفاهم وأن **ديجول** وافق على تزويد إسرائيل باليورانيوم الذى تحتاجه »[٥] .

كان ذلك بالضبط فى ١٤ يونيو ١٩٦٠ .

وقد أبدى **بن جوريون** إعجابه **بديجول** (بعد ذلك) وكتب عنه يقول : « **لقد سمعت بأنه رجل كبير السن ، متصلب ، ولكن وجدته شخصية حبوبة ، ذا روح نكتة ، وعطوفا بشكل واضح** » .

ورد **ديجول** التحية بأحسن منها ، وكتب عن **بن جوريون** يقول : « **لقد شعرت بالعطف على هذا المقاتل الشجاع .. البطل .. إن شخصيته فرضت نفسها على إسرائيل التى حكمها منذ توليه الرئاسة بعد تكوينها وإعلانها** » .

إن فرنسا التى قدمت الكثير للقنبلة الذرية الإسرائيلية .. هى فرنسا نفسها التى قُتل فيها الدكتور **يحيى المشد** .

ومهما قيل عن الحياد الفرنسي ـــ تجاه الصراع العربى الإسرائيلى ـــ فإن ذلك أشبه بأكذوبة كبيرة .. أو أشبه بنكتة أكبر !

□ □ □

---

(٥) المصدر السابق ـــ ص ٦٧ .

□ ٤ □

الرجاء ... عدم القتل !

عبارة **NE PAS DERA NGER** بالفرنسية ، تعنى باللغة العربية « الرجاء عدم الإزعاج » .. والعبارة شهيرة ، تطبع على ورق مقوى ، ويضعها زبائن الفنادق الكبرى ، على أبواب الغرف عند الضرورة ... أو عند الحاجة للراحة .

وقد لاحظت عاملة النظافة المختصة بالدور التاسع لفندق الميرديان أن لافتة « عدم الازعاج » معلقة على مقبض باب غرفة الدكتور **يحيى المشد** ، فلم تشأ أن تزعجه ... وانصرفت وهى تدفع عربتها المستطيلة ، المملوءة بالمناشف ، وأكياس الشامبو ، وقطع الصابون ، وأدوات النظافة ... على أن تعود فى الوقت المناسب .

بعد ساعات عادت عاملة النظافة لتجد اللافتة مكانها .. لم تتزحزح .

كان عليها أن تفكر كثيرا فيما خطر على بالها .. لكنها .. لم تفعل .. وحسمت ترددها .. وأدارت مقبض الباب .. ودهشت عندما وجدت الباب يفتح بسهولة .. وصرخت بكل ما فيها من قوة وفزع عندما دخلت الغرفة ورأت ما رأت .. وبعد أن تمالكت نفسها ، سارعت بطلب المساعدة .. ثم .. كان من السهل أن تأتى الشرطة .. بعد ذلك .. فى ثوان .. وكانت الساعة الثانية والنصف ظهرا .

كان المشهد الذى أثار فزع عاملة النظافة الشابة .. كالتالى ...

جثمان الدكتور **يحيى المشد** ملقى على الفراش ، وقد غطى رأسه بغطاء سميك .. كان يرتدى ملابسه الكاملة .. ورابطة عنق .. وحذاء .. وجوربا .. الثياب نفسها التى كان يرتديها عند دخوله الفندق .. على حد اعتراف آخر شهود العيان .. **مارى كلود ماجال** .. العاهرة .

الرأس مضروبة ضربتين بآلة حادة .. الدماء تغطى الشعر والوجه والثياب والفراش .. وبعضها كان على السجادة .. وعلى الحائط .

فى الحجرة حقيبة كبيرة للثياب .. وأخرى صغيرة للأوراق ، ماركة « سمسونايت » مفتوحة ، وملقاة بإهمال على الأرض .. بجانب أكياس من البلاستيك ، مطبوع عليها اسم متجر « لافايت » واضح أنها لم تمس .

فى الحجرة أيضا .. أوراق معثرة .. منها تذكرة طائرة .. صور فوتوغرافية .. قصاصات من صحف .. مذكرة باللغة الفرنسية مكتوبة على الآلة الكاتبة .. وبجانب الفراش عدد من الكتالوجات الملونة .. واضح أن أحدا لم يقترب منها .

وضعت الشرطة يدها على كل هذه الأشياء .. كأحراز .. بما فى ذلك الثياب .. المخدة .. غطاء الفراش .

□ □ □

وفيما بعد ...

بعد حوالى السنة ، وضعت هذه الأحراز فى حقيبة الثياب ، وأرسلت إلى وزارة الخارجية المصرية ، التى حولتها إلى إدارة التركات ببنك ناصر .. التى استدعت زوجته لتتسلمها .. لكن .. المدير العام للبنك **جمال الدين لبيب** استبعد كل الأشياء الملوثة بالدم ، عندما وجد الزوجة على وشك الانهيار .

على أن الزوجة لاحظت أن سوار ساعة يد زوجها الذهبية ، قد استبدل بآخر .. من الصلب .. فصرخت :

ــ هذه سرقة !

وكان من السهل إقناعها أن السرقة حدثت فى فرنسا لا فى بنك ناصر !

ولاحظ البوليس الفرنسى عند المعاينة أن النقود لم تسرق .. رغم أن من الواضح أن تفتيشا ذاتيا قد جرى للدكتور **المشد** بعد أن قتل .. على حين .. تأكد أن مفكرته الشخصية قد سرقت .

وفى الكتب الأجنبية التى أشارت إلى الحادث أنه كان يحمل حوالى ٢٦٠٠ فرنك

فرنسى ، وجدت كما هى .. لكن .. فيما بعد .. اطلعت على الوثيقة ـــ التالية التى تحدد بدقة ما كان معه من نقود :

بنك ناصر الاجتماعى

الإدارة العامة للتركات الشاغرة والعقارات

تحريرا فى ١٣ ـــ ٦ ـــ ١٩٨١م ـــ رقم الصادر ٣١٩٩ ـــ ١٤ ـــ ٦

السيدة **زنوبة على الخشخانى** ـــ ١١ ش . الجلاء . فيكتوريا الإسكندرية ..

بعد التحية ...

نتشرف بالإحاطة أنه ورد حرز من وزارة الخارجية باسم المرحوم الدكتور **يحيى أمين المشد** عبارة عن :

١ ـــ مبلغ ٤٢٣ استرلينيا .

٢ ـــ مبلغ ٧٦٣ دولارا أمريكيا .

٣ ـــ مبلغ ٤١٠٠ فرنك فرنسى .

٤ ـــ مبلغ ٧,٥ دينار عراقى .

٥ ـــ مبلغ ٢ ريال سعودى .

٦ ـــ مبلغ ٥٠ شلنا نمساويا .

٧ ـــ مبلغ ١,٢٥ دينار كويتى .

٨ ـــ قطع عملة معدنية أجنبية .

٩ ـــ ساعة يد ماركة سيتيزن .

١٠ ـــ ساعة يد ماركة جوفيال .

المدير العام

جمال الدين حامد لبيب

ويكشف لنا هذا الخطاب عن هواية كنا نجهلها للدكتور **المشد** ، هى الاحتفاظ بعملات الدول التى زارها .. وهى هواية يمارسها كل من يهوى السفر .

□ □ □

سجل التقرير المبدئ للمعاينة .. أن القتيل عمره ٤٨ سنة .. أسمر البشرة .. شرقى الملامح .. يزن حوالى ٨٥ كيلوجراما .. يميل إلى البدانة .. متوسط الطول .. الصلع يزحف على أكثر من نصف رأسه .. ليس فى جسده علامات مميزة .

وجاء فى التقرير .. أن القاتل كان فى الحجرة عندما دخلها القتيل .. الذى فوجىء به .. فقاومه بشدة .. وظهرت آثار المقاومة على رقبة وثياب القتيل ، الذى عولج بضربات شديدة على رأسه .. ثم كان أن كتمت أنفاسه بغطاء الفراش حتى فاضت روحه .

ولم يستبعد التقرير أن القتل كان بمعرفة أكثر من شخص .. لكن .. لا أحد جزم بذلك .

ولم يلحظ أحد أن الباب به آثار استعمال للعنف .. إلا أنه اتضح — فيما بعد — أنه فتح عنوة ، بواسطة سيخ رفيع جدا من الصلب .

ولا شك فى أن الجانى هو الذى وضع لافتة « عدم الإزعاج » بعد ارتكاب جريمته .. مما أخر اكتشافها .. وهذا يعنى أنه قاتل محترف .. مدرب .. هادىء الأعصاب .. لا يعرف الارتباك .. يجيد التصرف عند المفاجأة .. يفكر بسرعة .. ويتصرف أسرع .

بل .. أكثر من ذلك .. ترك الجانى وراءه ، متعمدا ، منشفة حمام (بشكير) ، لوثت بمساحيق نسائية ، من باب ارباك الشرطة ، وتحويل التحقيق إلى اتجاه بعيد .. وخاصة أن جرائم القتل لأسباب غرامية تأتى فى المقدمة فى فرنسا .. وقد التقط البوليس الفرنسى الطعم .. فكان أن بادر أحد رجاله معلقا على ما وجد :

« علاقة رومانسية » !

ثم .. ابتسم فى شماتة ، مشيرا إلى أن هناك — على ما يبدو — علاقة بين منشفة الحمام والعاهرة التى طاردته حتى حجرته .. وراودته عن نفسها بكافة وسائل الإغراء المفضوحة .. وهو بالطبع تفسير خاطىء وبعيد .

ولكن ...

أين هى **مارى كلود ماجال** حتى نعرف الحقيقة ؟

بعد حوالى الشهر .. بالتحديد فى ١٢ يوليو .. ذهبت **مارى كلود ماجال** إلى بار « أولدناين » فى « بوليفار سان جيرمان » .. وعندما غادرت المكان ، كانت ــ على حد ما جاء فى كتاب القنبلة الإسلامية ــ إما « **فى حالة سكر ، أو أنها تناولت مخدرا .. لأنها كانت بالكاد قادرة على السير** » .

كانت تترنح .. وتتمايل .. وتبدو غير قادرة على الرؤية بوضوح .. أو تقدير ما حولها .. ويقال إنها ارتطمت فى طريقها بسيارة .. فغضب السائق .. وهو يعمل فى محطة بنزين .. فدفعها بعيدا .. وألقى بها إلى عرض الطريق .

فى تلك اللحظة .. جاءت سيارة (طراز رينو ــ ٥) مسرعة .. فداستها .. وفى ثوان أصبحت جثة هامدة .. لا نفس فيها .

اختفت **مارى** إلى الأبد .

وانتهى شاهد العيان الوحيد .

المثير للريبة .. لا للدهشة فقط .. أن المتحدث بلسان الشرطة الفرنسية م **بيريه** استبعد أن يكون مصرع العاهرة متعمدا .. وأصر على أنه « **كان حادثا عرضيا ، مثل حوادث الطرق الكثيرة** » .

أما أم القتيلة فأكدت على أن ابنتها ذهبت ضحية جريمة مدبرة .. ليس مجرد حادث معتاد من حوادث السيارات .

وقالت :

١ ــ إن ابنتها لم تتعاطَ المخدرات من قبل .

٢ ــ إنها لم تكن تميل إلى المشروبات الكحولية .

٣ ــ إنها ــ بحكم مهنتها ــ لا توصل نفسها إلى مرحلة الثمالة .

٤ ــ إنها ــ قبل مصرعها بأيام ــ تلقت مكالمات تهديد هاتفية من شخص غريب « مجهول الهوية » .

□ □ □

استمع البوليس الفرنسى إلى ٥٠ شاهدا فى حادث الدكتور **المشد** :

العاملين فى الفندق ..

بعض النزلاء .

العاملين فى لجنة الطاقة الذرية الفرنسية الذين التقوا به خلال فترة وجوده فى باريس .

ولم يستبعد البوليس الفرنسى أن يكون القتل لأسباب سياسية ، بعد أن استبعد تماما الأسباب الجنائية .

ويدعم ذلك :

ــ أن الدكتور **المشد** كان على علم تام بتفاصيل التعاون الفرنسى ــ العراقى فى مجال المفاعلات النووية التى سلمتها فرنسا للعراق .

ــ أنه كان على علاقة قوية يالمسئولين فى لجنة الذرة الفرنسية ، وقد سبق أن استقبل ــ من قبل فى بيته ببغداد ــ المسئول الأول عنها .

ــ أيضا .. كان دائم التردد ــ وهو فى فرنسا ــ على المركز النووى فى كادراخ وبيرلات .. وعلى المعاهد النووية فى ساكلاى وفونتانا أورروز .

كذلك .. فإنه قبل اغتياله بساعات كان قد أنهى بنجاح مهمته فى فحص الوقود النووى من اليورانيوم المثرى بدرجة ٩٣ بالمائة والذى يمكن استخدامه فى صناعة القنبلة الذرية .. وحسب ما جاء فى الكتاب السابق الإشارة إليه ، فإنه كان راضيا .. « لقد جاء اليورانيوم المشبع وفقا للمواصفات ، وكانت لحظة رائعة للبرنامج النووى العراقى ، فمن الممكن الآن شحن اليورانيوم المطلوب دون أى تأخير » .

وقبل ذلك كله .. هناك سبب أهم ــ يأتى ذكره فى كتاب عين داود **لإيريش فولات** ــ هو أن الدكتور **المشد** « من كبار علماء الذرة فى العالم » .. وسمعته « فى هذا الميدان لا حد لها » .

ومن ثم .. فإن وجوده فى بغداد ، جعل الخبراء « **يؤكدون أن بإمكان العراق أن يصنع القنبلة الذرية فى عام ١٩٨٤ كحد أقصى** » .

أى أن قتله كان ضروريا للتخلص منه كعالم يستطيع أن يصنع القنبلة .. وهذا

يعنى تأخير العراق وتراجع فرصة حصوله على هذا السلاح الرهيب .. الذى لا تملكه ـــ فى منطقة الشرق الأوسط ـــ سوى إسرائيل .

وفى كتاب « الخيار النووى لإسرائيل » يقول المؤلف الصهيونى **شاى فيلدمان** :

« لقد تضرر البرنامج النووى العراقى مرة ثانية فى ١٣ يونيو ١٩٨٠ عندما قتل فى باريس عالم ذرة مصرى يدعى يحيى المشد » .. و .. « نظرا لكون المشد شخصية رئيسية فى البرنامج النووى العراقى وفى المفاوضات الفرنسية ـــ العراقية ، فقد شكل موته ضربة جدية للجهود العراقية »[1] .

□ □ □

المرة الأولى التى تضرر فيها البرنامج النووى العراقى ، كانت بعد التخريب الذى حدث فى ميناء طولون الفرنسى .. وسميت هذه العملية (**BIG-LIFT**) وقد قامت بها المخابرات الإسرائيلية .. ونشرت تفاصيلها ـــ لأول مرة ـــ فى كتاب د . **إيريش فولات** .. فأحدث ذلك ضجة عالمية ـــ على حد قول المترجمة **أسيمة جانو** ـــ حيث أصبح إحتمال اتهام الموساد ، حقيقة ، وكان من قبل مجرد تكهنات .

فى مساء يوم ٤ أبريل ١٩٧٩ هبط مطار طولون ثلاثة من رجال المخابرات الإسرائيلية ، يحملون جوازات فرنسية مزورة .. جاءوا على آخر طائرة أقلعت من باريس إلى طولون التى تقع فى جنوب فرنسا .. ومع أنهم كانوا معا .. فإن كلا منهم بدا غريبا عن زميليه .. وتفرقوا « دون كلمة .. ونزل كل واحد منهم فى فندق متوسط ، ودفع أجرة المبيت مقدما ، ثم تجول فى الساعة الحادية عشرة مساء فى المدينة ، ليتأكد من أن أحدا ما لا يتبعه ، ثم تقابل مع الآخرين فى حارة مظلمة بالقرب من محطة القطارات[2] .

كانت سيارة (رينو ـــ ١٢) تنتظرهم .. وقد انطلقت بهم إلى بيت منعزل يقع

---

(١) ص ـــ ٨٣ من ترجمة **غازى السعدى** ـــ الناشر دار الجليل للنشر ـــ عمان ـــ الأردن ـــ الطبعة الأولى ـــ يوليو ١٩٨٤ .

(٢) ص ـــ ١٥٢ من ترجمة **أسيمة جانو** ـــ الناشر مكتبة مدبولى القاهرة ـــ الطبعة الأولى ـــ ١٩٨٧ .

فى شمالْ المدينة .. وهناك انضموا إلى أربعة رجال آخرين .. وكان السؤال :

ــ أية خطة سننفذ ؟

كانت هناك خطتان :

الأولى : فك قلب المفاعل العراقى المعروف **بقرص العسل** ونقله من المصنع إلى تل أبيب .

الثانية : أن يتم تفجير قلب المفاعل إذا فشلت عملية انتزاعه .

واختيرت ليلة ٧ أبريل كساعة صفر للعملية . فقد أعلنت هيئة الأرصاد الجوية أنها ستكون ليلة مليئة بالغيوم السوداء .

وفرد العملاء السبعة أمامهم خريطة لموقع من مواقع « الصناعات البحرية » يعرف باسم س . ن . ى . م أو سنيم .. يقع فى بلدة لاسين سورمير .. وهى مدينة صناعية .. عمالية .. غير سياحية .. على بعد ٧ كيلومترات من طولون .. عدد سكانها حوالى ٥٠ ألف نسمة .. تضم ترسانة بحرية يعمل فيها ٥٣٠٠ عامل .. و٦٠ بالمائة مما تصنعه ، تصدره .. وليس هناك إجراءات أمن صارمة .. ولا تحظى المصانع بحراسة غير عادية .

ويضيف د . **إيريش فولات** :

« وحتى أبريل عام ١٩٧٩ لم يكن إلا قليلون جدا يعرفون أنه فى الصالة رقم (٣) توجد « قنبلة » زمنية . فهناك تخزن الأجزاء الرئيسية للمفاعلين الذريين تموز ــ ١ (أوزوريس) وتموز ــ ٢ (ايزيس) اللذين سترسلهما فرنسا إلى العراق . وبهذين المفاعلين وبالشحنة المحددة من اليورانيوم عالى النقاء ، والتى تبلغ ٦٥ كيلوجراما ، وسترسل مع أجزاء المفاعلين ، سيتمكن العراق ، وهو من أشد أعداء إسرائيل ، أن يخل بالتوازن العسكرى فى المنطقة . فالعراق فى هذه الحال يستطيع أن يصنع قنبلة ذرية تبلغ قوتها ستة أضعاف قوة القنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما ، وهذا وحده يعد كارثة لإسرائيل ، التى لم تدخر وسعا ولا صبرا ولا حيلة فى سبيل أن تكون الدولة الأولى و(الوَحيدة) فى الشرق الأوسط التى تمتلك القنبلة مهما كلفها ذلك » .

« ومرة أخرى يحاول الموساد أن يمنع أسوأ شيء يمكن أن يحدث له بأن تتوازن الدول المعادية لإسرائيل نوويا .. معها »[٣] .

كان من المقرر أن تشحن أجزاء المفاعلين ليلة ٩ أبريل .. حيث ستوضع على أوتوستراد رقم ٥٥٩ ــ ن إلى مرسيليا .. ومنها إلى البصرة .

وقد تسرب الخبر بواسطة أحد عملاء الموساد فى المصنع .

وكان من السهل اكتشاف السيارات المصفحة التى وضعها المصنع لحماية الشحنة السرية من الخطر .. وقد كان وجود هذه السيارات المصفحة ، المفاجىء إشارة معلنة لوجود ما يستحق الاهتمام .. والرعاية .. والتخريب أيضا .

وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ٥ أبريل تجول ثلاثة من عملاء الموساد بالقرب من الترسانة البحرية ، وعنابر التخزين الكبيرة ، المطلية بالأزرق والأبيض والأحمر ، وكذلك الحائط الذى يصل إلى حوالى مترين .

وفى صباح يوم ٦ أبريل .. بالتحديد فى الساعة الواحدة صباحا .. « انطلقت سيارتا نقل من البيت الريفى فى ضواحى طولون إلى مدينة لاسين . كانت المدينة هادئة تماما والليلة شديدة السواد .. وكان الإسرائيليون يعلمون أنه فى الساعة الثالثة صباحا « لا توجد دورية حول المكان » .

« كان هناك أربعة رجال فى السيارتين ، ظلوا بلا حراك مدة من الوقت ، ثم قفزوا ووضعوا سلالم معلقة على الجدران ، وتسلقوها ، وهرعوا إلى العنبر الذى فى أقصى اليمين ، وفتحوا الباب الدائرى بمفتاح خاص أحضره لهم عميلهم فى داخل المصنع ، وأبطلوا عمل جهاز الإنذار[٤] .

كان الإسرائيليون يعرفون أين الأجزاء المطلوبة .. فاتجهوا إليها متجاوزين أجزاء جاهزة لمفاعلات صنعت لهولندا ، وبلجيكا ، وألمانيا الغربية .

كان العمل قد انتهى فيما يخص العراق قبل أسبوع تقريبا .. حيث قاموا بتغليف

---

(٣) المصدر السابق ــ ص ١٥٣ .

(٤) ص ــ ١٥٤ ــ المصدر السابق .

« قلب المفاعل » بالأغطية البلاستيكية .. وحزم الخبراء حقائبهم استعدادا للسفر إلى بغداد ليشرفوا على تركيب القالب الرئيسى الذى كان مقررا نصبه على عمق ١١ مترا من سطح الأرض .

وكان مدير المصانع يشعر بالارتياح بعد أن أنقذه قرار صنع هذه التجهيزات من الإفلاس .

وفى يوم الحادث ، أغلق آخر عامل ، خرج من المصنع الباب بإحكام ، بواسطة تجهيزات إلكترونية ، حسب ما ذكر **اندجيه برونياريك** فى كتابه « خديعة المائة عام » ، نقلا عن صحيفة لونفيل أوبزرفاتور الفرنسية .

ثم ... يضيف :

ـــ وفى الساعة الثالثة صباحا كان الظلام يسود المنطقة وكانت أبنية العنابر الثلاثة تلمع وسط الظلام ، ولم يكن من الصعب الوصول إليها ، فهى محاطة من طرفيها بالميناء ، وبصف طويل من الأبنية ، وكانت الزوارق ترسو قرابة الشاطىء . وكان خط الحماية الوحيد على البر حائطا من الأحجار المكسرة ، غير مزود بأى أسلاك شائكة ولا ببقايا زجاج مهشم .. بل إنه لم يكن هناك وجود لهذا الحائط فى بعض الأمكنة .

وبالطبع كان الحرس يتجولون فى المنطقة ، لكن . كان ذلك من آن لآخر .. من باب رفع العتب .. وقد برر مدير المصنع هذا الأمر ، فيما بعد ، قائلا : « إننا لم نتعرض لأى حادث طوال الثلاث عشرة سنة الماضية » .

كانت الصناديق العراقية مميزة بأرقام وحروف معينة ، ومن ثم لم يصعب على المتسللين الإسرائيليين الوصول إلى هدفهم .

وعلى الفور راحوا يفكون « **قرص العسل** » أو قلب المفاعل ، المكون من ٨ أجزاء ، بدون صوت .. ولكن أيضا بدون جدوى .. وبعد ٤٠ دقيقة تراجعوا عن الخطة الأولى ، وشرعوا فى تنفيذ الخطة الثانية .. فكان أن أوصلوا « **قرص العسل** » بثمانى شحنات من المواد المتفجرة ، من النوع الذى يستعمل لتدمير الدبابات والعربات

المصفحة .. وأسرعوا بالخروج ، بعد تركيب جهاز تفجير مؤقت « معقد للغاية » ودقيق .. واختفوا فى سواد الليل .

بعد ٥ دقائق بالضبط كان الانفجار الذى هز المبنى ، بينما وردية الحرس الجديدة ، تتسلم نوبتها .. ولم تفلح صفارات الإنذار ، ولا سيارات الإطفاء فى إنقاذ الكثير .. فقد احترق حوالى ٦٠ بالمائة من المفاعلين ، وبلغت الخسائر ١٣ مليون دولار .

تولت المخابرات ــ لا الشرطة الفرنسية ــ التحقيق .. لارتباط الحادث بمواد مشعة .. محظورة .. على حد تعبير المسئول عن التحقيق .. الذى أضاف :

« إن عملية التخريب نفذت بدقة وبراعة تدل على خبرة فى التفجير ومعرفة فى التجهيزات النووية لدى من قاموا بها .. فلم يتصرفوا بشكل عشوائى وإنما اختاروا مباشرة الأجهزة المطلوب نسفها .. ولا شك فى أنه كان لهم شركاء مهمون داخل وخارج المصنع » .

ومن باب الخدع .. اتصل الإسرائيليون ــ بعد ساعات من الحادث ــ بشرطة طولون .. على أنهم منظمة لحماية البيئة .. تسمى « جماعة حماية البيئة الفرنسية » .. واعترفوا ــ على هذا النحو ــ بالعملية .. « وحذروا من أن الجماعة ستتابع مثل هذه العمليات ضد المفاعلات النووية » .

وبالرغم من أنه لا أحد سمع باسم هذه المنظمة من قبل .. فإن الشرطة الفرنسية صدقت هذا الاعتراف .. فقد كانت تريد أن تصدق .

□ □ □

جاك شيراك كان رئيس الحكومة فى فرنسا عندما وقعت اتفاقية التعاون النووى مع العراق فى سنة ١٩٧٤ .

الآن (عام ١٩٧٩) ... رئيس الحكومة هو **جيسكار ديستان** .

وقد وجد نفسه ــ بعد الحادث ــ بين نارين .. نار الرغبة فى استمرار التعاون التجارى والبترولى مع العراق .. ونار المعارضة التى ستحاسبه على ما سبق أن أعلنه ، بمنع تصدير اليورانيوم ، والأجهزة الذرية .. حتى لا يستشرى التسليح النووى فى العالم .

وضغطت الولايات المتحدة عليه حتى يتخلى ــ فى هذا المجال ــ عن العراق .
وضغطت الظروف الاقتصادية المتردية التى كانت تعانى منها حكومته عليه ، من ناحية أخرى .. فالعراق يصدر البترول إلى فرنسا بوفرة ، ومن الصعب إغضابه ، فى وقت لم يكن فيه شبح « العطش » النفطى (الذى حدث بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣) قد تلاشى بعد .. كما أن اتفاقية التعاون النووى معه تصل إلى ٢ مليار دولار .. وهو مبلغ لا يمكن الاستهانة به .
فى البداية اعتذر **ديستان** للعراق عن استمرار التعاون النووى .. وقال :
ــ إن توريد المفاعلات فى الوقت الحالى غير ممكن .. ولن يمكن قبل سنوات عديدة مقبلة .
لكن .. ذلك كان مؤقتا .. كما أضاف د . **إيريش فولات** .
« ففى مارس ١٩٨٠ أعلنت الحكومة الفرنسية فجأة ، وبكلمات مقتضبة وحاسمة عن تغيير سياستها الحالية بالنسبة لموضوع الذرة . فقد قررت الحكومة بيع اليورانيوم النقى إلى العراق ، وبناء مفاعل ذرى بطاقة ٧٠ ميجاوات (بتكلفة حوالى ٢٠٠ مليون دولار) ، وكذلك تدريب وتعليم ٦٠٠ عالم وفنى عراقى فى باريس . كما تلقى العراق من إيطاليا معامل أبحاث ذرية قيمتها ٣٠ مليون دولار . وأبدت البرازيل استعدادها لبيع اليورانيوم للعراق » .
وهكذا ...
دب النشاط من جديد فى البرنامج النووى العراقى .
ووجد الدكتور **المشد** نفسه فى ذلك الوقت .. فتابعته العيون .. وسجلت أنفاسه الآذان .. وكان أن أصبح هدفا حيويا .. لابد من التعامل معه على طريقة ما حدث فى ميناء طولون .
وقد كان !

□ □ □

□ ٥ □

دعوة إلى القتل !

في الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ١٦ يونيو ١٩٨٠ ، طرق مسئولون من هيئة الطاقة العراقية منزل الدكتور **يحيى المشد** في حي « المزيونة » ببغداد ..

كانت مهمتهم ثقيلة على قلوبهم .. إبلاغ أسرته بنبأ مصرعه .

ولأنه لا مفر من تأدية المهمة ، فقد قالوا لزوجته :

ـــ تشجعي .. البقية في حياتك .

لم يخطر على بال الزوجة أن بطل النبأ هو زوجها .. لكنها .. في الوقت نفسه أحست بالقلق .. وأدركت بفطرتها أن مستوى التعزية لابد أن يتناسب مع مستوى الفقيد .. فسألت بفزع :

ـــ من ؟

وعندما لم تسمع صوتا .. عرفت الإجابة ..

وصرخت :

يحيى !

ثم .. انهارت تماما !

كذلك ابنته الكبرى .. **لمياء** .

أما أمه التي كانت تعيش معه في العراق فقد أصابها الذهول ... بالخرس .. ودخلت حجرتها وراحت تلف حول نفسها وكأنها قد فقدت كل صلاتها بالجاذبية الأرضية .. ولشهور طويلة لم تكن تردد سوى عبارات قصيرة خاطفة .. مثل « لاحول ولاقوة إلا بالله » .

لقد كانت تتوقع الموت قبله .. وكانت توصيه دائما بأن يدفنها إلى جوار زوجها ... أبيه .. لكنها إرادة الله التى تحطم الناموس الطبيعى للأحياء .

وفيما بعد ...

قالت الزوجة :

ــ إنها عندما سمعت النبأ ، أحست أن زوجها « **مات بطريقة غير طبيعية** » .. وأنها احتضنت أولادها الثلاثة وبكت طويلا .. وراحت فى غيبوبة .. فاقت بعدها لتجد كل شيء حولها ، اتشح بالسواد .. وخيم الحزن على حياتها .

كان من المقرر أن يعود إلى أسرته فى ذلك اليوم الذى وصل فيه نبأ اغتياله !

وحسب ما قالته لى :

كان من المفروض أن ألحق به فى باريس .. وحصلت على تأشيرة دخول فرنسا بالفعل .. لكننى عدلت عن السفر ، عندما أدركت أنه لن يكون ملك نفسه هناك .. وأن علىّ تدبير أمورى وحدى .. وفضلت البقاء إلى جانب الأولاد .

لم يكن البيت فى بغداد يسمح باستقبال زوار .. أو معزين .. فقد كان فى حالة فوضى .. لأن أصحابه كانوا قد قرروا تركه ، والانتقال إلى بيت آخر .. فكان أن استعدوا لذلك ، بحزم الثياب ، وفك الأثاث ، والتخلص مما لايريدون .. والسبب أن مالك البيت رفع الإيجار إلى حد لم يتقبلوه .

إن المنزل لم يكن ليليق بعالم ذرة ... ومع ذلك كان إيجاره فوق احتماله .

كذلك ...

كان من المقرر أن تسافر الأسرة إلى القاهرة فى إجازة صيف طويلة .. شهر ونصف الشهر .. تبدأ من أول يونيو .. لكن .. جاءت مهمة باريس الأخيرة لتؤجل السفر .

وتقول الزوجة :

ــ « إنه كان يعمل فى العراق وعينه على مصر .. كان يتصنت أخبار المفاعل النووى المزمع إنشاؤه فى « سيدى كرير » والذى بدأ التخطيط له قبل رحيله ..

وكان ينتظر لحظة بدء العمل ليعود إلى بلده وأبحاثه وكتبه وتلاميذه ورسائل الدكتوراه التى كان يشرف عليها ، والتى كان عددها يصل إلى ٢٠ رسالة تقريبا » .

لكنه .. لم يعد .

ذهب إلى الموت فى بلاد الحياة !

□ □ □

تبدو .. شقة الدكتور **المشد** بالإسكندرية متوسطة المستوى .. يغلب عليها الصمت .. والسكون .. ويسيطر الذوق الكلاسيكى على الأثاث .. الذى غطى — لحمايته — بأغطية من قماش « الكريتون » .

وعلى منضدة فى حجرة الصالون صورة لرب الأسرة .. وبالقرب منها وسام من جامعة الإسكندرية منح له — كالعادة — بعد رحيله .. وعلى جدران « الصالة » شهادة تقدير من ورق البردى ، كرمته بها — بعد رحيله أيضا — نقابة المهندسين ، التى أضافت للقبه العلمى ، كلمة الشهيد .

وانكمشت مساحة الحياة فى المكان .. اختفى الانفعال .. بقيت الذكريات .. ذكريات الأولاد الذين كانوا ينتظرون والدهم ليفرغ من عمله .. ويقفون له طابورا ليأخذ كل واحد منهم دوره فى الدرس .. والحكمة .. « **نحن لا نسعى وراء المال لكن وراء العلم** » .. هكذا كان يقول لهم .. « **لابد أن نحترم رغبات الأولاد فى الانخراط بالدراسة التى يهواها كل منهم** » .. هكذا كان يقول لزوجته .

لقد رفض أن تضغط الأسرة على ابنته الكبرى « **لمياء** » لدراسة الطب أو الصيدلة .. وشجعها على دراسة « الفيزياء » العلوم التى تفضلها .

وقبل رحلة اللاعودة .. احتضن أولاده .. وأوصاهم « أن يرعوا أمهم ، ويسمعوا كلامها » .. ومع أنها توصية تقليدية .. فقد كانت آخر نصائحه .. وآخر ما سمعوه منه .

وتبدو زوجته كسيدة قوية .. لكن .. يبدو أيضا أن ما حدث كان أكبر من احتمالها .

لقد فقدت رغبتها فى الحياة .. وغطت رأسها بحجاب .. ودارت اضطرابها بممارسة عادة التدخين ..

وعندما أردت أن أسألها عما تعرفه عن قصة فتاة الهوى التى طاردت زوجها فى فندق المريديان ، قبل اغتياله بدقائق ، وجدت نفسى محرجا .. أقدم كلمة .. وأؤخر أخرى .. لكنها .. حسمت ترددى وقالت :

ــ كان زوجى مثاليا بمعنى الكلمة .. وقته كله للبيت وأولاده وعمله وأبحاثه ..

لكن .. قيل ...

ــ لقد سمعت هذه القصة .. ولا أعرف عنها أكثر مما قيل .. ومن الجائز أن تكون قد حدثت .. فهذا العالم السرى لا يستنكف استخدام أى شىء لتحقيق أهدافه القذرة ..

ــ أعترف لك بالحكمة ورباطة الجأش والثقة بالنفس ..

ــ إننى لم أشك لحظة واحدة فى يحيى .. الله يرحمه .

ــ الله يرحمه .

أما ابنته **لمياء** فتبدو ملامحها أقرب إلى ملامح أبيها .. وهى تميل إلى الهدوء مثله .. ولا تتكلم كثيرا .. مثله أيضا .

وتبدو **إيمان** أكثر عزلة .. إن موت أبيها ضاعف من إحساسها بالوحدة .. إنها الأصغر .. ومن ثم فقد دفعت الثمن أكثر .

□ □ □

فى ٢٩ يونيو ١٩٨٠ .. كان الدكتور **يحيى المشد** سيحتفل ــ لو عاش ــ بعيد زواجه العشرين .

وفى اليوم الذى وصل فيه جثمانه إلى القاهرة ، فى تابوت ، ببطن الطائرة ، كان من المقرر الاحتفال بعيد ميلاد توأمه **أيمن وإيمان** .

إن أعداء الحياة وأنصار الموت .. قتلة الدكتور **المشد** .. قلبوا كيان أسرته الصغيرة .. وأحرقوا قلوب أفرادها .. وحولوا أفراحها إلى مآتم .. وضحكاتها إلى تشنجات .. وزهورها إلى « صبار » .. لعنة الله عليهم ..

□ □ □

بطبعه .. كان الدكتور **المشد** كتوما .. لا يبيح بأسرار عمله .. ولا يثرثر فيما يفعل .. فسر العمل عنده كان مقدسا .

وتعترف الزوجة :

ــ « أنا نفسى لم يكن يقول لى ماذا يفعل .. لم يكن يشركنى معه فى أى شىء .. ولم أضبطه يوما يتحدث مع أى شخص عن عمله » .

كذلك ... **« لم يكن يتكلم عن نفسه »** .

ويبدو .. أن ذلك جعل من عمل معهم ــ فى أى مكان ــ لا يعرفون قيمته .. وتضيف الزوجة :

لقد حدث ذلك فى العراق ، كما حدث فى مصر .. فلا أحد فى مصر سأل نفسه « هو ساب البلد ليه ؟ » .. وبعد اغتياله ، قابلت كبار المسئولين فى العراق ، وقد فوجئوا بأنه كان يعيش تلك الحياة المتواضعة .. واعترفوا لى بصراحة أنهم لم يعطوه قدره ، ولم يعرفوا قيمته إلا بعد أن قُتل .

لا أحد تصور خطرا على حياته .

لا أحد تصور أن ما يفعله يمكن أن يقتله .

لا أحد تصور أن عالم ذرة مثله ، يمكن أن يصنع القنبلة النووية ، قد يتعرض للاغتيال ... أو أن رأسه يمكن أن تكون مطلوبة .

فلم يذهب معه من يحرسه ... ولو من بعيد لبعيد .

وسافر مكشوفا إلى فرنسا وكأن مهمته شراء عجينة بارفان لا عجينة التفجير النووى .

بل ... لا نتجاوز إذا ما قلنا إن خبراء صناعة العطور ، والثياب الداخلية ، والسيارات ، ولعب الأطفال ، يحاصرون بحراسة مشددة ، خفية ، خوفا على حياتهم من الشركات المنافسة .

إن التجسس الصناعى والعلمى أصبح الآن أشد خطورة من التجسس السياسى

والعسكرى .. ولم يعد أقل أهمية ــ بالنسبة لأجهزة المخابرات ــ من الزعماء والجنرالات .. فرءوسهم مطلوبة .. وقتلهم لا مفر منه .. أحيانا .. أو غالبا[1] .

وحسب ما قالته الزوجة فإن العراقيين ، أقروا بهذا التقصير ، وأدركوا أنهم أخطأوا عندما لم يحرسوه .

وسألتها :

□ ألم يشعروا بالخطر عليه ؟

ــ **كلا .**

□ ألم يضعوه تحت الحماية فى بغداد ؟

ــ **كان تحت المراقبة .**

□ يعنى ... كان الخوف منه .. لا عليه ؟

ــ **هذا هو قانون الاغتراب .**

لكن ...

للإنصاف .. لم يقصر العراقيون مع أسرة الدكتور **المشد** ..

بعد الوفاة .. أصروا على أن يدفن فى بغداد .. ولكن .. زوجته طلبت أن يدفن فى القاهرة .. فأرسلوا لها مصاريف نقل الجثمان والجنازة .

ولمدة شهرين ، بعد الحادث ، بقيت الزوجة وابنتها الكبرى فى بغداد وكان أن قابلت الرئيس صدام حسين ، الذى أصدر القرار التالى .. برقم ١١٦٨ ــ بتاريخ ٢٢ ــ ٧ ــ ١٩٨٠ :

« يمنح عيال المتوفى الدكتور يحيى أمين المشد [مصرى الجنسية ــ المستخدم لدى منظمة الطاقة الذرية سابقا] راتبا تقاعديا مقطوعا قدره ٣٠٠ دينار شهريا ، وتطبق بحقهم أحكام تقاعد العائلة الواردة فى الفصل الثامن من قانون التقاعد المدنى رقم ٣٢ لسنة ١٩٦٦ ..

ويتولى رئيس منظمة الطاقة الذرية ووزير المالية تنفيذ هذا القرار » .

صدام حسين

رئيس مجلس قيادة الثورة

---

(١) لأهمية موضوع التجسس العلمى والصناعى أقترح قراءة كتاب **بريان فريمنتل** ــ **THE STEAL** الناشر **مايكل جوزيف** ــ لندن ــ ١٩٨٦ .

ولا يزال المعاش يصرف إلى الآن .. فهو مدى الحياة ..

أيضا .. تقرر ، شفاهة ، تعويض قدره ٣٠ ألف دينار ، لشراء بيت للأسرة فى الإسكندرية ، تولت السفارة العراقية ، دفعها على أقساط حسب أقساط شراء البيت .

كذلك .. فإن العراقيين ، اشتروا أثاث البيت الذى عاش فيه الدكتور **المشد** فى بغداد بأكثر مما يستحق ..

وقد عرفت فيما بعد ، أن العراقيين اكتفوا ـــ بعد الحادث ـــ بنشر خبر صغير ، خاطف عن مصرع الدكتور **المشد** ، اتهموا فيه « العدو الصهيونى » بالجريمة .

وفيما بعد .. أيضا .. قال لى المخرج السينمائى الكبير **صلاح أبو سيف** إن وزارة الثقافة العراقية تحمست بعد الحادث لإنتاج فيلم عن حياة الدكتور **المشد** ، وطلبوا منه ذلك .. لكن .. المشروع سرعان ما خفت .. ثم كان أن دُفن .

فى ذلك الوقت كان **صلاح أبو سيف** هناك يخرج فيلم « القادسية » .. ولم يكن من السهل عليه مجاراة الحماس المؤقت الذى نتميز به فى مثل هذه الأحداث .. فقد كان الموضوع غامضا .. والبطل مجهولا تماما .

كذلك ... تحمس العراقيون لبناء نصب تذكارى للقتيل ـــ الشهيد .. لكن .. مرة أخرى كان الحماس نوعا من الانفعال المؤقت .

وفى ١٧ أغسطس ١٩٨٠ ، تبرعت زوجة الدكتور **المشد** إلى مكتبة منظمة الطاقة الذرية العراقية بنسخ رسائل الدكتوراه والماجستير التى أشرف عليها زوجها .. ومنها :

١ ـــ رسالة ماجستير ـــ جامعة الإسكندرية ـــ كلية الهندسة ـــ ١٩٧٠ ـــ بعنوان : التأثيرات الناتجة عن وجود وحدة وقود غريبة وصغيرة داخل المفاعل النووى ـــ الطالب : **محمد يسرى محمد جوهر** .

٢ ـــ رسالة ماجستير ـــ جامعة الإسكندرية ـــ كلية الهندسة ـــ ١٩٧١ ـــ

بعنوان : حسابات الرنين فى تصميم المفاعلات ــ أو الامتصاص الرنينى فى المفاعلات ــ الطالب : **العراق على إبراهيم** .

٣ ــ رسالة ماجستير ــ جامعة الإسكندرية ــ كلية الهندسة ــ ١٩٧٢ ــ بعنوان : تطوير الطرق التكرارية فى التحليل العددى للمفاعلات النووية ــ الطالب : **فوزى حاكم ديمترى** .

٤ ــ رسالة ماجستير ــ جامعة الإسكندرية ــ كلية الهندسة ــ ١٩٧٣ ــ بعنوان : التفاعلات النيوترونية فى المفاعلات ــ التوزيع الدقيق للنيوترونات الحرارية وعامل الاستفادة الحرارى فى خلايا المفاعلات ــ الطالب : **يسرى السيد أبو شادى** .

٥ ــ رسالة ماجستير ــ جامعة الإسكندرية ــ كلية الهندسة ــ ١٩٧٣ ــ بعنوان : تقييم المقاطع العرضية الفعلية للنيوترونات السريعة والفوق حرارية ــ الطالب : **محمود زكى حسن يوسف** .

٦ ــ رسالة دكتوراه ــ جامعة الإسكندرية ــ كلية الهندسة ــ ١٩٧٤ ــ بعنوان : تحليل المفاعلات ــ توزيع الفيض النيوترونى الحرارى فى الخلايا المربعة باستعمال نظرية الانتقال النيوترونى ــ الطالب : **محمد يسرى محمد جوهر** .

٧ ــ رسالة ماجستير ــ جامعة الأزهر ــ كلية العلوم ــ ١٩٧٤ ــ بعنوان : تحديد الفيض النيوترونى فى المفاعلات النيوترونية تحت الحرجة فى ظروف مختلفة ــ الطالب : **السيد حسن القلا** .

٨ ــ رسالة ماجستير ــ جامعة الإسكندرية ــ كلية الهندسة ــ ١٩٧٦ ــ بعنوان : تطبيق معادلات الانتشار لتحديد توزيع الفيض النيوترونى فى المفاعلات ــ الطالب : **عبد المحسن مرسى متولى** .

وتبرعت الزوجة ببعض الكتب العلمية التى كان يقتنيها الدكتور **المشد** :

منظمة الطاقة الذرية العراقية
التوثية ـــ بغداد
ص .ب : ٧٦٥
دائـرة الشئـون الإداريـــة
العدد ٦٣٦٢/١/٤
التاريخ ٨٠/٨/٢٧

السيدة زنوبة على الخشخانى

حرم المرحوم الدكتور يحيى أمين المشد

نقدم لك شكرنا لإهدائك بعض الكتب العلمية إلى مكتبة المنظمة متمنين لك التوفيق . مع التقدير .

جاسم محمد اسعيد

د . مسئول المكتبة الفنية

وحسب الوثائق التى اطلعت عليها ، فإن ما تركه عالم الذرة الكبير كان :

ـــ ٧٨٤ دولارا أمريكيا ـــ حساب عملة اجنبية رقم ٢٣٠٥ لدى بنك مصر .

ـــ ٣٠٠٠ دولار أمريكى ـــ سندات تنمية رقم ٨٤/٨٢/٨ لدى بنك الإسكندرية .

ـــ ٢١٧٨٥ دولارا أمريكيا ـــ حساب جارى لدى بنك أبو ظبى ـــ فرع الاسكندرية .

هذا كل ما تركه .. بعد ٣٠ سنة من الدراسة .. وحوالى ٢٠ سنة من العمل .. وأكثر من خمس سنوات من العمل فى العراق .

والمبلغ أقل من دخل تاجر فاكهة فى سوق روض الفرج فى أسبوع ..

ولا بد أن ننتبه إلى أن المبلغ انخفض إلى النصف ـــ قبل أن يصل إلى الورثة ـــ بسبب ضريبة التركات فى مصر .. وما يسمى برسم الأيلولة .

كما أن وجوده فى بنوك مصرية جعل من السهل اصطياده .

فقد كان الدكتور **المشد** يعمل فى الخارج .. ولكنه .. يضع مدخراته فى الداخل .. على عكس الذين يعملون فى الداخل ، ويضعون أموالهم فى الخارج !

□ □ □

لم يكن من المقرر أن يسافر الدكتور **المشد** إلى باريس فى ذلك الوقت ... كان يستعد للقيام بالإجازة .. واشترى بالفعل تذاكر السفر لأسرته ... لكن .. دون مقدمات فوجىء ـــ وهو فى مكتبه بمنظمة الطاقة الذرية العراقية ـــ بتليفون من المسئول عن البرنامج العراقى فى مؤسسة الطاقة الذرية الفرنسية ، وجرى الحوار بينهما على النحو التالى الذى أفضى به إلى زوجته :

□ آلو .. دكتور **مشد** ؟

ـــ **نعم ..**

□ وصلنا ما تريد من مواصفات .. وهى مختلفة عما سبق إرساله لكم .

« كان الكلام يدور حول اليورانيوم » .

ـــ **نعم .. لذلك .. فقد أعدنا لكم الكميات غير المطابقة للمواصفات ..**

□ فعلا .. ونحن نرى أن تأتى بنفسك لتطمئن على ما تريد .

ـــ **لكن .. هذه المهمة يمكن أن يقوم بها أى مهندس أو خبير عادى ..**

□ لا .. لا .. يادكتور .. إننا نثق فيك أكثر .

ـــ **الأمر لا يحتاجنى .**

□ بل .. يحتاجك .

ـــ **لكن ...**

□ نحن نريدك .. لا مفر .. لابد أن تأتى ..

ـــ **سأقوم بإجازتى بعد ساعات .**

□ إذن ... لنؤجل المهمة إلى حين عودتك .. وإن كنا نرى أنها لا تحتمل الانتظار .. كما أننا لن نتحمل مسئولية التأخير .

ـــ **سأرسل بدلا منى ..**

□ لابد أن تأتى .. نحن لانريد سواك .. أورفوار .. دكتور ..

ـــ **أورفوار ..**

انتهت المكالمة التليفونية .. وأصيب بحالة من القلق المفاجيء ، أضفت عليه مزيدا من التوتر المكتوم ، الذى سرعان ما انفجر .. مما انعكس على علاقته العائلية ، وعلى زوجته التى عرفت ما جرى بعد أن أصرت على ذلك .. حتى تدرك ما به ..

لقد تسرب إحساس بارد بالخطر إلى نفسه .. جعله يتكلم لغة الموت ، ويستخدم عبارات مثل « إن كان لنا عمر » .. وعندما زل لسانه ، وقال : « الواحد يا يرجع .. يا ما يرجعش » .. انهارت الزوجة . ووجدوها فى الأرض ..

وفيما بعد .. سألتها :

□ لماذا سافر إذا كان قد شعر بالخطر ؟

ــ **عناده .. وصلابة رأيه .. وإصراره على التحدى .**

□ إذن .. لماذا لم يبلغ العراقيين بهواجسه ؟

ــ **خشى أن يتهم بالجبن .**

□ معنى كلامك أنه استدرج إلى كمين لقى فيه حتفه .

ــ **تماما ..**

□ ومعناه أيضا .. أنه كان هناك إصرار على اغتياله ؟

ــ **لا تفسير آخر لما جرى .**

□ ومعناه كذلك .. وجود عملاء بين الفرنسيين فى هيئة الطاقة الذرية الفرنسية سهلوا عملية التخلص منه ؟

ــ **ما عرفته فيما بعد يؤكد ذلك .**

□ □ □

وهذا الكلام يجعلنا نستنتج :

١ ــ أن الفرنسيين أرسلوا من باب الخداع العلمى ــ يورانيوم غير مطابق للمواصفات ، من حيث الكميات ، والمواصفات .

٢ ــ أن طلبات الدكتور **المشد** الصارمة فى هذا الشأن ، جعلتهم يدركون بسهولة ما وراء ذلك ، وما يمكن أن يؤدى إليه ، أو يترتب عليه ..

٣ ـــ من بينهم من كان يتابع ذلك لحساب دولة عدو ليس من مصلحتها أن يصنع العراق القنبلة النووية .. بل ليس من مصلحتها أن يطور برنامجه النووى .. لا جدال فى أنها إسرائيل .

٤ ـــ أن تفاصيل البرنامج النووى العراقى ـــ الفرنسى كانت معروفة للإسرائيليين .. ومن ثم .. لم يكونوا فى حاجة لسرقة مفكرة الدكتور **المشد** ليعرفوا ما يفعل ، وبمن يتصل .. كما قيل تفسيرا لاغتياله .. حتى يبدو الاغتيال وكأنه بالصدفة ، عند دخوله حجرته ، والقاتل يعبث بأوراقه .. وحتى لا يبدو متعمدا ومع سبق الإصرار والترصد ..

٥ ـــ أن ثمة رائحة عفنة تسربت من أفواه الذين استدرجوا الدكتور **المشد** إلى باريس ، وأصروا على أن يأتى بنفسه ليقتل .

٦ ـــ أن هدف القتل ـــ كما أكد من قبل ـــ كان تعطيل البرنامج النووى العراقى .. وهو ما تحقق بالفعل .. كما اعترف **شاى فيلدمان** أستاذ الطاقة الذرية بجامعة تل أبيب .

□ □ □

وسألت الزوجة :

□ هل سبق ان تلقى الدكتور **المشد** تهديدا من أى نوع ؟

أجابت بكلمة خاطفة :

ـــ كلا !

وسألتها :

□ هل تعتقدين أنه كان سيصنع القنبلة الذرية ؟

قالت :

ـــ هو كان عنده إيمان بذلك .. « وكان عنده فى مخه أنه حيعمل حاجة زى كده » .. وفى أيام الاضطراب قبل السفر ، قال لى : « أنا عايز لما أموت الناس كلها تعرف أنا مين .. أنا مش أى حد .. ولا أى حاجة .. لازم لما أموت يعرفوا قيمتنا ، ويندموا على رحيلى بعيداً عنهم » .

□ وهل كان يشعر بأن ما يفعله يشكل خطورة على حياته ؟

ــ نعم ..

□ هل أعيد عليك السؤال ؟

ــ لا .. وإجابتي .. نعم كان يشعر بذلك !

□ كيف ؟

ــ أكثر من مرة قال لى .. « إننى ظللت أعمل .. وأعمل .. وفى أعماق الكثير .. ولا أحد أحس بما أشعر » !

□ هل معنى ذلك أنه قرر أن يدخل التاريخ .. حتى ولو كان الثمن حياته .. حتى ولو كتب ذلك بدمه ؟

ــ فعلا .. فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة .

□ هذا قدر العلم فى مجتمعات لا تحترم سوى الخرافة .

ــ الإحساس بعدم التقدير ، يدفع الكفاءات إلى التهور ، إلى الانتحار !

□ هل كان يعرف أن القنبلة الذرية لعنة قد تصيب من يعرف سرها قبل أن يفجرها ؟

ــ بالتأكيد .

□ □ □

□ ٦ □

هدم المعبد الثالث !

اتُّخذ قرار البدء فى السير ناحية القنبلة الإسرائيلية فى سنة ١٩٥٥ .

كان القرار سرا .

وكان صاحبه ، والساعى إلى تنفيذه ، **ديفيد بن جوريون** .

إن **بن جوريون** ، ومنذ اللحظة الأولى لإعلان دولة إسرائيل ــ كان يرى دائما « أن اللغة الوحيدة التى يفهمها العرب هى القوة » .. وأن إسرائيل « دولة صغيرة جدا .. ومعزولة .. ولو لم تزد قوتها الفعلية بمعدل كبير فإنها لن تنجو من المتاعب » .

ولذلك .. فإنه لن « يقبل العرب السلام إلا بعد إذلالهم .. فى حروب متتالية .. ولن يستمر السلام إلا إذا استمر الإذلال .. ولا سلام إلا بشروط إسرائيل .. ولن تستطيع إسرائيل فرض شروطها إلا إذا كانت الأقوى دائما » .

وفى بداية الخمسينات اعتقد **بن جوريون** ومعاونوه (**ديان وبيريز ولافون**) أن العرب ــ رغم الهزيمة ــ لن يقبلوا بالتسوية ولا بالتفاوض .. وأن ذلك لن يكون إلا إذا سلم العرب باستحالة القضاء على اليهود وإزالة إسرائيل .. ولن يسلم العرب بهذا إلا إذا امتلكت إسرائيل السلاح النووى ، وحرم العرب منه .. وظهر شعار « لن يحيا أحد من بعدنا » .. وإذا هدم المعبد فليدفن تحته الجميع .

وفى دراسة بعنوان « سجناء الخوف ــ نظرة إلى البرنامج النووى الإسرائيلى » نشرت فى عدد رقم ٢٢ (فبراير ١٩٨٧) من مجلة « أميريكان ــ أرب أفيرز » يقول **مارك جافنى** ــ ص ٧٥ وما بعدها :

ــ إن رأى بن جوريون كان يتضمن تشاؤما عميقا من جانبه ومن جانب

معاونيه .. فقد كان لا يتوقع إلا الأسوأ .. ويستعد له .. والسبب تكوينه النفسى الخاص .. كما أنه لم يفهم العرب ، ولم يعرف سوى القليل من ثقافتهم .. ومن ثم كان لا يكن لهم أى تعاطف .. وكانت صورتهم أمامه مثل صور الأشباح المخيفة .. ومع مرور الزمن تضاعف جموده .

وقد نُشر مؤخرا فى إسرائيل كتاب بقلم **توف سيجن** ، يعتمد أساسا على الوثائق الرسمية ، الإسرائيلية ، ويظهر بشكل حاسم أن **بن جوريون** ومساعديه المقربين قد تجاهلوا الإشارات الواضحة للسلام التى أرسلتها الدول العربية بعد هزيمتها فى حرب ١٩٤٨ .

وفى ذلك الوقت لم يكن جميع قادة إسرائيل يشاركون **بن جوريون** أفكاره المنحازة ، سواء التى تتعلق بالعرب ، أو التى تتعلق بالخيار النووى .

وقد اعترف د . **ارنست بيرجمان** ، رئيس لجنة الطاقة النووية الإسرائيلية ــ فى محاضرة ألقاها فى تل أبيب ــ أن قادة إسرائيل باستثناء اثنين أو ثلاثة ، كانوا يعارضون السياسة النووية ، واعتبروها سياسة متهورة .. مجنونة .. وغير مسئولة .

وأضاف **بيرجمان** ــ أحد رجال **بن جوريون** ــ أن البرنامج النووى « لم يتم تنفيذه إلا بفضل عبقرية **بن جوريون** » الذى نجح فى حشو البرنامج فى بلعوم الدولة .

وفى مناسبة أخرى قال رجل آخر من رجال **بن جوريون هو شيمون بيريز** : إن الكثيرين انتقدوا البرنامج وأصروا على أنه مغامرة سياسية « ستجعل العالم يتحد ضدنا » .. ووصفوه بأنه كارثة بكل المقاييس السياسية والاقتصادية والعسكرية .

وباستثناء **موشى ديان** ، فقد عارض القادة العسكريون قرار التسليح النووى ، وكان على رأس المعارضين **إيجال ألون** ، قائد الكوماندوز فى حرب ١٩٤٨ ، والذى يعتبر واحدا من ألمع المخططين الاستراتيجيين .. هناك .. وإلى جانبه كان رئيس الأركان الأسبق **إسحق رابين** ، وأيضا **إريل شارون** .

إن المعارضين كانوا صقورا كذلك .. لكنهم كانوا يفضلون الاعتماد على القوة العسكرية التقليدية فى سحق العرب .

على الجانب الآخر ، كان هناك من يفضل السلام .. مهما كان الثمن .. وفى هذا الفريق كان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى **ناحوم جولدمان** .. وفيلسوف اللاهوت ــ اليهودى **مارتن بوبر** .

لقد طالب هؤلاء بسياسة دفاعية غير استفزازية .. واقتنعوا بأن حالة الحرب تتعارض مع مصالح إسرائيل على المدى البعيد .. حيث إنها ستخلق أعداء جددا .. وستضاعف من عزلة إسرائيل فى المجتمع الدولى .

وتجرأ البعض وطالب بحقوق الفلسطينيين المشروعة .

ويضيف **مارك جافنى** :

« وكانت أسباب معارضة تطوير البرنامج النووى واضحة بين المثقفين .. وهى أن البرنامج لا يهدف إلا للدمار .. ولو كانت له أهداف سلمية ، فهى فى المؤخرة ، كما أن الدور المدنى للجنة الطاقة الذرية هو مجرد دور استشارى .. فقط .. فالقرارات الكبيرة تتخذها وزارة الدفاع ، التى كان **بن جوريون** ــ الذى وصف بأنه [نبى النيران] ــ يسيطر عليها ، وكان هو الذى يتحكم فى البحوث النووية وتطويرها .. وإذا نظرنا للأحداث بعد وقوعها ، فإننا نجد أنه مارس ــ خلال تلك الفترة ــ نفوذا سياسيا ديكتاتوريا ، فى دولة يفترض أنها ديموقراطية » .

فعندما استقال أعضاء لجنة الطاقة الذرية ــ باستثناء رئيسها **بيرجمان** ــ لم يحدث أى تحقيق حول الأسباب .. ولم يعين أعضاء جدد .. واستمر **بيرجمان** رئيسا .. كما لو أن شيئا لم يحدث .. على الرغم من أنه منذ ذلك الوقت ، لم تعد هناك لجنة يرأسها .

وهذا يعنى أن اللجنة كانت مجرد غطاء لبرنامج عسكرى .

□ □ □

وهناك تفسيرات عديدة تقول : إن مفاعل ديمونة هو الطفل الذى أنجبته حرب ــ ١٩٥٦ ، لكن وثائق المخابرات الأمريكية ، أشارت إلى أن قرار تأسيس ديمونة اتخذ فى سنة ١٩٥٥ ، واعترف **شيمون بيريز** بذلك ، فيما بعد .. واعترف أيضا بأن أحداً لم يناقشه .

وفى سيرتها الذاتية ، زعمت **جولدا مائير** أن **بن جوريون** كان ديموقراطيا .. لكنها .. فى مذكراتها المنشورة فى ٤٠٠ صفحة لا تشير ، بكلمة واحدة إلى برنامج إسرائيل النووى ، بالرغم من أهمية الموضوع .. وهذا الإغفال الواضح يوحى بأن **مائير** كانت تخفى الكثير .

ولا جدال فى أن الكنيست الإسرائيلى لم يعرف أى شيء عن « ديمونة » لسنوات عديدة .. على أن الغالبية الساحقة من الإسرائيليين كانت تعارض السلاح النووى فى ذلك الوقت .. ولم يهتم **بن جوريون** بالتشاور مع البرلمان أو بالحصول على موافقته ، بل حتى لم يهتم بإخباره بما يجرى ، حتى أرغم على ذلك فى ديسمبر ١٩٦٠ .

لقد كان يقال إن « ديمونة » مصنع نسيج ، لكن **بن جوريون** أعلن — فى ذلك الوقت — أنه مفاعل نووى لأغراض سلمية فقط ، ولا يهدف إلى إنتاج الأسلحة النووية .

وحتى يبدو مقنعا فى الكذب ، أضاف المزيد من التفاصيل الخيالية ، ووصف « ديمونة » بأنه معهد علمى لبحث مشاكل الصحراء .. وبأن المفاعل الذى هناك سوف يخدم حاجات الزراعة والطب .. ووصف التقارير التى تقول إن المفاعل لإنتاج السلاح الذرى بأنها « أكاذيب مقصودة » .. وأصر على أن البلوتونيوم الذى سينتج ، سيعود إلى الدولة التى تقدم اليورانيوم .

وبعدما أعلنه الصهيونى العجوز انفجرت فى إسرائيل جولة جديدة من الاحتجاجات ، وظهرت أول حركة للسلام ، عرفت باسم لجنة (إبعاد الأسلحة النووية عن الصراع العربى — الإسرائيلى) وتكونت من المثقفين البارزين والعلماء وضمت عددا من أعضاء لجنة الطاقة المستقيلين .. وأعلنت اللجنة رفض الخيار النووى .. وطالبت بإبعاد الأسلحة النووية عن الشرق الأوسط .

وفى الكنيست ، طالب الجناح اليسارى فى حزب مابام بنزع السلاح النووى فى المنطقة .. وردت الحكومة قائلة : إنها لن تكون أول من يدخل السلاح النووى فى المنطقة .

وبعد عامين أعلن وزير الدفاع **شيمون بيريز** أن وزارته تستخدم ديمونة فى تحلية بليون متر مكعب من ميناء البحر سنويا ، حتى يمكنها أن تحول صحراء النقب إلى حديقة .. لكن .. ما أعلنه لم يكن له ظل من الواقع .

والحقيقة أن إسرائيل رفضت مشروعا أمريكيا لتحلية المياه وزراعة النقب .. تكلفته ٤ ملايين دولار .. بشرط إخضاع مفاعل ديمونة للتفتيش .. وجاء الرفض من **بن جوريون** .. على الرغم من أن المشروع كان سيقدم الكثير للاقتصاد الإسرائيلى النحيف .

إن « ديمونة » كانت لتصنيع الدمار لا لزراعة الزهور كما ادعى **بيريز** .

وإزاء اقتراب سحب الخطر النووى لم يسكت العرب .. ففى أغسطس ١٩٦٥ أشار **محمد حسنين هيكل** ـــ لأول مرة ـــ فى « الأهرام » إلى أن إسرائيل تقترب من إمكانية التفجير الذرى .

وقبل أن تنتهى تلك السنة ، حذر الأمين العام لجامعة الدول العربية ، جميع الأعضاء من أن إسرائيل قد تستخدم الأسلحة النووية فى أى حرب قادمة .

وخلال الشهور الأولى من سنة ١٩٦١ أشار **جمال عبد الناصر** .. نفسه ، عدة مرات إلى هذا الخطر .

وقد استقال **بن جوريون** من الحياة السياسية فى سنة ١٩٦٣ ، ولم تكن إسرائيل قد توصلت إلى القنبلة الذرية .. فكان على **موشى ديان** أن يواصل المشوار .. وعندما عين وزيرا للدفاع قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، أصدر تعليمات سرية للتقدم فى استكمال مفاعل ديمونة بالأجزاء الحيوية التى تفصل البلوتونيوم .. وذلك على الرغم من أن رئيس الوزراء (**ليفى أشكول**) وأعضاء الكنيست ، كانوا يعارضون هذه الخطوة .

فقبل سنة تقريبا .. أى فى سنة ١٩٦٦ ، اقترح **أشكول** على الرئيس الأمريكى **جونسون** تجميد العمل فى ديمونة ، فى مقابل شحنات جديدة متطورة من الأسلحة الأمريكية .

ولم يرفض **جونسون** العرض .. وقدم أسلحة بتسعين مليون دولار لإسرائيل .. وهى أكبر معونة قدمت إليها فى سنة واحدة حتى ذلك الوقت .

لقد التزمت الولايات المتحدة .. لكن .. إسرائيل لم تلتزم .

فعندما كانت شحنات الأسلحة تصل إليها ، كان العالم الذرى اليهودى **يوفال نيومان** ينفذ البرنامج الذى صممه للحصول على البلوتونيوم .

وأغلب الظن أن **جونسون** ضحك فى سره .. منشرحا .. فقد أرسلت وزارة الدفاع الإسرائيلية ـــ فى ذلك الوقت ـــ ١١ مهندسا نوويا إلى الولايات المتحدة للتدريب على تكنولوجيا التجارب النووية التى تجرى تحت الأرض .. وساهم هؤلاء فيما بعد فى التحقق من فاعلية القنبلة الإسرائيلية .

وتؤكد مجلة « تايم » أن وزارة الدفاع الإسرائيلية أطلقت يد علمائها للشروع فى تنفيذ برنامج إنتاج القنبلة الذرية « فى أعقاب حرب عام ١٩٦٧ » .. وبعد أسبوع واحد من توقيت تلك الحرب ، أكدت صحيفة « نيويورك تايمز » أن مصادر رسمية فى تل أبيب قالت : « **إن خطوة إسرائيل التالية قد تكون تصنيع القنبلة الذرية** » .

ولا يستبعد أن تكون إسرائيل قد توصلت إلى القنبلة الذرية فى سنة ١٩٦٨ . لكن ...

المؤكد أنها توصلت إليها خلال الفترة ما بين ١٩٦٨ ـــ ١٩٧٣ .

ويؤكد لى الدكتور **عصمت زين الدين** أن حسابات العلم والسياسة تقطع بأن إسرائيل صنعت القنبلة الذرية وتوصلت إليها فى سنة ١٩٧٢ .

وهذه الحسابات كانت معروفة لدى مصر منذ منتصف الستينات .. ومن ثم فقد كان عليها أن تدخل هى الأخرى فى السباق النووى .. بهدف خلق ما يعرف بالتوازن النووى .

إن الحسابات التى يشير إليها العالم المصرى الكبير بُنيت على متابعة دقيقة لخطوات العدو الصهيونى فى هذا الاتجاه .. ومن ثم فإنها فى الغالب .. سليمة .

فقد أشارت مصادر متنوعة إلى أن إسرائيل كانت تمتلك ١٧ قنبلة ذرية عند اشتعال حرب أكتوبر ـــ ١٩٧٣ .

ولم تستبعد هذه المصادر أن تكون إسرائيل قد اتخذت قراراً لا مفر منه ، باستخدام الأسلحة النووية عندما شعرت بأن الحرب ليست فى صالحها .

• فبعد الضربات الأولى ، صرخ **موشى ديان** (وزير الدفاع) فى وجه **جولدا مائير** (رئيسة الوزراء) :

« هذه هى نهاية المعبد الثالث » .

فقامت **جولدا مائير** بإعطاء **ديان** « الإذن باستخدام أسلحة الفناء الإسرائيلية . وما أن كان يتم الانتهاء من تركيب أجزاء كل قنبلة حتى كان يجرى نقلها على جناح السرعة إلى وحدات سلاح الجو التى كانت تقف فى انتظارها . ولكن قبل أن يجرى وضع وضبط أجهزة التفجير فى أى من تلك القنابل أخذت مجريات المعارك تتحول لصالح إسرائيل » .. حسب تقرير مجلة « تايم » فى نوفمبر ١٩٧٣ .

ويقول **بيتر براى** (ص ٦٧ ــ كتاب ترسانة إسرائيل النووية) إن بعض محللى وكالة المخابرات المركزية يميل إلى الاعتقاد بأن إسرائيل امتلكت عدة قنابل ذرية منذ عام ١٩٦٨ .

وفى شهادته التى أدلى بها أمام لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ (٧ يوليو ١٩٧٠) قال مدير المخابرات المركزية **ريتشارد هيلمز** إن إسرائيل كانت فى ذلك الوقت تمتلك وسيلة لصنع قنبلة ذرية .

وفى ص ٧١ ــ ونقلا عن معلق الواشنطن بوست ــ **جوزيف السوب** ــ يضيف : إن الإسرائيليين هددوا مرة أخرى بشن حربٍ نووية ضد سوريا ومصر عام ١٩٧٤ نظرا لتصاعد القوة العسكرية السورية على الحدود فى منطقة الجولان ، ولوجود صواريخ سكودا القادرة على حمل رءوس نووية لدى مصر مما شكل تهديدا للمدن الإسرائيلية .. « وقد أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلى **إسحق رابين** أنه فى حالة تعرض المدن الإسرائيلية لأى هجوم بصواريخ سكودا فإن إسرائيل ستنفذ على الفور سياسة مدينة بمدينة » .

ولو كان من الصعب تحديد تاريخ ميلاد القنبلة الإسرائيلية فإن من الممكن معرفة قيمة تكلفتها .

إن خبراء الذرة لدى الأمم المتحدة يقدرون التكلفة الإجمالية لبرنامج متواصل لصنع القنابل الذرية من مادة اليورانيوم فى مدة ١٠ سنوات بنحو ١٠٤ ملايين دولار .

ـــ ٧٠ مليون دولار ثمن مواد انشطارية .

ـــ ١٨ مليون دولار تكاليف عملية التصنيع .

ـــ ١٢ مليون دولار تكاليف التجارب .

ـــ ٤ ملايين دولار للتخزين والصيانة .

المجموع ١٠٤ ملايين دولار .. والرقم يكفى لصنع ١٠ قنابل بحجم قنبلة هيروشيما .. أى أن التكلفة النهائية للقنبلة الواحدة ١٠,٤ ملايين دولار .

لكن .. لأن إسرائيل لم تكن تملك كل الإمكانات .. فقد قدر الأخصائيون تكلفة برنامجها بحوالى ٢٠٠ مليون دولار .. خلال ١٠ سنوات .

وبمراجعة ميزانية التسليح فى إسرائيل ، عام ١٩٦٨ ، نجد أنها كانت ٧٣٣ مليون دولار .. حوالى ٣٧ بالمائة من دخلها القومى .. وثلاثة أضعاف ميزانية الأعوام السابقة .. مما يوحى بأن هذه الزيادة المفاجئة كانت بسبب القنبلة الذرية .

وحتى الآن لا يزال البرنامج النووى فى إسرائيل من أهم الأسرار .. ومن المستحيل الاقتراب من هناك .. وقد حدث ـــ فى سنة ١٩٨١ ـــ أن منعت الرقابة العسكرية نشر كتاب كان على وشك الظهور ، عنوانه « **لن يحيا أحد بعدنا ـــ قصة القنبلة الذرية الإسرائيلية** » .. وتلقى مؤلفاه تهديدا بالسجن لمدة ١٥ سنة .. وطرد مراسل شبكة التليفزيون الأمريكية (سى . بى . إس) فى إسرائيل لأنه أذاع هذه القصة .

وفى الكتاب أن إسرائيل حضرت ١٧ تجربة فرنسية للتفجير النووى فى صحراء الجزائر ، وأنها حصلت على نتائج هذه التجارب .

وفيه .. أن **إدوارد تللر** ، وهو أبو القنبلة الهيدروجينية الأمريكية زار إسرائيل فى ديسمبر ١٩٦٥ ، واعترف بأن إسرائيل تمتلك كل ماتحتاجه لصناعة قنبلتها الذرية الأولى .

وأيضا .. أن تعاونا قويا بدأ منذ سنوات بين إسرائيل وجنوب إفريقيا ، نقل تجاربها الذرية من صحراء الجزائر إلى المحيط الأطلسى .. ومن الأرض إلى البحر .

وكذلك .. عقدت إسرائيل اتفاقية للتعاون النووى مع تايوان .. ساهمت فى تطوير قنبلة نيوترون ، بالإضافة إلى أداة لإطلاق الصواريخ تعرف باسم المدفع النووى ، وصاروخ كروز الذى يصل مداه إلى ٢٤٠٠ كيلومتر .. أى يمكن أن يصل إلى جنوب الاتحاد السوفييتى .

وفى سنة ١٩٧٢ حقق العلماء الإسرائيليون خطوة هامة ، بتطوير وسيلة جديدة ، غير مكلفة لتخصيب اليورانيوم باستخدام تكنولوجيا الليزر بمساعدة جنوب إفريقيا .

إنها .. إسرائيل .. تفعل المستحيل لفرض وجهة نظر **بن جوريون** .. لا سلام إلا بالقوة .. والقوة تولد القوة .

□ □ □

□ ٧ □

أصابع إسرائيلية فى القاهرة !

لم تنشر الصحف المصرية خبر الاغتيال إلا بعد خمسة أيام من وقوعه .

وكانت الإذاعة البريطانية أول من أذاع النبأ .. وتوقعت أن يتهم المصريون إسرائيل بارتكاب الجريمة التى وصفتها بأنها « بشعة » .

لكن ... تكهن الإذاعة البريطانية طاش ... فقد اضطرت أجهزة الإعلام المصرية إلى تعويم الاتهام ، ولم تشر إلى إسرائيل صراحة .. واكتفت بعبارة .. « إن أصابع الاتهام تشير إلى جهات أجنبية » .

إن تعليمات ما ، صدرت إلى الصحافة « القومية » فى مصر برفع الاتهام عن إسرائيل .. وبالاكتفاء بنقل ما تذيعه وكالات الأنباء الغربية .. وبعدم نشر صورة للجنازة .. ولا خبر عنها .. وإن سمح بنشر نعى فى صفحات الوفيات بالأهرام .

وبالرغم من ذلك ... فهم الناس ما بين السطور ، حينما نشرت صحيفة « الأهرام » للدكتور **محمد السيد ناجى***: أن قتلة **المشد** هم الذين سبق وأن فجروا المفاعل العراقى فى فرنسا قبل شحنه .

فى ذلك الوقت كانت العلاقات مقطوعة بين مصر والعراق .. بعد زيارة **السادات** إلى إسرائيل ، وتوقيع اتفاقية صلح معها .. فكان لابد وان يكون الكلام بحساب .

وقد تصادف ... أن قابل **أنور السادات** ــ فى يوم نشر خبر الاغتيال ــ بعثة

---

* رئيس قسم الهندسة النووية وقت اعداد الكتاب .

من التليفزيون الإسرائيلي .. صرح لها برغبته فى التعايش مع إسرائيل فى سلام .. وطالبها بأن « تسلم بقيام دولة فلسطين » .. و« أن تفكر فى ضمانات أمنها بدلا من رفض الدولة الفلسطينية » .

وفى بغداد ... لم يصرح العراقيون بأى شيء لأسرة العالم المصرى .. وإن قالوا : إنهم أرسلوا وفدا رسميا « لمتابعة التحقيقات فى باريس للكشف عن ظروف الحادث » .

ولم تعرف زوجته إلا فيما بعد .. كيف كانت عملية الاغتيال .

وقد تصورت ــ عندما عرفت النبأ ــ أنه « اغتيل بالسم ، أو بدواء منوم .. مثلا .. ولم أكن أتصور أبدا الطريقة البشعة التى اغتيل بها .. والتى لاتليق بشخصية عالم وأستاذ جامعى .. مثله » !

وفى باريس اكتفى السفير المصرى هناك ، د . **كمال خليل** بالقول :

ــ **إن السفارة لم تكن على علم بزيارة المشد لباريس !**

وكلف القنصل العام **شريف عمر** بمتابعة « مجريات التحقيق » !

وكانت الشرطة الفرنسية قد عثرت على جواز سفر الدكتور **المشد** ، وعرفت جنسيته ، فاتصلت بالسفارة المصرية .

□ □ □

كانت صحيفة « الأهرام » أكثر الصحف احتراما فى تناول الحادث .. فقد أفرطت فى الحديث عن الدكتور **المشد** .. ووجدتها فرصة مناسبة لفتح ملف علماء الذرة المهاجرين فى الخارج .. وأجرت حديثا إنسانيا مع أسرة **المشد** .. وفى عمود « رأى » فى الصحيفة جرت مقارنة ساخرة بين العوالم والعلماء ..

وصورت « أخبار اليوم » الحادث على أنه « جريمة غرامية » .. ولوت عنق الحقيقة مستثمرة قصة عاهرة الميرديان .

ولم يصدر عن هيئة الطاقة الذرية أى شيء ، يشير من بعيد أو قريب إلى أن الدكتور **المشد** كان يعمل فيها .. وكأنهم لا عرفوه .. ولا سمعوا عنه ..

وعندما جرت محاولة عنيدة لتأبينه فى هندسة الإسكندرية ، كان عدد الحضور ٨ أعضاء من هيئة التدريس .. وساعتها أحست زوجة الدكتور **المشد** ــ التى كانت هناك ــ أن زوجها مات فعلا .. وأن تنكر الوطن لا يقل قسوة عن غدر العدو .

ثم ... جاءت ضربة تحت الحزام .. من روز اليوسف !

فى يوم الإثنين ٧ يوليو ١٩٨٠ ، صدر العدد رقم ٢٧١٧ من مجلة « روز اليوسف » ، وعلى غلافه مانشيت رئيسى يقول :

« **من قتل عالم الذرة المصرى فى باريس ؟** » .

ومع أن الموضوع نشر على أقل من صفحة (نشر ص ١٤) إلا أن ما جاء فيه كان خطيرا ... ومن ثم استحق أن نتوقف عنده .

« **إبراهيم عزت** يكتب من باريس ..

من قتل عالم الذرة المصرى ؟!

تحرت روز اليوسف من جانبها عن حادث اغتيال عالم الذرة المصرى الدكتور **يحيى المشد** الذى كان فى زيارة رسمية (!!) للعاصمة الفرنسية كممثل لحكومة العراق والهيئة العراقية الخاصة بأبحاث الطاقة الذرية (يقصد منظمة الطاقة الذرية العراقية) تلبية لدعوة من المؤسسة الذرية الفرنسية والهيئات التى كانت تصنع مفاعلين ذريين فرنسيين للعراق بدلا من المفاعلين اللذين دمرا بواسطة عملاء المخابرات الإسرائيلية قبل شحنهما مباشرة إلى العراق فى شهر ديسمبر الماضى (يقصد ديسمبر ١٩٧٩ ، والصحيح أبريل ١٩٧٩) .

وتوصلت روز اليوسف بعد جهد إلى الحقائق التالية :

١ ــ أن الاتجاه الأول فى التحقيقات كان تجاه المخابرات الإسرائيلية وعملائها فى فرنسا .. ومعروف أن المخابرات الإسرائيلية لها علاقات قديمة ، وثيقة بالمكتب الثانى الفرنسى .. أى المخابرات العامة الفرنسية .

٢ ــ تحول التحقيق فى حادث الاغتيال فجأة بعيدا عن المخابرات الإسرائيلية واتجه نحو عملاء أجهزة مخابرات عربية !

وتستطيع روز اليوسف أن تؤكد ما يلى :

□ أنكرت المخابرات الإسرائيلية قيامها باغتيال عالم الذرة المصرى .. بعد اتصالات شبه رسمية بين باريس وتل أبيب .. وبعد مزيد من التحقيقات حول عمل أجهزة المخابرات الإسرائيلية بدأت الأجهزة الفرنسية فى تصديق الإنكار الإسرائيلى .. خاصة وأن الأجهزة الإسرائيلية اعترفت بأنها كانت تعلم مهمة عالم الذرة المصرى فى فرنسا .. ولكنها اكتفت بمراقبة اتصالاته مع الهيئات الفرنسية .

وأكدت أجهزة الأمن الفرنسية أن المخابرات الإسرائيلية تستخدم أدق الأجهزة وأحدثها فى حالات مشابهة ومنها المسدسات كاتمة الصوت والمسدسات الكيميائية التى تقتل فورا بينما تم قتل عالم الذرة المصرى بآلة حادة .

□ وبعد تحريات فرنسية عديدة اتجهت الشبهات إلى ناحية المخابرات المدربة بواسطة السوفييت فى المنطقة العربية .. خاصة بعد أن تلقت أجهزة الأمن الفرنسية معلومات عن مشادة حدثت فى مطعم مأكولات عربية (لم يذكر اسمه) بين عالم الذرة المصرى وآخرين يغلب عليهم الطابع السورى أو اللبنانى أو الفلسطينى وذلك فى اليوم السابق مباشرة لمقتل الدكتور **المشد** .

□ هذا وقد علمت « روز اليوسف » أن أوراق التحقيقات الرسمية تتضمن المعلومات التالية :

ــ أن الوفاة جنائية بسبب ضربة على رأس الدكتور **يحيى المشد** بآلة ثقيلة حادة .. وبعد مقاومة بالأيدى .

ــ لم يسرق أى شيء من الغرفة إلا حقيبة الأوراق الخاصة بالقتيل (والصحيح أنها لم تسرق واستلمتها ــ مع الأحراز الأخرى ــ زوجته) .

ــ وجدت دوسيهات خاصة بمهمة العالم المصرى مرتبة على مائدة بجوار السرير .. ولكن الدوسيهات الخاصة بمهمته واتصالاته فى فرنسا اختفت ، مما يدل على أن الجانى أو الجناة تركوا بقية الملفات مرتبة حتى لا تعرف مسألة سرقة الدوسيهات المهمة .

(والصحيح أن الدكتور **المشد** لم يكن يحمل أو يضع فى حجرته أى دوسيهات

عن مهمته .. وذلك .. على عكس ما توقع الجناة .. الذين نثروا ما عثروا عليه من أوراق فى الغرفة .. فى حالة فوضى اعترف بها الإسرائيليون فى كتاب القنبلة الإسلامية ... وأغلب الظن أن ذلك كان رد فعل لفشل مهمتهم فى العثور على أوراق مهمة عن مأموريته .. وكل ما سرق كان مفكرة العالم المصرى الخاصة .. وكان ذلك بعد مقتله .. وقد كان الدكتور **المشد** يفخر دائما بقوة ذاكرته العلمية ، وبأنه يضع كل شيء فى رأسه .. ولهذا فقد ضربوه عليها حتى تهشمت .. وحسب ما قالته لى زوجته فيما بعد .. فإن العراقيين اعترفوا لها بأنه كان كتوما ، وأنه حافظ على أسرارهم ، ودفع حياته ثمنا لذلك) .

وقد تحدد الاتهام فى المخابرات السورية ، ربما بمساعدة أجهزة مخابرات شيوعية أوروبية (لم تحدد هويتها) ، فالأجهزة الأوروبية الشيوعية يهمها ألا تحصل العراق على أسرار ذرية (الدكتور **المشد** حاصل على الدكتوراة من الاتحاد السوفييتى) وهو ما يعنى انتهاء العلاقة الخاصة التى كانت (الصحيح التى مازالت) تربط العراق بالكتلة الشيوعية وخاصة فى ميدان السلاح !

وترجح دوائر التحقيق أن أجهزة المخابرات الشيوعية الأوروبية وجهت عملاء المخابرات السورية إلى ما يقوم به العالم الدكتور **يحيى المشد** ونبهتها إلى خطورة الأبحاث الذرية العراقية بالنسبة لسوريا بالذات .

كما ترجح نفس الدوائر أن عملاء الأجهزة السورية حاولوا تجنيد الدكتور **المشد** للعمل لصالحها بهدف كشف ما يقوم به العراق من تجارب وأبحاث ذرية خاصة بعد افتضاح العلاقة الخاصة التى تربط العراق بالبرازيل فى ميدان الذرة (!!) .

وتقول دوائر التحقيق إن الدكتور **المشد** رفض عروض الأجهزة السورية وهذا هو سر الخلاف الشديد الذى وقع فى المطعم الذى يقدم المأكولات العربية ومغادرة الدكتور **المشد** للمطعم مع شخص يغلب عليه الطابع السورى أو اللبنانى أو الفلسطينى !

وتدور همسات (!!) فى دوائر التحقيق حول شخص أو أكثر ممن كانوا فى المطعم

بصحبة عالم الذرة المصرى توجهوا بعد المشادة إلى غرفته بفندق الميرديان فى باريس حيث حاولوا اختطافه (!!) بالقوة .. وعندما فشلوا قتلوه (!!) واستولوا على الدوسيهات الخاصة بعملية معينة (!!) ثم تركوا الفندق .. وربما تركوا فرنسا كلها مباشرة بعد ذلك .

وتعتبر المصادر الفرنسية أن مقتل عالم الذرة المصرى الدكتور **يحيى المشد** أكبر ضربة وجهت إلى برامج الذرة العراقية .. وقد تؤدى إلى تعطيل هذه البرامج لسنوات عديدة » ..

□ □ □

هذا ... بالنص ما نشرته مجلة روز اليوسف .. مع فتح أقواس ـــ عند الحاجة ـــ للتعجب .. أو للتصحيح .

وروز اليوسف مجلة سياسية ، عربية ، عريقة ، اشتهرت بتحرى الدقة ، والدفاع عن التوجهات القومية .. لكنها .. فى ذلك الوقت كانت خاضعة لسلطات رئيس تحرير لا هم له سوى إرضاء السلطة ، هو **عبد العزيز خميس** ، الذى كان على علاقة قديمة مع **أنور السادات** .. منذ أيام حادث اغتيال **أمين عثمان** .

وكاتب التقرير من باريس .. **إبراهيم عزت** .. صحفى ومراسل متجول فى أوروبا الغربية .. اشتهر ـــ صحفيا ـــ بزيارته إلى إسرائيل فى مايو ١٩٥٦ .. ودخلها بجواز سفر برازيلى ، يحمل اسم « **جورج إبراهيم حبيب** » .. صحفى برازيلى .. من أصل عربى .. يفهم اللغة العربية .. ولا يتكلمها .. وبعد ١١ يوما فى إسرائيل التقى خلالها بقادتها (**جولدا مائير ـــ موشى شاريت ـــ إسحاق نافون ـــ موشى ديان ـــ ديفيد بن جوريون**) عاد إلى القاهرة لينشر المغامرة !

وما نشر عن اغتيال عالم الذرة المصرى د . **يحيى المشد** ... كان مفاجأة .. لأنه :

١ ـــ برأ ساحة الإسرائيليين ـــ المستفيد الأول ـــ من الاتهام .

٢ ـــ ألصق التهمة بالمخابرات السورية .

٣ ـــ أقحم الكتلة الشيوعية ـــ فى الجريمة ـــ من باب التحريض .

أى أنه أصاب أكثر من عصفور بحجر واحد .

أما حيثيات براءة الإسرائيليين .. أو بالتحديد براءة المخابرات الإسرائيلية . فكانت :

ــ أنها أنكرت ذلك .

ــ أن المخابرات الفرنسية صدقتها .

ــ أنها لا تقتل بهذه الطريقة .

ولم يكن ذلك .. جديدا .. فقد سبق أن قال مسئول فرنسى : « **إنه حتى ليس أسلوبهم ، إنهم لا يضربون رجلا على رأسه ، ويتركونه ليلاق حتفه** » ــ ص ٢٤١ من كتاب « القنبلة الإسلامية » .

وقال مسئول فى وزارة الخارجية الإسرائيلية : « **إن كل ما يجرى أو يحدث فى الشرق الأوسط يقع اللوم فيه على إسرائيل ، سواء كان من فعلنا أم لا ، ولكنى أؤكد أننا لا نضرب الناس على الرأس بالمطارق ونتركهم يموتون** » ــ ص ٢٤١ ــ المرجع السابق .

ومن الطبيعى أن تنكر المخابرات الإسرائيلية . فليس من المعقول أن تقف ، وتعلن : « أنا الفاعل » .. كما أنها أنكرت من قبل عمليات التخريب التى جرت ضد المفاعلين العراقيين فى طولون .. كذلك .. فإن الإنكار يحفظ ماء وجه الفرنسيين الذين وقعت الجريمة فى قلب عاصمتهم .

ومن ناحيتها .. تتصور المخابرات الفرنسية ، الإسرائيليين ــ على ما يبدو ــ ملائكة .. يجرحهم النسيم العليل .. وتحمر وجوههم خجلا .. وبشر من هذا الطراز لا يعرفون القتل بهذا الأسلوب .. بل .. إن المخابرات الفرنسية (على حد كتاب د . **إيريش فولات**) ظلت مصرة على أن ما حدث فى ميناء طولون من تدبير « جماعة حماية البيئة الفرنسية » .. لا من تدبير الإسرائيليين وظلت على تصورها حتى خرج من إسرائيل مَن قبل الاتهام .

ولا غرابة فى هذا الإصرار .. لأن التنازل عنه يكشف حقيقة أخرى مرة ، هى أن بعض الفرنسيين ضالع فى « عملية طولون » وعملية **المشد** .

وإعلان هذه الحقيقة يكلف الحكومة الفرنسية الكثير .. موقف صارم من المخابرات الإسرائيلية التى تنتهك حرمة بلادها .. محاكمة مواطنيها الذين يعملون لحساب إسرائيل .. ومواجهة جماعات الضغط اليهودية التى ستسبها بتهمة معاداة السامية .

□ □ □

كذلك ... فإن الحكومة الفرنسية (التى كان يرأسها **فاليرى جيسكار ديستان**) كانت تتصرف على طريقة « هذا أحبه وهذا أريده » .. كانت تحب إسرائيل وتريد أموال العراق .. أو كانت تريد أموال العراق وبتروله ولا تحب أن تغضب إسرائيل واليهود الذين شنوا عملية تشهير ضارية ضد **ديستان** ، إلى حد نشر صورة زوجته عارية (مستخدمين إمكانات فن الكولاج أو تركيب الصور الفوتوغرافية على طريقة الفوتو مونتاج) وهى تحتضن شيخا من شيوخ النفط ، على غلاف مجلة شهيرة من مجلات الفضائح وكتبوا تحتها « **ديستان يبيع زوجته لأمراء النفط** » .. وكان ذلك قبل جولة لهما فى دول الخليج .. بما فيها العراق .

وكان ديستان قد تعهد فى برنامجه الانتخابى بمنع تصدير اليورانيوم « على الإطلاق » .. والعمل على تقليص « التسليح النووى فى العالم » .. لكنه .. سرعان ما اضطر للانحراف عن برنامجه لأسباب تتعلق بعجز ميزان مدفوعاته الخارجى .. وكانت قيمة الاتفاقية العراقية النووية تصلح كثيرا من هذا العجز .. ومن ثم .. سارع بتنفيذ بنودها .. وفى الوقت نفسه ـــ وحتى يخفف ضغط الجانب الآخر عليه لم يجد ما يمنع فتح ثغرة يتسلل منها الإسرائيليون إلى طولون .. وإلى **المشد** .

فقد كسبت فرنسا بلايين الدولارات من العراق .. دون أن تحاسب على أنها ساعدت العرب على إنتاج القنبلة الذرية .. ولهذا لم يكن مستغربا أن تبرىء ساحة المخابرات الإسرائيلية من تهمة سفك دم العالم المصرى ... إن ذلك واجب الشريك الذى لا يمكن الفرار منه .

ثم ... نأتى إلى أشد أدلة النفى مدعاة للسخرية .. الدليل الذى يؤكد على أن هذا ليس أسلوبهم فى القتل ... فهم قتلة لا يقتلون بهذه الهمجية .. قتلة ـــ جنتلمان

الواحد منهم .. محترف .. مهذب .. فنان .. رحيم .. لا يهشم الرأس وإنما يصيب القلب .. لا يستعمل مطرقة وإنما مسدساً كاتماً للصوت .. منتهى الحضارة .. منتهى الإنسانية .

إن السخرية هنا .. أنهم قسموا القتل إلى قتل متحضر .. وقتل همجى .. وقسموا الغدر إلى غدر مهذب .. وغدر سافل .. وقسموا الاغتيال إلى اغتيال محترم .. واغتيال وضيع .

هل هناك استخفاف بالعقول أكثر من ذلك ؟

إن القتل هو القتل سواء كان بالسم أو بالبلدوزر .

والاغتيال هو الاغتيال سواء قام به **إسحاق شامير** أو قامت به **بريجيت باردو** .

والغدر هو الغدر سواء تم بالبلطة .. أو بالاسموكنج .

فعند إزهاق النفس البشرية الكل مجرم .. آثم .. ومتوحش .. والعبرة بالنتيجة .. لا بالأسلوب .

لقد قسموا العالم إلى مناطق قتل حسب الوسيلة .. القتل بمسدس كاتم للصوت .. إسرائيل .. القتل بالمطرقة .. سوريا .. القتل بالريموت كونترول .. الولايات المتحدة .. مثلا .. وذلك على ما يبدو من باب التخصص .. وحسب الشخصية وعوامل البيئة والوراثة وفصيلة الدم وكيف تكون المعاشرة الزوجية .

إنه اللامنطق الذى يتخفى فى المنطق .

والعبث الذى يتكلم لغة الجد .

واللامعقول الذى يدعى الحكمة .

لقد مارس الإسرائيليون كافة أشكال وألوان القتل .. وبمختلف الوسائل والأساليب .. الرصاص .. النابالم .. الطرود الناسفة .. القنابل العنقودية .. المجازر .. الإبادة الجماعية .. تفجير البيوت والقرى ... إنهم آخر من يتكلم عن القتل المهذب على طريقة أبلة نظيرة .. أشهر من تكلم فى الطهى .

وحسب التقسيم الفرنسى ـــ الإسرائيلى لوسائل القتل ، يكون السوريون هم قتلة

الدكتور **يحيى المشد** .. ولا مانع أن يكون ذلك ــ طبقا لروز اليوسف ــ بمعاونة لبنانيين وفلسطينيين .. وبدعم وتوجيه من المخابرات الشيوعية .

وهكذا .. أصبحت التهمة .. عائلية !

القتيل عربى .. والقاتل أيضا !

أى ... « زيتنا فى دقيقنا » !

فهناك عداوة بين سوريا والعراق .. أو بالأحرى تناقض ، يمكن اللعب عليه .

ودمشق لا علاقة بينها وبين القاهرة .. ومن ثم .. لا مانع من أن يكون تكييف التهمة على هذا النحو خدمة لنظام حكم **السادات** .

ثم ... لا مانع كذلك من لطش الشيوعية ... وأخذها « فى الرجلين » !

□ □ □

والخطر فيما نشرته روز اليوسف هو أن إسرائيل استخدمته « كشاهد من أهلها » .. فكان أن جاء فى كتاب « القنبلة الإسلامية » ــ ص ٢٤٢ ــ من الطبعة الإنجليزية :

« **ويرتكز تكهن آخر على السوريين ، الذين كانوا ــ دائما ــ وراء الدم العراقى ، وتفترض مجلة روز اليوسف المصرية بأن القتلة قد يكونون من العملاء السوريين ، المدعومين من المخابرات الشيوعية ، وكان هدفهم الحصول على معلومات حول مدى تقدم العمل فى البرنـامج النـووى العـراقى** » .

أى أننا نحن الذين بلساننا .. قلنا .

ويضيف :

« وتقدم روز اليوسف القصة على أنها تكهن .. ومن المحتمل أن تكون قد استقت الكثير منها ، من خيال عملاء المخابرات المصريين ورجال الطاقة النووية » .

أصبحت الأرض ممهدة الآن أمام مؤلفى الكتاب ، للتقدم لما هو أخطر .

فيقولان :

« ويشير بحثنا الخاص إلى أن السوريين كانوا فى وضع ممتاز للحصول على معلومات دقيقة عن المغترب المصرى **يحيى المشد** ، وكان مصدر معلوماتهم عالم ذرة مصرى آخر ، منافس سابق فى العمل ، يعمل حاليا فى سوريا ، وهو الدكتور **عصمت زين الدين** » .

ويقولان أيضا :

« وطبقا لزملاء سابقين لكل من المشد وعصمت زين الدين ، فى جامعة الإسكندرية ، كان **المشد** هادئا ، رجل عائلة ، وبالأحرى سياسيا ، أما **عصمت زين الدين** فإنه متحدث جيد وشخصية سياسية ومن الجناح اليسارى .. لقد اختلف الرجلان بصورة جذرية فى المزاجية والأيديولوجية .. وعندما تسلم **المشد** عمله ــ للمرة الأولى ــ فى جامعة الإسكندرية ، كان **عصمت زين الدين** قد أجبر على الاستقالة لأسباب سياسية فى سنة ١٩٦٨ .. وذهب إلى المنفى فى سوريا .. وعندما عاد فى سنة ١٩٧٢ ، وقف **المشد** فى طريقه ، فكان أن خطط ــ بعد ذهاب **المشد** إلى العراق بوقت قصير ، للعمل فى البرنامج النووى هناك ــ لتسلم وظيفة مماثلة فى سوريا » .

ويضيفان :

« وكما هو الحال بالنسبة للتكهنات إزاء الإسرائيليين ، لا شك أنه توجد هناك دلائل تربط بين عصمت زين الدين ، بطريقة أو بأخرى ، وموت المشد ، ولكن للسوريين مصلحة قصوى فى البرنامج النووى العراقى ، وكان عصمت زين الدين فى وضع يتيح له أن يبلغهم ، بدقة ، كل شىء يتعلق بمهمة المشد العلمية وعاداته الشخصية » .

□ □ □

هكذا ...

اكتملت الصورة الإسرائيلية ... التى رسمت مجلة روز اليوسف ــ المصرية خطوط ملامحها العامة .

فالمشد قتله السوريون .. وشاركهم فى ذلك ــ بطريقة أو بأخرى ــ زميله عالم الذرة المصرى الدكتور **عصمت زين الدين** .

وسر هذه المشاركة صراع بين العالمين .. ناجم عن خلافات شخصية بينهما .. أى أن الخلافات بينهما وصلت إلى حد التجسس والقتل .

وحتى تدعم إسرائيل ذلك ، فإن المؤلفين ينسبان خيالهما .. « طبقا لزملاء سابقين » **للمشد وعصمت زين الدين** فى جامعة الإسكندرية ، دون أن يتجرءا بذكر اسم واحد منهم .. مما يحول هذا التصور إلى خرافة .

وحسب معلوماتى فإن الدكتور **عصمت زين الدين** لم يكن منافسا للدكتور **يحيى المشد** .. ولم يقم بينهما صراع .. بل إن الدكتور **زين الدين** قرب الدكتور **المشد** منه ، ليتولى من بعده مسئولية قسم الهندسة النووية بعد أن أحس أنه سيُقبض عليه .. لا محالة .. وقد صدق إحساسه .. وفى نوفمبر ١٩٦٨ اعتُقل وبقى فى السجن حوالى السنة .. وعندما خرج منه أجبر على السفر إلى سوريا ، كى يقوم بالتدريس فى جامعة دمشق ، أستاذا لهندسة الطاقة ، فى الفترة ما بين ١٩٧٠ ــ ١٩٧٣ .. أى أن سفره إلى سوريا ، كان سفرا إلى المنفى .

عاد د . **زين الدين** إلى التدريس فى ١١ فبراير ١٩٧٢ واستلم القسم من د . **المشد** ، وحسب ماقاله : « **لم يكن يحيى منافسا لى ، ولم يغضب عندما توليت مسئوليتى ، فهو ابنى وصديقى وزميل حلم مشترك لم يتحقق** » .

لم يكن مسموحا لأعضاء هيئة التدريس بهذا القسم الحيوى بالسفر للعمل فى الخارج ، لكن .. مع التغير السياسى الذى حدث بعد اتفاقيتى **فصل القوات** بين مصر وإسرائيل ، بدأ حلم القنبلة الذرية المصرية يتراجع .. ومع التراجع ساد إحساس بالإهمال .. فكان أن وافق الدكتور **زين الدين** على سفر الدكتور **المشد** للعمل فى العراق ، وكانت الموافقة الأولى من نوعها .

بعد زيارة **السادات** للقدس تحول الإهمال إلى حرب .. فكان أن أصبح علماء الذرة المصريون عبئا على النظام السياسى المندفع نحو الصلح مع العدو .. وكان أن اشتدت

معارضة د . **زين الدين** من جديد .. وهكذا وجد نفسه مرة أخرى فى دمشق فى سنة ١٩٧٨ ، وظل هناك حتى سنة ١٩٨٢ .. أى أنه لم يعد إلا بعد أن قُتل السادات .

فى الصيف كان يأتى د . **المشد** إلى الإسكندرية .. وكان يلتقى بالدكتور **عصمت زين الدين** .. وظل على هذه العادة حتى صيف ١٩٧٧ .. ويقول د . **زين الدين** :

ــ أنا لم أره بعد ذلك الصيف .. وقد شعرت أنه لايريد العودة إلى مصر ، وأنه سيمد مدته فى العراق بسبب توافر الإمكانات العلمية والمادية .. هناك .. وبسبب آخر أهم ، هو اقتناعه بأنه يقوم بعمل قومى كبير أفلس نظام الحكم فى بلاده فى تنفيذه .. ولأنه كان يتابع ما يجرى ، فقد أدرك أنه سيركن على الرف إذا ما عاد .. فقد بدأت حرب تصفية الكوادر العلمية من قسم الهندسة النووية .. الذى أصبح مجرد يافطة لا تعكس ما يحدث خلفها .

ويضيف :

ــ ومع أننا كنا نلتقى فإن أسراره لم تكن عندى .. لكننى .. بصورة عامة ــ لأننى أعرف المنطقة نوويا ــ كنت أدرك أن فى العراق مجهوداً يُبذل .. لكن .. بدون تفاصيل .. كلانا يحترم نفسه .. فكيف كان من السهل علينا أن نتحدث فى أسرار عملنا .. هذا الذى قيل فى الكتاب الإسرائيلى لا يعكس إلا السخف ، وإن كنت لا أشك فى أن مصدره ، من جاء بعدنا ليجهز على ما تبقى من قسم الهندسة النووية ... وليس صحيحا أيضا ... أننى يسارى .. إنها تهمة من ضمن ملف اتهام ضخم ، وُضع على شرفى .. وقد حاولوا كذلك تدبير تهمة التخابر وقلب نظام الحكم .. وحاولوا إلقائى فى مستشفى الأمراض العقلية .. وحاولوا تشويه سمعتى فى الخارج ... لكن .. هذا دائما قدر ونصيب كل من يقول الحق ويعبر عن نفسه ويعارض السلطة .

س : من قتل الدكتور **يحيى المشد** ؟

ج : **الإسرائيليون .. قطعا !**

س : لماذا ؟

ج : **إن ذلك كان ضمن مخطط كامل لشل يد مصر نوويا .. جريمة المشد .. ضرب الجهود النووية .. انكماش قسم الهندسة النووية .. هذه حلقات فى سلسلة واحدة ، تعكس رغبة إسرائيل فى مواصلة الانفراد بالتفوق النووى .**

س : هل كانت العراق ستصل إلى القنبلة الذرية ؟

ج : **كلا .. فالمسألة ليست بهذه البساطة .**

س : إذن .. لماذا ضربت إسرائيل المفاعل النووى العراقى ؟

ج : **لأنها لا تترك احتمالا ولو تحقق بعد ٢٠ سنة للتوصل إلى السلاح النووى .**

س : ولماذا .. إذن قُتل المشد ؟

ج : **لنفس السبب .. فإسرائيل يركبها مليون عفريت إذا ما اقترب أحد من الموضوع النووى .. وأنا أعتقد أن المشد لا يستحق القتل حتى بالمعايير الإسرائيلية .. لكنه جنون الانفراد بالقمة النووية الذى يسيطر على إسرائيل .**

جرى هذا الحوار بينى وبين الدكتور **عصمت زين الدين** ، بينما كانت زوجته تطعم أحفادها الذين غاب والدهم عن مصر ١٠ سنوات .. وقد عرفت أنها كانت مديرة مدرسة فيكتوريا ، عندما كان أولاد الدكتور **المشد** تلاميذ ، يدرسون فيها .. وقد رأيت بنفسى صورة مدرسية تضمها وأولاد **المشد** ، فى ألبوم صور عائلة **المشد** .

وعندما سألت زوجة الدكتور **المشد** :

□ كيف كانت علاقته بالدكتور **عصمت زين الدين** ؟

قالت :

ـ **إن زوجى كان قادرا على التعامل معه .. متلافيا الحفر والمطبات !**

وسألتها :

□ هل يمكن ان يكون وراء مصرع زوجك ؟

ـ **مستحيل** .. لأن الإسرائيليين هم الذين قتلوا زوجى !

وقدمت الزوجة دليلا على صحة اتهامها ، سنبرزه فيما بعد ... فى الوقت المناسب .

وليس هناك من يصدق أن الدكتور **المشد** يمكن أن يقف فى طريق أحد .

لا أحد من زملائه وتلاميذه قبل مثل هذا الاتهام .

إن أبرز هؤلاء الزملاء ، الذين عاشوا معه سنوات البعثة فى موسكو :

ـــ الدكتور **محمد منير هلال** ـــ هندسة القاهرة .

ـــ الدكتور **محمد السيد سليمان ناجى** ـــ هندسة الإسكندرية .

أما علماء الذرة المصريون الذين كانوا معه فى العراق فهم : **أحمد أبو العلا** .. **أحمد القصاص** .. **حسنين جابر** .. **مرسى السيد مرسى** .. **مجدى الدين على رعية** .. وهم حاصلون ـــ بالطبع ـــ على درجة الدكتوراه .

ومن الصعب حصر تلاميذه .. فهو « **صاحب مدرسة نووية .. لها تلاميذ منتشرون فى أنحاء العالم** » ، كما كتب أحد هؤلاء التلاميذ .. وهو الدكتور **محمد عبدالله بيومى** .. وقد أضاف :

ـــ إنه كان رجلا .. وديعا .. وعالما متواضعا .. وقد رأى دائما أن دوره الأساسى يقع داخل حدود الوطن العربى .. وأن قدره من قدره .. وأبى أن تكون جهوده فى غير هذه المنطقة على الرغم من شهرته العالمية .. وقد لقى مصرعه على أيد آثمة وهو يؤدى رسالة نبيلة حاول من خلالها أن يضع الأمة العربية على مستواها .. وعندما مات لم تفكر دولة عربية ـــ حتى مصر التى كان يعتز بها ـــ أن تمنحه وساما أو وشاحا بينما توزع الأوسمة والنياشين بالجملة .

ولا جدال فى أنه كان أبا وديعا .. وكان يقضى وقته وحيدا منعزلا يفكر فى مستقبل الذرة فى الأمة العربية .. أغفلته مصر وهو حى وأقفلت على قضيته أبواب النسيان ، بعد وفاته .. ولكن .. بالرغم من كل الأخطار التى كانت تحيط به .. فإنه كان هادىء الأعصاب .. يحدثك عن كل شىء ابتداء من مشكلة الطاقة الذرية فى العالم العربى إلى نيل مصر الرائع ، وحتى عن قطته الوديعة التى كان يرعاها فى غياب أولاده .

إنه رجل بكل المقاييس .

وعالم شهدت له كافة الأوساط .

ومن حقه علينا .. التكريم .. أم .. « أننا نخاف أن نغضب السلام مع إسرائيل » .. على أية حال .. فإن « **بعض من شاركوا فى صنع قنبلتى هيروشيما ونجازاكى قد منحوا جائزة نوبل للسلام** »[1] .

□ □ □

ثم ... نأتى إلى اتهام سوريا .

إن الذين أطلقوا الاتهام ـــ كستار دخان يخفى جريمتهم ـــ استثمروا التناقض بين السوريين والعراقيين .. لكن .. هذا التناقض ـــ على حدته ـــ يتلاشى عندما تبرز المواجهة مع العدو الإسرائيلى .

ولو صنع العراق القنبلة الذرية ، فإن سوريا لن تشعر بالقلق .. ولا بالخطر .. بالعكس .. ستشعر بأنها ـــ فى صراعها مع إسرائيل ـــ أقوى .

ولم يحدث أن ضبط مسئول سورى واحد يتحدث عن الخطر النووى العراقى .. والتصريحات فى هذا المجال ، كانت بشأن الخطر النووي الإسرائيلى .

ففى الصيف الذى اغتيل فيه د . **المشد** ، صرح العماد **مصطفى طلاس** محذرا إسرائيل والولايات المتحدة من مغبة قيام إسرائيل بهجوم نووى .. فقال :

« **إن أصدقاءنا السوفييت لن يتخلوا عنا فى حالة تعرضنا لحرب تدمير تشنها الإمبريالية الأمريكية ، والصهيونية** » .

وتقول مجلة « استراتيجيا »[2] :

ـــ إن جميع المؤشرات توحى بأن سوريا حصلت على ضمان نووى من الاتحاد السوفييتى .. وأغلب الظن أن هذا الضمان هو أحد البنود السرية فى معاهدة الصداقة والتعاون الاستراتيجى بين موسكو ودمشق التى تم التوقيع عليها فى أكتوبر ١٩٨٠ . أى بعد ٤ شهور فقط من اغتيال د . **المشد** وتعطل البرنامج النووى العراقى .

---

(١) مجلة الوادى ـــ أغسطس ١٩٨٢ ـــ ص ٤٦ ـــ ٤٩ .

(٢) عدد مايو ١٩٨٨ ـــ ص ١٣٤ .

إن السوريين لهم مصلحة فى استمرار وازدهار هذا البرنامج ... وخاصة أنه ليس صحيحا أنهم قطعوا شوطا فى تكنولوجيا الذرة ... سواء من أجل الحرب أو من أجل السلام .. وليس صحيحا أنهم يملكون برنامجا نوويا على الإطلاق .

والإسرائيليون أنفسهم يعرفون ذلك ، ويعترفون به .

ففى كتاب الخبير النووى الإسرائيلى **مشاي فيلدمان** (ص ٨٧ ـــ مصدر سبق الإشارة إليه) .. أن اللجنة السورية للطاقة الذرية أقيمت « فقط » فى مارس ١٩٧٦ .. وبعد أكثر من سنتين ، طلب الرئيس **حافظ الأسد** « من فرنسا شراء معدات ومعلومات نووية ، غير أن طلبه رفض » .. فكان أن سافر إلى الهند لترتيب صفقة لشراء تكنولوجيا نووية .. لكن .. « بعض التقارير قللت من أهمية نتائج هذه الزيارة » .

وفى سنة ١٩٧٩ ، بذلت جهود سورية لبناء قاعدة نووية .. « فقد دعا وزير الطاقة السورى إلى إجراء دراسات أخرى فى موضوع إمكانية استخراج اليورانيوم من مناجم الفوسفات هناك .. وإقامة فرن نووى » .

وفى عامى ٨١ ـــ ١٩٨٢ « أجريت مباحثات مع شركات بلجيكية وسويسرية .. بشأن بناء ٦ أفران .. بقوة .. ٦ ميجاوات لكل منها .. وقال وزير الكهرباء السورى **عثمان يوسف** بأن الفرن الأول سينتهى بناؤه قبل سنة ١٩٩١ » .

وسوريا موقعة على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية .. ولا تتردد فى إعلان رغبتها فى أن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية من هذه الأسلحة .

وقد زودت قواتها المسلحة بمعدات الوقاية من التفجير النووى ، ودربتها على استعمالها ، ودربتها أيضا على أساليب الوقاية والتطهير واجتياز المناطق الملوثة بالإشعاع .. لكن .. بالرغم من ذلك أبقت الحكومة السورية « مسألة التسليح النووى فى المرتبة الأخيرة من سلم أولويات تحقيق التوازن الاستراتيجى مع العدو الصهيونى » .. كما قالت دراسة مجلة « استراتيجيا » ـــ المصدر السابق .

ولا جدال ـــ بعد ما تقدم ـــ فى أن سوريا خسرت **المشد** مثل العراق .. ولا نتجاوز إذا ما قلنا إنه ربما كانت خسارتها أفدح .

لقد فجر حادث اغتيال **المشد** ما هو أكثر .. وأبعد من دوافع وأسلوب الاغتيال .

فعندما تعجز الصحافة المصرية عن اتهام إسرائيل صراحة بتدبير الحادث وتنفيذه .. فهذا يعنى أن ما يقال عن حريتها .. خرافة .. أو فى أفضل الأحوال .. خدعة .

وعندما تتجاوز ذلك إلى ما هو أسوأ ــ نفى التهمة عن إسرائيل ورميها على سوريا ــ فهذا يعنى أنها تخطت حدود الاستخدام الرسمى لها إلى مرحلة العفونة .. أو فى أفضل الأحيان .. إلى مرحلة الغثيان .

□ □ □

لكن ...

أصوات الحق لم تعدم .

فبعد أن نشرت روز اليوسف ما نشرت ، تعرضت لحالة من الاستياء ، اضطرتها إلى الإسراع بوضع المساحيق على وجهها .. وهكذا .. نشرت ردا للدكتور **عبد الجواد سيد عبد الجواد** ــ الأستاذ بهيئة الطاقة الذرية المصرية .. بعد أن اختصرت منه الكثير .. وبعد أسبوعين من نشر الموضوع الأول .. أى فى العدد رقم ٢٧١٩ ــ بتاريخ ٢١ يوليو ١٩٨٠ ــ الصفحة الثامنة .

كان الرد بعنوان : « خلط الأوراق .. ومقتل عالم الذرة المصرى ! » .

وجاء فيه :

« مات **يحيى المشد** ، وقبلت أمته وأسرته هذا القضاء .. ولكنها ترفض ويرفض معها أصدقاؤه وأقرانه وزملاؤه ألا يكون أمامنا إلا أن نجتر الحسرة والألم » .

أسوق هذا الحديث بعد أن قرأت تحقيق مجلة روز اليوسف الذى نشر بتاريخ ٧ يوليو الحالى والحق أن الحديث قد كتب بذكاء شديد ولكن فى اقتضاب مخل .. غير أن القارىء المتفحص يدرك بعد قراءته أنه أمام محاولة لخلط الأوراق يتخللها خطر يتعمد فيه صاحبه أن يوحى للقارىء أن عليه ألا يتجه بتفكيره إلى أن مخطط القتل قد تم ونفذ بأيدى المخابرات الإسرائيلية .

ويبدو لى أن هذا التحقيق له هدفان : الأول هو إبعاد التهم عن المخابرات الإسرائيلية . أما الهدف الثانى فهو الزج بالشيوعية وبمخابرات أوروبا الشيوعية فى هذا الحادث وهو هدف ذو مغزى سياسى أبعد وأشمل من حادث الاغتيال .

ومن جانبى — كزميل دراسة وعمر للفقيد — فلا أستطيع إلا أن أذكر بأن **يحيى المشد** قد تلقى تعليمه ودراسته فى دولة شيوعية هى الاتحاد السوفييتى ، وأنه الوحيد فى ذلك الوقت — من بين أقرانه — الذى سمحت له السلطات السوفييتية بإعداد رسالة دكتوراه عن التحكم وتشغيل المفاعلات الذرية — أيضا فإن عشرات من أبناء الأمة العربية ومن كل أقطارها تلقوا ويتلقون علومهم فى مجال الذرة فى الاتحاد السوفييتى وفى بلاد أوروبا الشيوعية .

وهناك الكثير ممن يذهبون إلى أن حادث قتل **يحيى المشد** ليس حادثا عارضا بل هو حلقة من سلسلة اغتيال راح ضحيتها من قبل العالمة المصرية **سميرة موسى** والعالم المصرى **نبيل القلينى** ، كما أنهم يربطون بين حوادث القتل هذه وبين تفجير المفاعل النووى الذى كانت فرنسا تزمع إرساله للعراق .

فإذا كانت المخابرات السورية هى التى قتلت **يحيى المشد** وذلك لأنه رفض أن يعمل لحسابها على حد ما أمكن استشفافه من ثنايا الجمل والعبارات فمن يكون قد قتل **نبيل القلينى وسميرة موسى** منذ سنين ؟ ومن يكون قد فجر المفاعل الفرنسى للعراق ؟ وما هى الحلقة التى تربط المخابرات الشيوعية الأوروبية بتفجير المفاعل الذرى الفرنسى ؟

ولست بصدد تناول كل نقطة من النقاط التى أوردها الكاتب فى مقاله بين التلميح والتصريح لأحللها فهذا فى رأيى عمل يمكن أن تضطلع به جهات التحقيق ، كما أنه خارج عن مناقشة ما يستهدفه المقال وهو وضع إسرائيل وراء الستار ومحاولة تسليط الضوء على دول أخرى عربية أو أوروبية شيوعية .

إننى بمتابعة كافة التحقيقات التى أجرتها الصحافة المصرية قد أصابنى الأسى الشديد إذ تبين لى أمران — من واقع هذه التحقيقات والرسائل المرسلة على عجل من عواصم العالم — أولهما : أن هناك محاولات بين سطور هذه التحقيقات تستهدف التقليل من احتمال أن تكون إسرائيل وراء الحادث .

والثانى : أن رد الفعل المصرى كان ضعيفا وكان جل اهتمام السفارة المصرية فى باريس ـــ بعد معرفتها بالحادث ـــ هو الحصول على موافقة الاسرة (أسرة الفقيد) لنقل جثمانه على نفقتها لدفنه بالقاهرة . وأن صحافتنا القومية أجرت تحقيقات هامشية حوله ولم تتناوله بالدراسة .

إننا نناشد صحافتنا القومية أن تكون عونًا وهاديا للقارىء المصرى لكى يتفهم ما يدور حوله من أحداث وأن تغلب الدراسة الموضوعية لقضايا الوطن على المفاهيم والأفكار الذاتية » .

انتهى رد الدكتور **عبد الجواد سيد عبد الجواد** .

□ □ □

سألت زوجة د . **يحيى المشد** :

□ ما رأيك فى اتهام السوريين بقتل زوجك ؟

ـــ **مستحيل !**

□ لماذا ؟

ـــ لقد قضينا صيف ـــ ١٩٧٩ فى سوريا ـــ ولو كان يحيى يشعر بخطر من السوريين لما ذهب إلى بلادهم بقدميه .. ثم .. إنه كان له أصدقاء من بينهم .. احترموه كثيرا .. واحترموا موقفه القومى .. ثم .. إن الإسرائيليين هم الذين قتلوه .

هكذا ..

أجابت .

ومرة أخرى نؤجل إبراز الدليل للوقت المناسب .

□ □ □

□ ٨ □

من نوبل إلى بابل !

ما حدث فى ذلك اليوم كان وثيق الصلة بحادث اغتيال الدكتور يحيى المشد .. بالرغم من مرور سنة .. تقريبا !

فى صباح يوم الجمعة ٥ يونيو ١٩٨١ ، هبطت طائرة أنور السادات فى مطار **شرم الشيخ** .. عاصمة جنوب سيناء .. وبالرغم من أن هذه البقعة الاستراتيجية ، السياحية ، الساحرة ، أرض مصرية ــ منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها ــ فإن الإسرائيليين ــ الذين كانوا يحتلونها ــ أصروا على أن يكون استقبال الرئيس المصري استقبالا رسميا .. كما لو كان على أرض غير مصرية !

ابتلع السادات الإهانة .. وضغط أكثر على عظام فكيه .. وبصعوبة رسم على وجهه ابتسامه مستوردة من متحف الشمع .

لكن ...

قبل أن ينتهى الاستقبال فوجىء السادات بعدد من اليهود ، يمزقون الأعلام المصرية التى رفعت للترحيب به .. جاء هؤلاء من مستوطنة سميت « **اوفيرا** » .. لم تكن أزيلت بعد .. كان يعيش فيها ١٢٠٠ مستوطن إسرائيلى أغلبهم كان يعمل في نوادى « الغوص » تحت الماء ... وقد أصرت مجموعة منهم على مقابلة « بطل السلام » الحائز على نصف جائزة « نوبل » بعد زيارته الشهيرة لإسرائيل في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ .

وقد حدث اللقاء ..

.. ومع أن الأعصاب كانت منفلتة .. والمطالب متهورة ــ مثل فتح الحدود بين مصر وإسرائيل والبقاء فى شرم الشيخ بعد إعادتها للسيادة المصرية فى ٢٥ أبريل ١٩٨١ ــ

فإن السادات استجاب للكثير .. وتمالك نفسه .. فكان أن وجد الإهانة الثانية فى البلعوم .

بعد دقائق ، التقى **السادات** ورئيس وزراء إسرائيل **مناحم بيجن** .. وكان هذا اللقاء ، اللقاء العاشر ، والأخير بينهما .

كنت هناك ... بين حوالي ٣٠٠ صحفى ومراسل جاءوا ليتابعوا ما يجري ... وكل ما سمح لنا به هو الجلوس على شاطىء الفندق السياحى الذي شهد اللقاء ... وكان النجم الساطع ــ في عز الظهيرة ــ على الشاطىء هو المهندس **عثمان أحمد عثمان** .. الذى تبادل الدعابة مع وزير الزراعة والمستوطنات الإسرائيلى **إريل شارون** ، ثم تركه للتفاوض مع وزير التعمير ، المهندس **حسب الله الكفراوى** .

بعد ساعتين ونصف الساعة من المباحثات الثنائية المغلقة ، خرج **مناحم بيجن** إلى الشاطىء .. وخلع « الجاكت » .. وجلس إلى جوار أخته « **راشيل** » .. واستدعى **السادات** مساعديه .. وفيما بعد ، علمت أنه قال لهم :

« **إنه يريد أن يبيعنى للناخب الإسرائيلى** » .

كان يقصد **بيجن** بالطبع .. الذى كان على عتبة انتخابات برلمانية جديدة .. وفهم مساعدو **السادات** أن **بيجن** يتعمد لقاء **السادات** حتى يظهر على شاشة التليفزيون فى بلاده ، قافزا على القانون الذى يحرم ذلك قبل الانتخابات .

لكن ... ذلك لم يخطر على بال **بيجن** .. ولا هو ما حدث .

لقد طالبه **بيجن** بعدم التدخل إذا ما غزت إسرائيل لبنان .. وإن سمح له بالاكتفاء بالتصريحات الإعلامية التى لا تقدم ولاتؤخر .

وهكذا ... قال **السادات** بلهجة مهذبة ، إنه يطلب من إسرائيل وقف الغارات على لبنان .. كان ذلك فى المؤتمر الصحفى الخاطف الذى عقد فى نهاية الزيارة بمطار شرم الشيخ ... وقد لاحظت أنه قبل أن يركب الطائرة نسى ــ من شدة توتره ــ نظارته الطبية .

كان قرار غزو لبنان خدعة التقمها **السادات** ليدارى **بيجن** فضيحة أقرب ، اتخذ

قراره ـــ فى اليوم نفسه ـــ بتفجيرها .. كانت ضرب المفاعل النووى العراقى بعد ساعات .

إن شبه المؤكد أن المخابرات المصرية شمت رائحة الفضيحة ، فأبلغت **السادات** بما لديها من معلومات .. ويبدو أنه حاول جس نبض **بيجن** ، الذى شعر بأن المصريين قد عرفوا ، فقرر إبعاد نظرهم عن العراق ، وراح يتحدث عن غزو لبنان .

وأغلب الظن أن المصريين ، بلغوا العراقيين بما توافر لديهم من معلومات حول ضرب مفاعلهم النووى .. لكن ..يبدو ، أن العراقيين ـــ الذين كانوا على خصومة حادة ، وملتهبة مع نظام حكم **السادات** بسبب معاهدة الصلح مع العدو الصهيونى .. لم يصدقوا .. أو أنهم ارتابوا فيما نُقل إليهم وصلهم فى وقت غير مناسب .

كذلك ...

بدأ ضرب المفاعل العراقى بطائرات إسرائيلية ضربا من الخرافة .. بسبب بعد المسافة .. كما بدا أمرا صعب التنفيذ .. لأن الطائرات الإسرائيلية ستمر على مدن عربية متنوعة لابد أنها ستعرف ، وستبلغ العراقيين فى الوقت المناسب .

وفى الوقت الذى أقلعت فيه طائرة **السادات** ـــ من مطار **شرم الشيخ** ، قبل مغرب يوم ٥ يونيو ـــ كانت ١٦ طائرة حربية تابعة لسلاح الجو الإسرائيلى ، راقدة فى قاعدة « **أتزيون** » .. شرقى سيناء « المحتلة » .. ومستعدة لتنفيذ مهمة طال انتظارها .

إن شهر يونيو كان دائما ـــ ومنذ عام ١٩٦٧ ـــ حلبة للصراع بين العرب وإسرائيل .. بين المقاومة والغطرسة .. بين الصمود وفرض الأمر الواقع .. بين الكبرياء ومحاولة تغيير الحدود والخرائط .

فى شهر يونيو أعيد فتح قناة السويس للملاحة .

وفى شهر يونيو اغتيل د . **المشد** ، وضرب المفاعل العراقى ، واجتاحت إسرائيل لبنان .

□ □ □

صباح يوم الأحد ٧ يونيو ١٩٨١ ، كلف **مناحم بيجن إيفرام بوران** باستدعاء وزراء حكومته .. البالغ عددهم ١٤ وزيرا ... كانت التعليمات أن يشعر كل وزير أنه مطلوب بمفرده .. وأن يصل إلى بيت رئيس الوزراء فى القدس فى الساعة الخامسة من بعد الظهر .. وكان التصور أن الاجتماع خاص بالاحتفال بعيد الفصح .. أو عيد الحصاد ..الذي جاء فى اليوم نفسه ، فى ذلك العام .

فور وصولهم قام رجال البوليس بسحب سياراتهم واحدة تلو الأخرى .. ودخل الوزراء إلى « صالون » الاستقبال .. ليكتشف كل منهم أنه ليس الوحيد الذى دعي .. بل إن مجلس الوزراء بأكمله قد جاء !

فى الساعة الخامسة والربع ، وفد **بيجن** عليهم وهو يرتدى قميصا بنصف كم ، وبنطلونا ، ويضع على رأسه « طاقية » اليهود المتدينين ... وفى لهجة رسمية ، جادة ، قال لهم :

ــ حسنا .. إن ستة من طائراتنا الحربية في طريقها الآن إلى هدفها فى العراق ، وإننا نأمل أن يستطيع « أولادنا » أن يكملوا مهمتهم بنجاح ، ويعودوا إلينا سالمين !

ثم ... أضاف :

ــ إنها ستكون « عنتيبي » أخرى !

خيم السكون على الوزراء .. ثم نهض أحدهم من الصمت والتوتر .. وقال :

□ تقصد سوريا ؟

رد **بيجن** :

ــ كلا .. بل أقصد المفاعل النووي الذي أقامته فرنسا على بعد عشرة أميال ونصف جنوب شرق بغداد !

قال وزير آخر :

□ لماذا استدعيتنا وقد اتخذت قرارك ؟

ــ أجاب بيجن :

ــ من أجل أن نفكر معا فيما لو حدث أن الهجوم على المفاعل العراقى قد فشل .

فى أعماقهم شعر الوزراء بأنهم مثل « طراطير » الكريسماس .. لكنهم .. لم يجدوا الوقت مناسبا للتعبير عن ذلك .

□ □ □

لم يكن عدد الطائرات الذى ذكره بيجن دقيقا .

فقد انطلقت ٨ طائرات (فالكون ـــ ف ١٦) المقاتلة ، والقاذفة ، وفى بطن كل منها ٩٠٠ كيلوجرام قنابل ثقيلة ، موجهة بأشعة الليزر .. تغطيها ٨ طائرات أخرى (إيجل ـــ ف ١٥) مزودة بصواريخ « جو ـــ جو » طراز سبارو .. وسايدوندر .. ومزودة بخزانات وقود إضافية ، وأجهزة « تشويش » إلكترونية .

بعد ساعة إلا ربع الساعة رن جرس التليفون .. ووضع بيجن السماعة على أذنه .. وبعد بضع ثوان قال لرجاله ... « **لقد تمت المهمة بنجاح** » .

انطلقت الطيور التى كانت على رءوس الوزراء .. ولمدة ٧٠ دقيقة دارت المناقشات حول .. « **ماذا تفعل إسرائيل لو أن إحدى الطائرات ضربت وهى فى رحلة العودة ؟** » .

وكان واضحا أن الهدف من هذه المناقشات ، هو قتل الوقت ... وسحق التوتر .

□ □ □

كانت الطائرات الإسرائيلية قد عبرت خليج العقبة على علو منخفض « حيث التقت بطائرة بوينج ـــ ٧٠٧ تابعة لسلاح الجو الإسرائيلى ، ومجهزة بأذرع تستخدم للتزود بالوقود ، فتزودت منه بما تحتاجه لرحلتها الطويلة إلى بغداد » ... على حد معلومات الكاتب الصحفى الأميركى ستيفن جرين .

بالقرب من قاعدة « تبوك » الجوية ، التقط السعوديون[1] ـــ على شاشات

---

(١) راجع كتابه « بالسيف ـــ أميركا وإسرائيل فى الشرق الأوسط ـــ ١٩٦٨ ـــ ١٩٨٦ » ، الذى ترجم بإشراف الدكتور محمود زايد ـــ ص ١٧٩ من الترجمة ـــ الناشر شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، بيروت ـــ ١٩٨٨ .

راداراتهم ــ صورة الطائرات الإسرائيلية .. لكن .. أمريكيين يعملون هناك أقنعوهم بأن ما يظهر على الشاشات ليس إلا صورة طائرات ركاب مدنية ــ بوينج ٧٠٧ ــ وضاعف فى سرعة الإقناع أن المجال الجوى ــ فى تلك البقعة ــ مخصص لعبور طائرات مدنية ، منتظمة الرحلات .

وهكذا ... عبرت السعودية بسلام .

فوق الأجواء الأردنية ، التقطتها أجهزة الرادار .. وحسب رواية مجلة « نيوزويك » الأمريكية[٢] فإن الطيارين الإسرائيليين تحدثوا مع محطة الرادار الأردنية باللغة العربية ، وزعموا أنهم يقودون طائرات سعودية .

ومرة أخرى .. لم تهتز الدفاعات العربية .

قطعت الطائرات الإسرائيلية ١٢٠٠ ميل ، بسرعة ٦٠٠ عقدة ، وقبل أن تخترق المجال الجوى العراق ، وتصل إلى الهدف في الساعة السادسة و ٢٥ دقيقة بالتوقيت المحلى .. الخامسة و ٣٩ دقيقة بتوقيت إسرائيل .

فى ذلك التوقيت بالضبط ، ارتفعت مجموعة القاذفات فجأة ، وبسرعة ، ثم أفرغت ما في أحشائها من قنابل فوق قبة المفاعل النووى الضخمة ، التى تقع فى ضاحية « التوثية » القريبة من بغداد ، والتى تحوطها تلال صغيرة ، وأشجار نخيل مثمرة .

استغرقت العملية ٢ ــ ٣ دقائق فقط .

ثم .. انسحبت طائرات فالكون بزاوية تجعلها تتلافى صواريخ سام السوفييتية (أرض ــ جو) والمدفعية المضادة للطائرات ... أما الحماية الجوية فقد تكفلت بها طائرات إيجل التى غطتها ... « على شكل دائرة » .

وحسب تحريات ووثائق ستيفن جرين :

لم تحدث مقاومة جوية .

---

(٢) راجع ترجمة الرواية ــ مجلة الوادى ــ سبتمبر ١٩٨١ ــ ص ٢٠ .

لم تُطلق صواريخ سام .

لم تغضب مواسير المدافع المضادة للطائرات .. إلا « بعد مرور ساعة من الوقت ، ولمدة ١٥ دقيقة ، وعلى أهداف غير ظاهرة » .

وفى النهاية ... « كان الأمر غاية فى السهولة » !

« ودمر المفاعل العراق بما فيه القسم المركزى منه ، وقُتل فرنسى وعدد من العراقيين » .

تريثت طائرة من مجموعة إيجل « لالتقاط صور جوية للذكرى .. وللعبرة .. لكنها .. سرعان ما لحقت بالتشكيل » .

وعند اختراق سماء الأردن ... « تمكنت أجهزة الرادار العسكرية (هذه المرة) من التعرف على إشارات معادية فأطلق عليها (على الطائرات الاسرائيلية) صاروخ هوك الدفاعى الجوى (أمريكى الصنع) .. لكن طائرات الـ ف ـــ ١٥ استطاعت أن تشوش بسهولة على نظام تصويب القذيفة التي سقطت دون أن تلحق ضرراً » .. وفشلت المحاولات الأردنية الأخرى لإطلاق صواريخ هوك بسبب عطل فى أجهزتها .. أصابها فجأة .[٣]

□ □ □

قبل الساعة السابعة بقليل دق جرس التليفون فى بيت رئيس الوزراء الإسرائيلى .. معلنا .. « **إن جميع الطائرات عادت إلى قواعدها سالمة** » .

هنأ الوزراء الإسرائيليون بعضهم البعض ..

وانفض الاجتماع .

وفى تمام الساعة السابعة مساء ، اتصل **بيجن** بالسفير الأميركى **صمويل لويس** ، وأبلغه النبأ .. وكان رد السفير الأمريكى خاطفا .. « غير معقول » !

لم تذكر مجلة نيوزويك (التى روت ما جرى فى بيت **مناحم بيجن**) كيف كانت

---

(٣) جرين ـــ ص ١٨٠ ـــ ١٨١ .

مشاعر السفير الأمريكي عندما تلقى النبأ .. لكنها .. أفاضت فى سرد الكثير من المعلومات ، التى لم تنشر من قبل عن خلفية هذه العملية ، التى تعرف ــ أحيانا ــ باسم « **عملية بابل** » .

وحسب ما ذكرته ، فإن عملاء لإسرائيل جمعوا معلومات كثيرة عن المفاعل العراق ، أغلب الظن أنها كانت مفيدة جدا ...

وقد بدأ الإسرائيليون فى تجميع ملف معلومات المفاعل العراق ــ بصورة جدية ــ فى صيف ١٩٧٩ .. « حتى إنهم حددوا موقعه ومكانه ومكان الكومبيوتر الذى يتحكم فى عملياته » .

وفى ذلك الوقت ، قدموا إلى **بيجن** صورة من الجو لقبة المفاعل ... وبتباه شديد ، وقع أسفل الصورة .. مع تحياته وتقديره ، على طريقة نجوم السينما .

وفي يونيو ــ ١٩٨٠ ، طلبت المخابرات العسكرية الإسرائيلية منه .. « أن يوافق على إجراء مسح سرى شامل بالأشعة الحمراء لموقع المفاعل » .

وحتى يتم ذلك .. كان لابد من القيام بعملية وقائية خاطفة تضمن تعطيل البرنامج النووي العراق حتى تعد ــ على مهل ــ خطة تحطيم المفاعل .. وهكذا .. اختير الدكتور يحيى المشد .. الذى اغتيل قبل القيام بمسح الأشعة الحمراء .. الذي جرى ليلا .. فيما بعد .

لقد عطل اغتيال المشد الزمن .. لكن .. لم يوقفه .

ومن ثم .. راحت الأنفاس الإسرائيلية تتلاحق أسرع .

□ □ □

في سبتمبر ــ ١٩٨٠ ، اشتعلت الحرب العراقية ــ الإيرانية ... وبالرغم من أنها راحت ــ كتنين مسعور ــ تلتهم بلايين الدنانير ، فإنها لم تؤثر على ميزانية البرنامج النووي العراق .

ولكنها ...

من ناحية أخرى ، وفرت لإسرائيل متهما ، جاهزا ، يمكن أن يلبس مسئولية أى عملية تخريب تحدث للمفاعل العراقي .

وهكذا .. كانت حرب الخليج .. « هدية ثمينة لإسرائيل » .. على حد تعبير د . **إيريش فولات** (ص ـــ ١٥٩ ـــ مصدر سبق ذكره) الذى يضيف :

أن رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية ـــ فى ذلك الوقت ـــ سئل :

ـــ لماذا لم تحاول طهران حتى الآن ضرب المفاعل النووى العراقى ؟

جاء السؤال ـــ دون مبرر ـــ من صحيفة « معاريف » !

أما الإجابة فكانت :

ـــ إننى أعتقد أن هذه الضربة المدمرة توشك أن تحدث !

ولا جدال فى أن ذلك كان مدبرا .. ومتعمدا .. كان جزءا من سيناريو ، صاغه العميد يهوشع ساجى ، رئيس المخابرات العسكرية .. ولعبت فيه صحيفة معاريف دورا .. وكان المقصود منه :

ـــ إما تنبيه الإيرانيين لصيد ثمين لم يلتفتوا إليه .

أو إبعاد الشبهة عن الإسرائيليين ..مقدما .

وكان لابد من تنفيذ اللقطة الأولى ـــ فى هذا السيناريو ـــ على هذا النحو للتشويش على ما سبق أن ذكرته مجلة « تايم » الأمريكية (عدد ١١ أغسطس ١٩٨٠) ... « إن إسرائيل ستضرب المفاعل النووى العراق » ..وأيضا للتشويش على ما قاله لها **إسحاق شامير** وزير الخارجية الإسرائيلى فى ذلك الوقت .. « **إن المفاعل النووى العراق يمكن أن يزيد الصراع فى المنطقة ويعرقل جهود السلام** » .

□ □ □

وفى ٣٠ سبتمبر نفذت إسرائيل باقى لقطات السيناريو .

ففى ذلك اليوم ، قصفت المفاعل العراقى بطائرات لم ترصد ... وهناك احتمال أنها كانت من طراز ف ـــ ١٦ ، وتحمل علامات سلاح الجو الإيرانى.

كانت هذه المحاولة الأولى من نوعها لتحطيم المفاعل من الجو .. وقد فشلت المحاولة .. ولم يصب جسم المفاعل .. وكما توقعت المخابرات الإسرائيلية ، اتهم العراق ، إيران .. وأنكرت طهران .

لكن ...

« الحقيقة أن طيارى إيران لم يفعلوا ذلك .. فالإسرائيليون هم الذين ضربوا المفاعل .. إلا أن العراقيين ـــ الذين علموا جيدا من أين جاءت الضربة ـــ أرادوا أن يسيئوا إلى سمعة الإيرانيين أمام العالم »[٤] د . **فولات** ص ١٥٩ .

وقد أثار فشل العملية ـــ داخل المخابرات الإسرائيلية ـــ عدة احتمالات .. كانت بالترتيب :

ـــ أن الطيارين الاسرائيليين لم يستطيعوا تحديد الهدف .

ـــ أن العملية لم يتوافر لها التخطيط الجيد .

ـــ أن معلومات الاستطلاع لم تكن كافية .

على أن الإسرائيليين أملوا فى أن تجبر المحاولة الفنيين الفرنسيين على الانسحاب من العمل فى المفاعل .. لكن هذا الأمل خاب .. فقد بقى الفرنسيون .. بل وتضاعف نشاطهم .

□ □ □

بعد مرور شهر .. أى فى أكتوبر ١٩٨٠ ، أصبحت إسرائيل قادرة على تجاوز فشل الضربة الأولى ، وجاهزة للقيام بضربة أخرى .. ومن جديد صدرت الأوامر بالتنفيذ .. وكان أن تحددت خمسة مواعيد للهجوم :

الأول : نوفمبر ـــ ١٩٨٠ ، وألغى دون معرفة الأسباب .

الثانى : فبراير ـــ ١٩٨١ ، وألغى بسبب اعتراضات **إيجال الون** .

---

(٤) مصدر سبقت الإشارة إليه .

الثالث : مارس ـــ ١٩٨١ ، وألغى لأسباب لم تكشف بعد .

الرابع : مايو ـــ ١٩٨١ ، وألغى بسبب اعتراض **شيمون بيريز** (زعيم المعارضة) الذى أكد أن الوقت غير مناسب ، وبسبب تسرب الخبر إلى عضو الكنيست المعارض **موشى شاحاك** ، الذى أثار الموضوع فى إحدى اللجان الخاصة فى الكنيست ، وبسبب رفض وزير الدفاع الأسبق **عيزرا وايزمان** ، للعملية ، التى وصفها بأنها « مقامرة » .

الخامس : ٧ يونيو ـــ ١٩٨١ ، وقد استقر **بيجن** عليه سرا وتيمنا بالذكرى الرابعة عشرة لهزيمة العرب فى حرب « الأيام الستة » .

وخلال تلك الفترة .. « لم تكن القوات الجوية الإسرائيلية عاطلة .. فقد أقيمت نماذج كاملة للمفاعل فى صحراء سيناء .. واختيرت مجموعة الطيارين للتدريب على قذفها عدة مرات .. حتى أن أحد قادة الجيش الإسرائيلى قال : إن طيارينا كانوا يعرفون كل شجرة وكل منزل فى طريق المفاعل .

وهكذا ...

حانت ساعة الصفر .

□ □ □

انطلقت صفارات الإنذار فى بغداد محذرة من وقوع غارة جوية .. ومع إطلاق القذائف المضادة للطائرات ، هرع الناس إلى المخابىء دون أن يعرفوا بالضبط من المعتدى ؟ .. إيران أم إسرائيل ؟

بعد صمت استمر أكثر من ٢٢ ساعة ، قال الرئيس **صدام حسين** ، فى بيان إذاعى : إن طائرات صهيونية معادية قامت بالغارة على المفاعل النووى .

وأضاف : إن إسرائيل ـــ التى تزود إيران بمعدات عسكرية وقطع غيار ـــ بدأت تلعب دورا مباشرا ـــ بما فعلت ـــ لصالح إيران .

وذكر : أن السبب الرئيسى للغارة .. رغبة إسرائيل فى الإبقاء على الفجوة الفنية والعلمية بينها وبين الأمة العربية .

« إننا نعلن ومن موقع الاقتدار والتفاؤل بالانتصار النهائى فى ساحات الصراع أن هؤلاء الأعداء الصهاينة والفرس وكل من يقف معهم أو يساندهم فى السر والعلن

لن يتمكنوا من تحجيم قدرتنا على النهضة والتقدم ، سواء فى الميدان التقنى والعلمى أو فى ميدان التحولات الاقتصادية والاجتماعية » .

وعندما اجتمع مجلس الوزراء العراقى لبحث الموضوع ، دعا الرئيس **صدام حسين** « **كل الدول المحبة للسلام فى العالم لمساعدة العرب فى امتلاك القنبلة الذرية** » .

بعد أيام .. فى بغداد .. سألت التليفزيونية الأمريكية اللامعة **بربارة والترز** (محطة إى . بى . سى) .. الرئيس العراقى .. عن هذه الدعوة .. فقال : « إنه بغض النظر عن النوايا وإمكانات العرب ، فعندما تكون إسرائيل تمتلك القنبلة الذرية ، فعلى كل القوى المحبة للسلام أن تعاون العرب ليمتلكوا مثل هذا السلاح من أجل السلام ، أى لإقامة التوازن بين القنبلة الإسرائيلية التى تمتلكها إسرائيل الآن فعلا وبين عدم امتلاك العرب لأى سلاح من النوع الذى يجعل إسرائيل تتردد فى أن تستخدم هذه القنبلة ضد العرب » .

س : كم من الوقت ستستغرقه عملية إعادة بناء المفاعل ؟

جـ : « **على أية حال ، بغض النظر عن الزمن ، فنحن مصممون على أن نمتلك مثله أو أحسن منه وفى نفس الاتجاه** » .

س : هل سيرد العراق بضربة مماثلة على الغارة الإسرائيلية ؟

جـ : « **إن هذا الشعب من النوع الذى لا ينسى أعداءه** » .

□ □ □

على الناحية الأخرى .. فى إسرائيل .. تأخر أيضا ــ لمدة ٢٤ ساعة ــ إعلان النبأ .

أبدى كبار الحاخامات إعجابهم بما حدث .. وأيدوا **مناحم بيجن** .. وصلوا من أجله ومن أجل الطيارين الذين نفذوا العملية .

وزع مكتب رئيس الوزراء بيانا مكتوبا .. اعترف بمسئولية إسرائيل .. وقدم التبريرات التالية :

« إن الهدف من المفاعل هو إنتاج القنابل الذرية » وقد علمنا ذلك « من مصادر موثوقة للغاية » .. على الرغم من « التصريحات المخالفة » .

ــ « إن هدف هذه القنابل هو إسرائيل » .

ــ « إن القنابل الذرية التى كان بمقدور المفاعل إنتاجها معززة باليورانيوم أو البلوتونيوم ، ومن النوع نفسه الذى أسقط على هيروشيما . وهكذا . فإنها تشكل خطرا على وجود إسرائيل » .

« **لقد أبلغتنا مصادر موثوقة للغاية موعدين لإنجاز المفاعل وتشغيله .. الأولى فى بداية يوليو ــ ١٩٨١ ، والثانى فى بداية سبتمبر من العام الحالى** » .

ــ « لذلك اضطررنا للدفاع عن أنفسنا ــ بمنع تجهيز قنبلة نووية فى العراق ، لم يكن ليتردد فى استخدامها ضد إسرائيل ومراكزها الآهلة بالسكان » .

ــ فكان أن تحركت الحكومة الإسرائيلية .. « دون تأخير لضمان سلامة شعبنا ! » .

وقال البيان :

ــ إن الخطة كانت « محكمة » .. واختير يوم الأحد للتنفيذ ، لأنه يوم إجازة الخبراء الأجانب (١٠٠ ــ ١٥٠ خبيرا) .. فلم يصب أى منهم بأذى .

إننا « **لن نسمح فى أى حال من الأحوال لعدو بإنتاج أسلحة للتدمير الجماعى ضد شعب إسرائيل** » .

وفى اليوم التالى ، عقد **بيجن** مؤتمرا صحفيا فى القدس ، قدم فيه ما أسماه الدليل على وجود برنامج نووى عراقى لإنتاج القنبلة .. وكان هذا الدليل تصريحا منسوبا **لصدام حسين** ، جاء فيه : « إن على الشعب الإيرانى ألا يخشى المفاعل النووى العراقى ، الذى لا نية لاستخدامه ضد إيران ، وإنما ضد العدو الصهيونى » .. وقيل إنه قد نشر فى صحيفة « الثورة » العراقية بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٨٠ .

□ □ □

وفيما بعد ...

رد **سيتفن جرين** بالوثائق الأمريكية على كل ما فات ... فأكد :

ــ أن الشهادة التى قدمت أمام الكونجرس دلت على أنه « **لم يكن بمقدور العراق أن يصنع أسلحة نووية ، ولا حتى اتخاذ خطوات تمهيدية للقيام بذلك ، من غير أن يكتشفها الفنيون الفرنسيون ، ومفتشو الوكالة الدولية للطاقة الذرية** » .

ــ أن مساعد وزير الخارجية **نقولاس فليوتس** أعلن أمام لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس : أنه لا وجود إطلاقا للتصريحات العراقية التى تشير إلى تدمير إسرائيل ... بما فيها ما نسب لصدام حسين فى صحيفة « الثورة » .. فكان أن وقع **بيجن** ضحية لفشل مساعديه .

ــ أن الخبراء الأجانب يزاولون العمل يوم الأحد ويعطلون يوم الجمعة .. وما أنقذهم هو أن الطائرات الإسرائيلية « وصلت عند نهاية العمل تقريبا » .

ــ ومع ذلك قتل فنى فرنسى يدعى م . **شوسبيد** فى الغارة .. ومرة أخرى كان **بيجن** ضحية فشل مساعديه .

□ □ □

انفجر « الديسكو » الإعلامى ، والرسمى فى إسرائيل ...

□ « نحن نعرف ما يجب أن نفعله فى المرة المقبلة ، ليس من الضرورى أن نتخذ إجراء آخر فى العراق .. قد يكون ذلك فى أى مكان آخر » .

الجنرال رفائيل إيتان

□ أعتقد بأن كل شخص يهتم بسلامة العالم عليه أن يدرك أن وجود أسلحة نووية بأيدى دولة كالعراق يشكل خطرا ، ليس على إسرائيل والشرق الأوسط وحسب ، وإنما على العالم أجمع ، لذلك أعتقد بأنه ــ بعد فترة من الزمن ــ سيقدر الجميع ما قامت به إسرائيل . لقد أوضحت إسرائيل فى الماضى ، قولا وعملا ، أنها لن تتردد فى استعمال يدها الطويلة للدفاع عن أمنها وبقائها . وقد أثبتنا ذلك أكثر من مرة . ولن نتردد فى العمل ضد كل من يحاول صنع أسلحة نووية هدفها القضاء على اسرائيل » .

إريل شارون

□ « على العرب أن يعرفوا أن إسرائيل ليست كلبا ينبح فقط .. بل إنها تعض أيضاً »

موشى ديان

□ « لقد شددت دائما على نشوء هذا التهديد المريع الذى يوشك أن يأتينا من العراق ..

وإذا واصل الفرنسيون تقديم المساعدة فى تطوير مفاعلات جديدة وتزويد المفاعل بالوقود ، فسوف نضطر إلى تدميره ثانية » .

البروفيسور **يوفال نيمان**

□ « إن العراق كان يريد تشغيل المفاعل النووى من أجل إنتاج أسلحة مدمرة فى نهاية شهر يوليو المقبل بمناسبة الاحتفال بذكرى ثورة تموز ، وقد نفذت العملية الإسرائيلية عشية قص الشريط الحريرى لذلك » .

العميد **يهوشع ساجى**

□ □ □

وفيما بعد ..

سألت صحيفة « يديعوت احرونوت » العميد **ساجى** :

س : خشيت من ضرب المفاعل العراقى .. فلماذا عدلت عن رفضك ؟

جـ : **لم أعبر عن رفض ، ولكن أشرت إلى الأخطار التى يمكن أن تتبع قصف المفاعل .. وبالمصادفة لم تقع هذه الأخطار .**

س : هل كان المفاعل سيضرب لو كان فى السعودية ؟

جـ : **ليس لنا أن نتوقع البلاء قبل وقوعه .**

س : نقول .. لو ..

جـ : **لا .. لا يمكن مهاجمته لما فى ذلك من مخاطر قطع العلاقات مع واشنطن .**

كان ذلك فى سنة ١٩٨٢ ، عندما خرج رئيس إدارة المخابرات العسكرية الإسرائيلية من موقعه ، لارتكابه جريمة أفظع .. مجزرة صبرا وشاتيلا فى لبنان .

□ □ □

□ ٩ □

الطريق إلى ديمونة !

تقع مستعمرة « **ديمونة** » فى منطقة النقب الوسطى .. وتبعد عن بئر سبع ٣٥ كيلومترا .. شرقا .. والمنطقة صحراوية .. جبلية .. قليلة السكان رغم أنها تشكل ٥٤ بالمائة من مساحة فلسطين .. وجبال النقب متوسطة الارتفاع .. يتراوح ارتفاعها بين ٥٠٠ ـــ ١٠٠٠ متر .

ولا أحد يعرف الاسم العربى ـــ الفلسطينى لديمونة .. وإن كان هناك من يطلق عليها « **أم دومنة** » .. أو « **أم أرديمة** » .. لكن .. من المؤكد أن أرض ديمونة كانت ملكا لقبائل البدو التى تعرف باسم « **عرب التايهة** » .

وتحاصر الجبال ديمونة من الشرق ، والغرب ، والجنوب ، وتلتقى عندها الوديان المتجهة إلى البحر الميت .. لذلك تكثر فيها السيول .

وفى هذه الوديان ينتشر الفلسطينيون ـــ البدو .. يزرعون .. ويرعون .. ويعيشون حياة معزولة .. متواضعة .. وتتم معاملاتهم التجارية فى مدينة بئر سبع .. حيث يبيعون المواشى ، والجلود ، والصوف ، ويشترون حاجاتهم من الملبس والمأكل .

وتقع ديمونة على طريق بئر سبع ـــ سدوم شرقا .. وعلى طريق بئر سبع ـــ إيلات جنوبا .. والمنطقة الشرقية التى تطل على البحر الميت ، منطقة سياحية ، بها مزارات تاريخية ، دينية ، تجذب الكثيرين من داخل وخارج إسرائيل .

وتمر بديمونة سكة للحديد تربط مناجم الفوسفات (فى أم رومْ ـــ وأرون) بها .. « والكثير يفسر إنشاء هذه المستعمرة فى سنة ١٩٥٥ ، بسبب قربها من هذه المناجم » .. وقد « ازداد عدد سكانها من ٤٠٥٠ نسمة عام ١٩٦١ إلى ٢٧ ألف نسمة عام ١٩٨٣ » .

وليس من السهل التوصل إلى سر اختيار **بن جوريون** لديمونة كى يبنى فيها المفاعل النووى الفرنسى .. هل السبب توافر المياه ؟ .. أم وجود أنفاق طبيعية فى الجبل المحاذى للمفاعل والذى يصل ارتفاعه إلى ٥٨٨ مترا ؟ .. أم قرب مناجم الفوسفات التى يستخلص منها اليورانيوم ؟

وليس من السهل معرفة ما يدور فى داخلها .. بما فى ذلك طبيعة سكانها .. هل هم من المدنيين ؟ .. أم هى مخصصة فقط للعسكريين ؟ .. إنها ــ حسب مصادر مختلفة ــ تبدو كواحة من النخيل والإسمنت .. الطريق الرئيسى فى صحراء النقب هو أقرب نقطة يمكن أن يصل إليها المرء دون أن يتعرض للتفتيش .. « ويطلب منه تصريح مرور أمنى » .. وتبعد هذه النقطة عن منطقة المفاعل بأكثر من كيلومتر .. وممنوع على سائقى السيارات التوقف فى أى مكان .. لذلك فالصور التى التقطت كلها متشابهة ، وغير واضحة ، لأنها التقطت من مكان واحد .. غرب المفاعل .. الجهة الوحيدة المسموح فيها بالمرور .. لكن .. دون توقف .

ولأنها التقطت عن بعد .. من سيارات مسرعة .. وبعدسات الزوم الكبيرة .. وبالرغم من ذلك فإن الصور تباع بأسعار مرتفعة جدا .

ويقع المفاعل نفسه على أحد التلال التى ترتفع ١٨٣ متراً فوق سطح البحر .. والوديان التى تحوطه تمتلىء بمياه الأمطار التى تستمر فى الجريان الى أن تصل إلى البحر الميت .

ولا تصلح المنطقة للزراعة بسبب الطقس الردىء .. لكن .. أحيانا تزرع محاصيل مثل الحبوب .. اللوز .. الزيتون .. والشعير .

وتشير الموسوعة الفلسطينية الى أن الصناعة واستخراج المعادن هما النشاط الرئيسى للسكان .. وفى مجال الصناعة نجد مصانع الغزل والنسيج .. وورش صقل الألماس .. ويدعم ذلك محطة لتوليد الكهرباء .. ومنشأة للغاز الطبيعى .. وبخلاف مناجم الفوسفات ، توجد مناجم للبوتاس .. ومعظم العمال اليهود هناك من السفارديم .. أو اليهود الشرقيين الذين جاءوا من شمال إفريقيا .. وقليل جدا عدد اليهود الغربيين .. الاشكنازيم .. حسب ما جاء فى « أطلس إسرائيل الحديث » .

أما أهم المستعمرات المحيطة بديمونة ... فهى مستعمرة **يورحام** .. فى الجنوب الغربى .. على بعد ١٣ كليومترا .. ونشأت هذه المستعمرة فى سنة ١٩٥١ ، وعدد سكانها ٧ آلاف نسمة .. يعمل أغلبهم فى الصناعة .. ويوجد مطار فى جنوبها .. بالإضافة إلى معسكر وشبكة رادار .

□ □ □

وتحيط بديمونة عدة مطارات وقواعد عسكرية .. أهمها .. مطار قاعدة هاتزريم (جنوب غرب بئر سبع بنحو ٦ كيلومترات وملحق به مدرسة للطيران) .. مطار سيدوم (جنوب البحر الميت ، على بعد ٥٢ كيلومترا من ديمونة) .. مطار بئر (فى بئر سبع على بعد ٣٥ كيلومترا) .. مطار يورحام (على بعد ١٣ كيلومترا من ديمونة) .. مطار عين ياهان (يقع بالقرب من الحدود الاردنية ، على طريق إيلات ، ويبعد ٦٠ كيلومترا عن ديمونة) .. ومطار سيدى بوقر (يقع فى الجنوب الغربى على بعد ٢٣ كيلومترا) .

وأغلب هذه المطارات تستعمل للنقل المدنى ، بالإضافة للاستخدامات الحربية .. وخاصة قاعدة هاتزريم التى يعتقد بعض الخبراء أنها ستكون مركزا لتجميع ونقل السلاح النووى الإسرائيلى عند اللزوم .

وكل هذه المطارات لحماية المفاعل .. لهذا فالمنطقة محمية بشبكة من الرادارات تحيط بها من كل الجهات .. وحسب الدراسات الفلسطينية .. يوجد فى منطقة النقب .. جنوب بئر سبع إلى إيلات ١٤ مطارا .. وهذا يكفى ويزيد لحماية المفاعل من أى اختراق للطائرات المهاجمة .. وتوجد محطتان للرادار .. الأولى فى شمال مستعمرة يورحام .. والأخرى فى بئر سبع .. وهما تغطيان منطقة المفاعل .. وفى شرق هذه المنطقة معسكر للجيش .. الأوامر الدائمة فيه إطلاق المدافع والصواريخ على أية طائرة فى الجو ، بما فى ذلك الطائرات الإسرائيلية التى يحرم عليها الطيران فوق المفاعل .. وقد حدث ــ قبل سنوات ــ أن سقطت طائرة إسرائيلية عبرت المنطقة الحرام ، بطريق الخطأ .

وتكتسب مدينة ديمونة شهرة عالمية بسبب المفاعل النووى .

وطبقا لآخر المعلومات فإن المفاعل الفرنسى أدخلت عليه توسعات عديدة ، حتى أصبحت طاقته الآن حوالى ١٥٠ ميجاوات .. ليستخلص المزيد من البلوتونيوم .. أى المزيد من القنابل الذرية .

والاسم الرسمى لمفاعل ديمونة هو كريا ــ لو ــ محيكا ــ جارنى .. ومعناه مركز النقب للأبحاث الذرية .

□ □ □

وحسب ما نشرته صحيفة « صنداى تايمز » البريطانية فى ٥ أكتوبر ١٩٨٦ ، على لسان **مردخاى فانونو** الفنى الإسرائيلى ، الذى عمل فى ديمونة ١٠ سنوات ، فإنه فى كل يوم الساعة السابعة صباحا ، ينطلق أسطول من أوتوبيسات « فولفو » زرقاء ، وبيضاء ، عددها أربعون أوتوبيسا على الطريق السريع الذى يشق النقب .. وبعد ٦ أميال تنحرف إلى اليمين ، وتسلك طريقا فرعيا ، ثم تتوقف بعد نصف ميل أمام حاجز للجيش .. يقوم الجنود بتفتيش الباصات ، ثم يسمح لها بالعبور ، وبعد ميلين داخل الصحراء ، تتوقف الأوتوبيسات ثانية أمام إشارة تجبرها على التوقف ، ويتم التفتيش مرة أخرى بصورة أكثر صرامة .

« وهنا يوجد سور مكهرب ، يمتد عبر أرض النقب المغطاة بالأحراش ويحيط السور المكهرب بالمفاعل .. أكثر المؤسسات الإسرائيلية سرية .. والرمل الموجود داخل منطقة السور يجرى تسويته كل يوم بواسطة جرار ، كى يسهل اكتشاف آثار أقدام أى شخص دخيل ، تجرّأ ومشى عليه ، ويكشف ذلك بواسطة دوريات مشاة أو أسراب الهليكوبتر .. وفى أعلى التلال المحيطة بالمكان ، أُقيمت نقاط مراقبة ، يقظة » .

تقوم باصات الفولفو بهذه الرحلة ٣ مرات فى اليوم .. لنقل العاملين فى المركز .. فى الورديات الثلاث التى تبدأ فى السابعة والنصف (صباحا) .. والثالثة والنصف (عصرا) .. والحادية عشرة والنصف (ليلا) .. وتحمل ٢٧٠٠ عالم وفنى .

« وتتطلب دواعى السرية ألا يعرف معظم العاملين سوى ما يوكل إليهم .. وليس من الممكن أن يتحدثوا حتى لإقرب الزملاء .. وعقوبة ذلك السجن لمدة ١٥ سنة » .

« وعندما ينزل العاملون من الباصات ، يتوزعون على أقسامهم المختلفة .. وكل قسم يسمى ماخون .. والماخون وحدة إنتاج مستقلة » .

وتوجد ١٠ ماخونات .

أهمها ماخون ــ واحد .. المفاعل النووى نفسه .. « وهو بناء قطره ٦٠ قدما .. تعلوه قبة فضية » .

أما ماخون ــ ٢ .. فهو بناء من طابقين .. يقع تحت الأرض .. وجدرانه سميكة جدا تحتمل القصف .. ولا يسمح بدخوله سوى لـ ١٥٠ شخصا فقط .. وفيه تتحول الذرة إلى سلاح مدمر .. حيث يتم إنتاج أجزاء السلاح النووى ، ثم يجرى تجميعها لتصبح رءوسا نووية .

وتملك إسرائيل أسلحة وصواريخ وطائرات متنوعة يمكنها حمل الرءوس النووية .. مثل .. طائرة الفانتوم (ف ــ ٤ ــ آى) .. وطائرة إيجل (ف ــ ١٥ ــ أ) .. وطائرة الفانتوم (ف ــ ١٦ ــ أ) .. وصاروخ أريحا (مداه ٨٢٠ كيلومترا) .. وصاروخ لانس أرض ــ أرض (يصل إلى هدفه على مسافة ٧٥ كيلومترا من مكان إطلاقه) .

ويختص ماخون ــ ٤ بغمر النفايات المشعة بالقار .. وتعبأ فى براميل ، يجرى دفنها فى الصحراء .

وفى داخل المركز حجرة عرض للزوار المهمين .. دخولها حكر على رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع ، والرتب العسكرية الكبيرة ، فقط .. « حيث يراقبون تطور العمل فى العملية المسماة « همب » .. وهو الاسم الرمزى الذى أطلقته إسرائيل على أحدث برامجها لتصميم القنبلة الذرية حسب ما قاله **فانونو** » .

□ □ □

وفانونو كان عمره ـــ وقت الإدلاء بشهادته للصحيفة البريطانية ـــ ٣١ سنة ، وقد عمل فى ماخون ـــ ٢ ونجح فى التقاط ما يزيد على ٦٠ صورة .. سرا .. داخل ذلك المصنع .. وقد عرضت على خبراء الذرة فى بريطانيا والولايات المتحدة فصدقوا عليها .. ومن هؤلاء الخبراء ، البروفيسور **تيودور تايلور** الذى تتلمذ على يد **روبرت أوبنهايمر** .. أبى القنبلة الذرية .. والذى صمم القنبلة الأمريكية الأولى .. ثم أصبح رئيسا لبرنامج الأسلحة النووية التابع للبنتاجون .. ومنهم البروفيسور **فرنك بارنابى** عالم الذرة البريطانى الشهير .. وقد أكد هؤلاء الخبراء على أنه « **لم يعد أى مجال للشك فى أن إسرائيل أصبحت دولة نووية بالمعنى الكامل منذ ما لا يقل عن عقد من الزمن** » .. وأنها « **قادرة على إنتاج ١٠ قنابل ذرية أصغر حجما وأخف وزنا وأكبر فعالية من النماذج الأولى للأسلحة الذرية التى طورتها روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا والصين** » .

وفانونو .. يهودى .. من أصل مغربى .. ولد فى مراكش .. يملك والده دكانا صغيرا .. وهاجر إلى إسرائيل فى عام ١٩٦٣ .. وعاش فى بئر سبع .. ودخل الجيش .. وخدم فى الجولان .. وبدأ العمل فى ماخون ـــ ٢ فى عام ١٩٧٧ .. وكان يحمل جوازا أمنيا رقم ٨ ـــ ٩٦٥٧ .. لدخول ديمونة .. وجوازا أمنيا آخر بماخون ـــ ٢ يحمل رقم ٣٢٠ .

ولو صح ما قاله ، فإن إسرائيل تصبح القوة النووية السادسة فى العالم .. بعد الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتى ، وبريطانيا ، وفرنسا ، والصين الشعبية .. كذلك ، فإنها تكون قد انتهت من صنع ما بين ١٠٠ ـــ ٢٠٠ سلاح نووى بقدرات تدميرية متفاوتة « **وهذا الرقم يساوى عشرة أضعاف قوة إسرائيل النووية حسب ما كانت تشير إليه التقديرات السابقة** » .

وبخلاف ما تملك .. فإنها أيضاً تنتج قرابة ٤٠ كيلوجراما من البلوتونيوم ، سنويا .. « **وهذه الكمية كافية لصنع عشر قنابل نووية** » .

لكن ...

هناك من يشير إلى أن ذلك كله مسرحية « مدبرة » ، صاغتها إسرائيل ، من باب سياسة الإعلان غير الرسمية التى تتبعها للتأكيد على أنها أصبحت قوة نووية .. دون أن تعترف بهذا .. وفى هذا الإطار فإن **فانونو** ليس خائنا .. وإنما إسرائيلى « طيب » أدى الدور المرسوم له ببراعة .

ويدعم ذلك التفسير .. قصة القبض عليه ، وترحيله إلى إسرائيل ، لمحاكمته بعد حوالى العام فى تل أبيب .

لقد التقى **فانونو** بفتاة تدعى « **سنيدى** » فى ميدان عام ، فى لندن ، هو ميدان « ليستر سكوير » السياحى ، وتعرف عليها ، وقبل دعوتها للذهاب إلى روما .. حيث قامت المخابرات الإسرائيلية باختطافه .. حسب ما قيل .

فهل كان **فانونو** بهذه السذاجة ، ليستسلم لفتاة عرفها فى ميدان عام ، وهو يعلم جيدا أن رجال الموساد يتعقبونه ؟

أم أنه كان يكمل الفصل الثانى من المسرحية ؟

ثم .. ما دور المخابرات البريطانية .. هل كانت غافلة عن وجوده فى لندن ، وعن تعقب رجال الموساد له ؟

وأيضا .. ما دور المخابرات الإيطالية .. هل أغمضت أعينها هى الأخرى ، بينما رجال المخابرات الإسرائيلية ، يخطفونه ، ويخدرونه ، ويقومون بنقله إلى باخرة أبحرت به إلى اسرائيل ؟

وقد طلب شقيق **مردخاى فانونو** (واسمه **مائير**) قبوله مهاجرا إلى بريطانيا .. فهل كان ذلك من أجل مزيد من الحبكة المسرحية ؟

إن إسرائيل لم تعلق على ما قاله **فانونو** .. وكل ما فعلته هو أنها أعادته كى تحاكمه ، وكانت المحاكمة أهم محاكمة فى تاريخها بعد محاكمة النازى **إيخمان** .

خائن أم بطل ؟

جاسوس أم لا جاسوس ؟

لا يهم هذا النوع من الأسئلة البوليسية .. المهم .. هل ما قاله صحيح أم غير صحيح ؟.. هذا هو السؤال !

ولا مانع أن تكون المعلومات حقيقية ، أو بها نسبة كبيرة من الحقيقة ، بالرغم من أن **فانونو** يؤدى دورا مرسوما .. تهدف إسرائيل من ورائه إلى استعراض عضلاتها النووية ، دون أن تجد نفسها متورطة فى تبعات الاعتراف الرسمى بذلك .

وخاصة أن الخبراء أكدوا أن شهادة **فانونو** مقنعة تماما .. وأنها تتفق كلية مع القدرة الإسرائيلية .. المالية والعملية والتكنولوجية .

وقد قال أحدهم :

« كنت أدرك فى أعماق أن مصدر المعلومات هذا مصدر حقيقى ، ولكننى الآن مقتنع بذلك أكثر من أى وقت مضى » .

□ □ □

ومن وجهة نظر الجماعات الأوروبية المعارضة للتسليح النووى أصبح **فانونو** بطلا يستحق الدعم والتشجيع فانهالت الرسائل المؤيدة له ، وهو فى سجنه ، وعلى الحكومة الإسرائيلية للإفراج عنه ، وقد نشرت الصحف البريطانية فى سبتمبر ١٩٨٧ ، رسائل من **فانونو** بخط يده ، ردا على رسائل أنصار العيش « على كرة أرضية خالية من السلاح النووى » .

وفى رسالة مؤرخة بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٨٧ ، قال **فانونو** : إنه سعيد لاستلام رسائل من أشخاص يقدرون ما قام به .. « أنا متأكد من أننى أديت خدمة جليلة للسلام والأمن فى هذا العالم .. إن عملى كان من أجل السلام .. السلاح النووى يهدد حياتنا ومستقبلنا .. السلاح النووى قد يكون سبب اندلاع حرب عالمية .. أنا مواطن وما عملته هو لمصلحة كل المواطنين على هذه الأرض . لقد كنت « جاسوسهم » لأخبرهم بما تقوم به الحكومة . إن معرفة ذلك يساعد الناس والحكومات لعمل شيء ما ضد التسلح النووى . أنا رجل ضحيت بنفسى لمصلحة حرية الناس . جازفت بمستقبلى من أجل هذه المهمة . اليوم هو ذكرى هيروشيما ، وكل واحد بمقدوره أن يتذكر ماذا إذا لم نوقف التسلح النووى . أنا أحد أعضاء

مجموعتكم ضد التسلح النووى . أشكر كل الأصدقاء وآمل أن ألتقى بكم قريبا » .

صديقكم فى السلم

مردخاى فانونو

عنوان المحامى ــ ٣٠ شارع

هاشهاف ــ تل أبيب

وفى رسالة أخرى قال :

« أنا آسف لاستلام الرسالة الآن ، بعد إرسالها بخمسة شهور . والسبب أن المحامى احتفظ بها حتى اليوم ، لم يقم بعمله كما يجب ، بل تعاون مع الحكومة ضدى . الآن عندى محام جديد أثق فيه ، اسمه **افجيدور فيلدمان** ، يمكن الكتابة إليه » .

« بمقدورى الكتابة عن عملية اختطافى إلى إسرائيل ، وكشف ذلك بالتفصيل » .

« مضى على وجودى تسعة أشهر فى زنزانة معزولة ، وليس مسموحا لى بلقاء صديقتى أو الحاخام ، لقد سمحوا لى فقط بالكتابة إليهما . إنها معاملة غير إنسانية .» .

« أريد أن أشكركم على دعمكم وتفهمكم لما قمت به . أرجو أن تكتبوا إلى المحامى عما فعلتم من أجلى . ستبدأ محاكمتى يوم ٣٠ ــ ٨ ــ ٨٧ وأنا لست خائفا » .

« أعتقد أن بإمكانى إقناع القضاة أننى قمت بعمل جيد ومفيد لسلام البشرية » .

شكرا لكم

صديقكم ــ **مردخاى فانونو**

□ □ □

□ ١٠ □

الموساد يعترف بالجريمة !

« الكعك الأصفر » ..

الاسم « الأدبى » الذى يطلق على اليورانيوم .. المادة الخام الضرورية لتصنيع القنبلة الذرية .

إن وضع « الكعك الأصفر » فى « الفرن » النووى .. معناه أن « يأكل » البشر « حلوى » الخراب والدمار والتلوث والتشوه والسرطان .

لكن ...

فى ظل منطقة متوترة مثل الشرق الأوسط .. يبدو أنه لا مفر من علاج الداء .. بالداء .. فعندما تمتلك إسرائيل « كعك » الفناء .. فلابد أن يملك العرب مثله .. حتى تستمر الحياة . وتستقر .. فى ظل ما يسمى بالرعب النووى .. أو التوازن النووى .

لا بد من « تعادل » القوى ... مهما كانت الأهداف الجانبية لكل دولة من دول المنطقة .

وهكذا ...

وجد العراق أن تنشيط برنامجه النووى مسألة حياة أو موت .

وكان لابد من أن يحصل على الكعك الأصفر .

وكانت هذه بالتحديد مهمة الدكتور **يحيى المشد** فى باريس ..

وقد سافر من بغداد إلى هناك حاملا الشمع الأحمر ليضعه على الشحنات التى يتأكد من صلاحيتها من الكعك الأصفر .

وكان له ما أراد ..

والمؤكد .. أن إسرائيل حاولت عرقلة جهوده بالوسائل الدبلوماسية .. لكنها فشلت .. فكان أن سعت إلى القيام بعملية « قرصنة » لخطف الشحنة .. إلا أن ذلك ــ على ما يبدو ــ لم يكن سهلا .. أو كانت فرصة الزمن فى السباق أكبر .. يضاف إلى ذلك .. أنها كانت متأكدة من أن العراق سيحصل على شحنات بديلة ... ومن ثم لن يتعطل برنامجه النووى مدة طويلة .

لذلك ... كان اغتيال **المشد** هوالحل .

وحسب ما قاله د . **إيريش فولات** ... فيما بعد :

فإن « الأوساط كلها » فى إسرائيل ، تلقت نبأ اغتياله « بالسرور » .

وحسب إضافته :

فإن « أحد العلماء قال فى إذاعة إسرائيل ، إن موت **المشد** سيؤخر البرنامج النووى العراقى سنتين على الأقل » .

□ □ □

لماذا كان من السهل على العراق الحصول على اليورانيوم ؟

قبل اغتيال **المشد** بعدة أيام عرضت إيران حصتها من أسهم « الكونسورتم » الفرنسى لإنتاج اليورانيوم « يورد ــ ديف » للبيع .. فلم يتردد العراق فى أن يشتريها .. ويحل محلها فى هذا التجمع الذى يسيطر على هذه المادة الحيوية .. هناك ..

وهذا يعنى أنه لابد أن يعامل كمشتر لليورانيوم الفرنسى ، معاملة « الزبون » الأولى بالرعاية .

ولم يتأثر شحن اليورانيوم إلى العراق بموت **المشد** .. لكن .. البرنامج النووى العراقى تأثر .. فكان القتل ــ بالنسبة للإسرائيليين ــ أفضل من القرصنة .

إن تقارير الخبير النووى الإسرائيلى **شاى فيلدمان** تشير إلى ضرورة « التأكد بأن العراق لن تمتلك ولا فى أى وقت من الأوقات أكثر من ٢٤ كيلوجراما من اليورانيوم

المشع » .. فهذه الكمية « لا تمكن العراق من الوصول إلى سلاح نووى » لكن ..أكثر منها .. يسهل عليه ذلك .

صحيح أن هذه الكمية تصنع قنبلة نووية واحدة .. لكن .. الصحيح أيضا .. أنه لن يتبقى منها وقود يسمح بتشغيل المفاعل مما يلحق الضرر بالبرنامج النووى برمته .. أصلا .

وليس من الصعب أن يحصل العراق على اليورانيوم .. فأسواق البرازيل والنيجر والبرتغال مفتوحة لمن هو على علاقة طيبة بالفرنسيين .

واليورانيوم الذى اشتراه العراق من هذه الدول .. خام .. أو طبيعى .. ويمكن إنتاج الوقود منه بواسطة معمل خاص ، أمكن الحصول عليه من إيطاليا ... التى باعت للعراق كذلك ، مختبرات ساخنة ، تيسر إنتاج البلوتونيوم .

إن إسرائيل كانت تدرك أن الوصول إلى اليورانيوم ليس مشكلة بالنسبة للعراق .. فهو تجارة .. والتجارة ــ مهما حاصرتها القيود السياسية والعسكرية ــ قادرة على التصرف .

ومن ثم ــ وعفوا للتكرار ــ كان القتل أفضل بالنسبة لها من السطو .. وتدمير المفاعل أفضل من باقى الأساليب الأخرى .

□ □ □

لقد قتلوه ..

هذا ما يفهم من تناول د .**فولات** للحادث ..

من ؟

الموساد !

وبالحرف الواحد يقول الرجل الذى يبدو على علاقة ما بالمخابرات الإسرائيلية :
« أما فى المحادثات الجانبية فكان واضحا كل الوضوح ، أن الموساد هو الذى قام بقتل **المشد** ، وكانوا كثيرا ما يتبادلون الحديث عن التفاصيل بشكل متعمد » ..

وليس هناك أى ذكر لهذه التفاصيل ..

لكن ...

هناك إضافة ... تربط بين اغتيال **المشد** وقصف المفاعل العراقى .. تقول : إن الموساد أكد « **أن البرنامج النووى العراقى يتقدم إلى الأمام بأسرع مما كان متوقعا بعد موت د .يحيى المشد** » .. ومن ثم كان الإسراع بقصف المفاعل ..

يؤكد ذلك أن عملية القصف نفذت بعد سنة واحدة فقط من اغتيال **المشد** ، مع أن تقديرات الموساد كانت تؤكد أن اغتياله سيؤخر البرنامج النووى العراقى سنتين على الأقل .

□ □ □

لم يفرط العراقيون فى الكلام عن حادث **المشد** .

لكنهم ...

اتهموا « العدو الصهيونى » بتدبيره .. وتنفيذه .

□ □ □

فى ١٧ يوليو ١٩٨٠ ، ردت لجنة الأمن والشئون الخارجية بالكنيست على الاتهام ، بما يؤكده .. فقد جاء فى بيان صادر عنها :

أنه « **ينبغى على إسرائيل أن تعتبر وجود إمكانية إنتاج سلاح نووى لدى نظام حكم متطرف فى العراق ، يشكل خطراً على أمنها ووجودها** » .

□ □ □

وحتى تغطى إسرائيل على جريمتها ، صعدت ــ خلال فترة التحقيقات ــ حملتها الإعلامية ضد البرنامج النووى العراقى .

قالت صحيفة « دافار » الإسرائيلية :

« إن إسرائيل ستعمل على سلب العراق القدرة النووية » .

كان ذلك فى عددها الصادر يوم ٨ أغسطس ١٩٨٠ ... قبل أقل من شهر على الجريمة .

وعلى صفحات « معاريف » أعلن كبير علماء الذرة فى فرنسا ، البروفيسور

فرنسيس فارين : « **إن بيع فرنسا المفاعل للعراق يعنى تزويد العراق بالسلاح النووى** » .. وأضاف : إن حصول العرب على السلاح النووى سيعرض إسرائيل للابتزاز ، وسيفرض عليها تنازلات « من خلال تهديدها باستخدام السلاح النووى الذى فى حوزتهم » .. لكن .. « من حسن الحظ .. حظنا ، وحظ إسرائيل ، أن من الصعب تخويف إسرائيل » .

إن المثل العامى الذى يقول « ضربنى وبكى وسبقنى واشتكى » أقل من أن ينطبق هنا .. لكن .. نحن فى زمن « لا يعرف فيه المقتول من قاتله » .. زمن الأحذية الثقيلة التى تصنع التاريخ ، على حد قول **مناحم بيجن** .. تاريخهم هم .. لا تاريخنا نحن .

□ □ □

تُنفذ عمليات الاغتيال فى الموساد مجموعة خاصة تسمى « تفيكيديم ميو حاريم » . تعمل على النحو التالى :

١ ــ تجمع كافة المعلومات اللازمة عن الضحية ــ الهدف .. وتلجأ فى ذلك إلى مصادر وأرشيف أجهزة المخابرات الغربية التى تربطها بها « علاقات تعاون وثيقة » .. بالإضافة إلى « المساعدة اللامحدودة » ليهود الدولة التى ستنفذ فيها العملية .

٢ ــ تتحول البيانات إلى أكثر من خطة .. تستقر فى النهاية على أفضلها .

٣ ــ يحدد توقيت التنفيذ .

٤ ــ تختار المجموعة المناسبة للتنفيذ .

٥ ــ لو كان الهدف ثابتاً تحركت مجموعة التنفيذ من إسرائيل إليه مباشرة « خاصة إذا كان المطلوب ضربه فورا » .

٦ ــ لو كان الهدف متحركاً .. تصل مجموعة التنفيذ إلى مكانه ، وتكمن فى انتظار اللحظة المناسبة .

ويضيف مؤلفا كتاب « **الوجه الحقيقى للموساد** » .[1]

---

(١) د .وجيه الحاج موسى ، وأنور خلف ــ الناشر دار الجليل ــ عمان ــ ١٩٨٧ ــ ص ٢٥٢ .

— أن هناك عناصر عديدة ، تتوافر وتسمح غالبا للموساد بتنفيذ عملياتها بسهولة .. منها :

استهتار الكوادر العربية بأمنهم الشخصى .

تنفيذ العمليات فى بلدان سياحية مفتوحة .

الخدمات الفورية التى تقدمها مخابرات الدول التى على علاقة وثيقة بالموساد مثل .. تأشيرة الدخول .. حجز الطائرات والفنادق .. تقارير معلومات يومية .. الحماية الأمنية فى المطارات والموانىء .

عدم الاعتماد على الحظ .

ويقول المؤلفان :[2]

« إن معظم العمليات الناجحة التى يتباهى الموساد بإنجازها هى من نوع العمليات المعتمدة على « البراعة الشخصية » للقائم بها ، أو من نوع العمليات المحدودة التى لا تتطلب تحليلات استراتيجية شاملة ، بل تقوم على الدراسة المحدودة لموقع العملية وعلى تنفيذ رجال العصابات المنظمين » .

ثم ... يقدمان أمثلة على ذلك .

منها :

« اغتيال د . **يحيى المشد** — عالم الذرة المصرى ، المشرف على المفاعل النووى العراقى » .

□ □ □

هناك .. بالقطع .. تعاون أمنى قوى بين إسرائيل وفرنسا .

أو بمعنى أدق بين الموساد والمخابرات الفرنسية التى تعرف باسم « حمام السباحة » أحيانا .. أو « المكتب الثانى » أحيانا أخرى

وبلغة الحروف ، تعرف المخابرات الفرنسية ، بثلاثة حروف هى : دى.اس.تى .

وحسب المصدر السابق مباشرة ، فإن العاصمة الفرنسية ، باريس ، تمتاز بكل

---

(٢) نفس المصدر السابق ص — ٢٥٣ .

المواصفات التى تسهل عمل الموساد .. الموقع .. الجالية اليهودية .. الجهاز الأمنى الحليف .. وقربها من مركز النشاط العربى والدولى .

وفى باريس ، أقامت الوكالة اليهودية ، سنة ١٩٤٨ ، مركزا لجمع السلاح ، وتجميع المهاجرين ، ونجحت فى تجنيد الجنرال **بيار كوينج** وزير الدفاع الفرنسى لصالحها .. وكذلك مستشاره للشئون الاقتصادية .. وفيما بعد أصبح هذا الوزير رئيسا لجمعية الصداقة الإسرائيلية ــ الفرنسية .

وبمساعدة الموساد ، والجالية اليهودية فى فرنسا ، وصل « **جى موليه** » إلى الحكم فى سنة ١٩٥٥ ، وكان أن رد الجميل بتزويد إسرائيل بطائرات ميستير .. وصواريخ .. ودبابات .

وحسب ما نشرته صحيفة « دافار » الإسرائيلية (٢٥ نوفمبر ١٩٨٤) فإن رئيس الاستخبارات الفرنسية فى ذلك الوقت ، وكان يدعى « **ديبوت** » قد أعترف فى مقابلة تليفزيونية بأن الإسرائيليين « ساعدوه كثيراً ضد ثوار الجزائر » .. وفى الإعداد لحرب « السويس » .. وبأنه « كان أحد كبار مؤسسى ومنظمى المخابرات الإسرائيلية » .

لذلك ...

كانت باريس ، ولأكثر من ١٥ سنة ، أكبر محطة للموساد خارج إسرائيل ، وكانت « مقر » قيادة أوروبا ، ولا تزال حتى الآن من أهم المحطات الخارجية .. ففيها .. قسم لجمع المعلومات .. وقسم للعمل السياسى الخارجى .. ومحطة خاصة بالعمليات ، تتولى تنفيذ كافة عمليات أوروبا .. يضاف إلى ذلك محطات فرعية فى مدن أخرى مثل مرسيليا .. ومعسكر تدريب فى جنوب فرنسا ، عبارة عن فيللا ضخمة ، « داخل غابة يدرب فيها العملاء على إطلاق النار والتفجيرات وأساليب العمل السرى .. ويتم ذلك بالطبع بمعرفة الـ دى.إس.تى » .

وقد كانت العلاقة بين الجهازين أقوى ما يكون حتى اغتيال المناضل والمعارض المغربى **المهدى بن بركة** فى عام ١٩٦٥ .

إن الجنرال المغربى **محمد أوفقير** اتصل برئيس الموساد الجنرال **مائير عاميت** الذى وافق على تنفيذ العملية بمساعدة الفرنسيين .

فى ذلك الوقت كانت المخابرات الفرنسية « تدير أمورها بدون إشراف سياسى » .. وكان المسئولون عنها « يخدمون أسيادا مختلفين » .. وكان يسيطر على ضباطها مشاعر « القراصنة » ، مثل الموساد ، التى كانت — من ناحية أخرى — أكثر « انضباطا وتنظيما » .

فى ذلك الوقت أيضا ، كان الجنرال **شارل ديجول** — الذى كان فى الحكم — قد قبل الانسحاب من الجزائر ، فاعتبره عدد كبير من ضباط مخابراته خائنا لمصالح فرنسا العليا .. ومن ثم .. باعوا الولاء لمن يعمل ضده .

وبالتالى لم يكن من الصعب إحراجه بتنفيذ عملية اغتيال **بن بركة** مع ضباط من الموساد .

وقد شعر بالحرج ... فعلا .

فكان أن حقق فى القضية ، وحكم على **أوفقير** بالإعدام غيابيا ، وأمر الجواسيس الإسرائيليين بمغادرة فرنسا بأسرع ما يمكن .. وأغلق مكاتبهم .. « وكانت أشد ضربة تلقاها الموساد » .. وتوزع ضباط محطة باريس على أمستردام وبروكسل .

لكن .. ذلك لم يمنع استمرار العلاقة بين الموساد والمخابرات الفرنسية ، الفالتة العقال ، والعيار .. بل .. وكانت هذه العلاقة « مزدهرة — وبشكل لم يسبق له مثيل » .

وبعد رحيل الجنرال **ديجول** .. عادت الحياة إلى مجاريها .

ومن ثم .. تلاحقت جرائم الاغتيال التى ارتكبها الموساد ضد العرب .. خاصة الفلسطينيين منهم .. مثل :

١ — **محمود الهمشرى** ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى باريس .. الذى تم تفجيره بقنبلة بالريموت كونترول ، وضعت أسفل طاولة التليفون فى شقته بشارع « آليسيا » .. وكان ذلك يوم ٨ ديسمبر ١٩٧٢ .

٢ — **باسل الكبيسى** ، الأستاذ العراقى فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ... الذى أطلق عليه النار فى شارع « شوف لاكارد » .. وكان ذلك فى يوم ٦ أبريل ١٩٧٣ .

٣ ــ المناضل الجزائرى **محمد بو دية** .. الذى فجرت سيارته فى شارع « فوسيه سان برنار » .

٤ ــ المناضل **محمود صالح** .. الذى قتل أمام المكتبة العربية فى شارع « سان فيكتور » .. وكان ذلك فى يوم ٧ يناير ١٩٧٧ .

٥ ــ **زهير محسن** ، فى مدينة كان .. لدى عودته من مدينة مونروفيا « عاصمة ليبيريا » ، حيث كان يحضر القمة الإفريقية .. وكان الحادث فى يوم ٢٥ يوليو ١٩٧٩ .

٦ ــ د . **يحيى المشد** .

٧ ــ المناضل **فضل الصافى** نائب مدير مكتب المنظمة فى باريس .. وكان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٨٢ .

وقد وقعت حوادث اغتيال أخرى .. كان ضحاياها أقل شهرة .

والملفت للنظر .. أن كل هذه القضايا أغلقت ، بعد أن قيدت « ضد مجهول » .. مع أن المجهول .. معلوم لدى المخابرات الفرنسية ، التى لا يمكن الشك فى براعتها .. لكنها .. العلاقة المتينة .. الحميمة مع الموساد .

فعلى الجانب الآخر ، كان من السهل التوصل إلى الجناة ، فى الحوادث المشابهة ، التى كان ضحاياها من الأمريكيين ، والإسرائيليين .

مثل :

ــ **كريستيان شابمان** ، القائم بالأعمال الأمريكى ، الذى اغتيل فى باريس ، فى يناير ١٩٨١ ، والكولونيل الأمريكى **شارل روبير راى** ، الملحق العسكرى فى باريس ، الذى اغتيل فى يناير ١٩٨٢ ، **ويعقوب بارسيمنتوف** المستشار الثانى فى السفارة الإسرائيلية ، الذى اغتيل فى أبريل ١٩٨٢ .

وقد قبض على **جورج عبدالله** ، الذى وصف بأنه زعيم منظمة « الألوية الثورية اللبنانية » التى اتهمت بقتل هؤلاء إلى جانب الشروع فى قتل آخرين .. مثل الدبلوماسيين الأمريكيين **رودى جرانك** ، **وروبرت أونان هوم** .

أكثر من ذلك ...

كان الإعلام الفرنسي ــ بصورة شبه عامة ــ يصف العرب بالإرهاب ، سواء كانوا ضحايا .. أو كانوا يردون على القتل .. بالقتل ..

فقد قيل إن **محمود الهمشرى** أصيب « عندما كان يقوم بتركيب متفجرات فى بيته » !

وقيل إن **محمد بو دية** كان « متوجها إلى تل أبيب ــ برفقة فتاتين ــ للقيام بالعديد من العمليات » ، هناك !

وعند اغتيال د . **يحيى المشد** ، استثمرت قصة العاهرة « مارى كلود » فى الغمز واللمز والإيحاء بأنه ذهب ضحية نزوة لا مهمة .

وفى الحالات التى كان الضحايا فيها عربا لوحظ :

١ ــ أن التحقيقات كانت تتأخر إلى أن تزول آثار الجريمة ، ويختفى الجناة ، أو يغادروا فرنسا .. وإلى أن يتم إسكات الشهود .. بأية طريقة من الطرق .

٢ ــ أن القضايا كانت توضع دائما بين أيدى قضاة منحازين ، اشتهروا بمعاداة العرب ، وبدفن القضايا المعلقة .

٣ ــ أن السلطة الفرنسية كثيرا ما تستسلم إلى خطط تضليل ، توضع بواسطة ضباط الاتصال بين الموساد ومخابرات « حمام السباحة » .

٤ ــ أن ضباط الاتصال هم الذين كان عليهم « طمس الأدلة وإخفاء الوثائق وتهريب بعض المشتبه بهم » .

وتشير بعض المصادر إلى أن « الموساد تخترق إدارة المباحث الفرنسية » أيضا .. « حيث إن أحد مسئوليها (ويدعى **دايبون**) كان على علاقة وثيقة مع المخابرات الإسرائيلية منذ أيام حرب الاستقلال الجزائرية » .

« إن هناك اندماجا بين الموساد والمخابرات الفرنسية يصل إلى العظم ... ولتغيير ذلك ... لابد من ظهور **ديجول** آخر » .

(راجع الصفحات من ٣٨٤ إلى ٣٩٢ من كتاب الوجه الحقيقى للموساد) .

□ □ □

لو ...

استخلصنا من كل ما فات ، ما يهمنا لإزاحة الغموض عن اغتيال الدكتور **يحيى المشد** لوجدنا :

« تقصيراً أمنياً عراقياً » .

« تعاونا أمنياً فرنسيا » .

« تواطؤ جهات التحقيق فى التضليل لضياع الأدلة » .

أى أن :

العراق ـــ بحسن نية ـــ سهلت العملية .

وإسرائيل ـــ بقسوة ـــ نفذتها .

وفرنسا ـــ بتعمد ـــ محت آثارها .

أما **مصر** ـــ التى يحمل جنسيتها المجنى عليه ـــ فلم تفكر فى الثأر ... وفى مقابل سلام مزعوم ، شاركت فى الجريمة بالصمت .. على طريقة الشيطان الأخرس .. الساكت عن الحق .

هذا التصور ... هل يوجد أدلة أخرى تدعمه ؟!

□ □ □

فى منتصف نهار يوم الثلاثاء ٢٨ مارس ١٩٨٩ ، كنت أجلس فى حجرة « صالون » بيت الدكتور **المشد** ، وبينى وبين زوجته ، جهاز تسجيل ، يحول كلامها عن الحادث إلى وثيقة .

قالت :

ـــ لقد ذهبت إلى وزارة الخارجية المصرية للاطلاع على نتيجة التحقيق فى حادث مصرع زوجى .. لم يسمحوا لأحد بهذا الاطلاع إلا لى ، ولشقيق زوجى ، الذى كان فى السعودية .. اكتشفت أن القضية أقفلت دون تحديد دقيق للفاعل .. فالفاعل حسب ما قرأت ، منظمة يهودية ، على مستوى عال ، لها سيطرة كبيرة على السياسة الفرنسية .

وسألتها :

□ **هل استدعيت للاطلاع على ذلك أم ذهبت بنفسك للسؤال ؟**

أجابت :

ــ البعض أكد لى على أن من الممكن رفع قضية تعويض ، فقلت « أروح لأشوف وآخذ أوراق التحقيق » ، وإن كنت غير متحمسة لمثل هذه القضية .. إطلعت على تقرير وزارة الخارجية .. الذى أشار إلى أن الفاعل منظمة يهودية .. إلى أن الجانى ليس شخصا يمكن الإمساك به .. وإنما منظمة كبيرة ، لها نفوذ قوى فى سياسة فرنسا .

□ **لذلك لم ترفعى القضية ؟**

ــ نعم .

وبعد .. عدة دقائق على شريط الكاسيت ، قالت :

ــ هناك واقعة أريد أن ألفت النظر إليها .. بعد اغتيال زوجى جاء واحد من تلاميذه .. كان يدرس فى أوروبا عندما اغتيل ، فترك دراسته ــ كما روى لى ــ ونزل باريس ، ليعرف ما جرى لأستاذه .. فقابل بعض العلماء فى هيئة الطاقة الذرية الفرنسية ، وقد أزعجهم ــ على حد قوله ــ أن يفتش عن سر الجريمة .. فكان أن قيل له .. سيجرى لك ما جرى لأستاذك إذا لم تغلق هذا الباب وراءك .. أنا لا أعرف حقيقة هذه الرواية .. لكن .. لا أجد أى مبرر لعدم تصديقها .

وبعد .. عدة دقائق أخرى على شريط الكاسيت ، سألتها :

□ بكلمات مباشرة ... **هل قتل الإسرائيليون زوجك ؟**

قالت :

ــ ليس لأحد مصلحة فى التخلص منه ... سواهم .

عندك حق !

□ □ □

□ ١١ □

انفجارات فى روما وباريس !

كل شيء كان هادئا فى فياديلا لانجريتا .

وفياديلا لانجريتا طريق من طرق مدينة روما البعيدة عن قلبها الصاخب بالسياح ، والفنانين ، والأفاقين ، وجماعات الهيبز ، والعشاق الصغار .

الساعة تجاوزت منتصف الليل .

أما التاريخ .. فكان ٧ أغسطس ١٩٨٠ .. أى قبل مرور شهرين على حادث اغتيال الدكتور **يحيى المشد** فى باريس .

فجأة ...

وبدون مقدمات ... مزق الهدوء صوت انفجار ، أفزع كل سكان المنطقة .. ومع أن الفرقعة لم تستغرق ثوانى .. فإن الصخب استمر .. فقد اندفعت إلى الحى أعداد هائلة ــ تعوى ــ من سيارات الشرطة .

وحاصرت القوات والسيارات المنزل رقم ٥٥ .

وفى الدور الثالث .. وجدوا آثار الانفجار واضحة على باب شقة المهندس **ماريو فيوريلى** .. مدير شركة « ستيا تكنيت » .. الشركة التى وردت للعراق المختبرات الحارة ــ التى تفصل البلوتونيوم عن اليورانيوم الطبيعى .

وحسب تقديرات الشرطة الإيطالية .. فإن القنبلة وُضعت إلى جوار باب الشقة ، فى إناء بلاستيك .. وأنها انفجرت فى الساعة الثانية والربع صباحا .

لم يكن صاحب الشقة بداخلها .. كان يسهر فى وسط العاصمة .. ولم يسفر الانفجار سوى عن أضرار بدت طفيفة .. ثقب فى الباب .. وتساقط بعض أجزاء من الجدران .

وعندما عرف المهندس **ماريو فيوريلى** ما حدث ... قال :

ـــ **لم أتوقع أن يصل الإجرام إلى هذا الحد ؟**

س : ترى من الفاعل ؟ .

جـ : **الذى له مصلحة فى تعطيل البرنامج النووى العراقى .**

س : من تقصد ؟ .

جـ : **لا فائدة من تحديده .**

س : ألا تتهم أحدا ؟

جـ : **لنترك ذلك إلى الوقت المناسب .**

□ □ □

لم تكن خسائر السنيور **فيوريلى** فى بيته فقط ، وإنما كانت فى مقر شركته أيضا .. ففى الوقت نفسه تقريبا .. انفجرت عبوتان ناسفتان ، فى مكاتب الشركة فى المبنى رقم ٣٤ ـــ فيا ـــ أ بجى براجونيا .. كانت كل عبوة تحوى ٨٠٠ جرام من بارود تفجير المناجم .. وقد كانت مساحة تدميرها ٤٥٠ مترا مربعا .. فكان أن عصف التدمير بحواجز المكاتب ، وهدم الجدران ، ومزق أسلاك الشبكة الكهربائية ، وحطم الأثاث ، وجهاز التكييف المركزى .

كانت المكاتب خالية عند وقوع الانفجار .. لا حراسة لا أجهزة إنذار .. ولا احتياطات مضادة للسرقة .

وحسب رواية كتاب « القنبلة الإسلامية » ـــ ص ٢٤٣ ـــ فإن إدارة الشركة أكدت .. أن الجناة « تمكنوا من الاطلاع على الملفات الخاصة بالعراق ، ويبدو كذلك أنهم صوروها » .

وفى التحقيق سُئل **ماريو فيوريلى** :

□ هل هناك علاقة بين تفجير الشقة والشركة فى وقت واحد ؟

ـــ **بالتأكيد !**

□ ما هى ؟

ــ الجناة فى الحالين لهم مسئول واحد .

□ من هو ؟

ــ من له مصلحة فى إجبارنا على عدم التعاون مع العراق !

□ من بالتحديد ؟

وهذه المرة .. أجاب الرجل :

ــ الإسرائيليون !

□ □ □

فى تلك الليلة ... كذلك .

كان من المقرر ، وضع قنبلة أشد ، فى شركة إيطالية أخرى هى شركة « اتسالدو ميكانيكو نيكولار » .. التى تقع جنوب « جينوا » بحوالى ٣٠٠ ميل .. وهى شركة هندسية ضخمة ، تعمل فى تصنيع المعدات النووية .. ويعد العراق من أهم زبائنها .

قبل وضع القنبلة ، شاهد حارس الشركة **فيتوريو بيكولو** ، شاباً ، يقترب من مقر الشركة فى منطقة تسمى فيا جابريلاد أنوسيد ، وهو يحمل لفافة متوسطة الحجم ، مغطاة بكيس بنى اللون ، ومثيرة للاشتباه .. حاول الحارس إجبار الشاب على التوقف .. لكنه .. فشل .. وعندما راح الشاب يجرى ، سارع الحارس بإشهار مسدسه ، و لم يتردد فى إطلاق الرصاص .. فكان أن اختفى الشاب ــ الذى توارى وراء ناصية الشارع ــ تحت جنح الظلام .

□ □ □

ما حدث فى تلك الليلة فى إيطاليا .. كان مجرد نصف القمر .. فقط .

أما النصف الآخر .. فقد حدث ــ فى الوقت نفسه ــ فى فرنسا .

كان الهدف فى فرنسا ، منزل الخبير النووى **جان جاك جراف** ... ومسيو **جراف** ، ٤٨ سنة ، مسئول كبير فى هيئة الطاقة النووية الفرنسية .. والأهم .. أنه كان ــ فى ذلك الوقت ــ ينفذ المفاعل العراقى ، نيابة عن بلاده .. وقبل أسابيع كان قد حصل على نوط الشرف من حكومته .

كان على المخربين إطلاق قنبلة على بيته .. لكن .. ذلك لم يحدث ، لسبب صاغه الخطأ والقدر .. فقد أُلقيت القنبلة على منزل شخص آخر ، يحمل نفس الاسم .. وأكبر سنا .. ولا يعمل فى هذا المجال .. وإنما يدير مكتبة صغيرة لبيع الكتب القديمة ، فى حى سان جيرمان ــ إن لاى .

التوقيت المشترك .. وعلاقة الضحايا بالبرنامج النووى العراقى .. أكد أن الجناة ليسو هواة .. وإنما محترفين .. كما أن معلوماتهم ليست قليلة وإن طاش بعضها .. كذلك فإن عددهم كبير بحيث يتحركون .. فى أكثر من مكان ، وفى أكثر من دولة ، فى وقت واحد .. ثم أنهم لابد وأن تكون لهم رئاسة واحدة .. عليها التخطيط .. وعليهم التنفيذ .. وأن هذه الرئاسة تملك إمكانيات ضخمة ، لا تتوافر على هذا النحو إلا لجهاز مخابرات .

وهكذا ...

قفز اتهام المخابرات الإسرائيلية على السطح .

□ □ □

لم تتوقف الحوادث عند هذا الحد .

فى إيطاليا .. وبعد ما حدث فى جنوب جنوة .. أُرسلت عدة رسائل تهديد إلى عدة أشخاص يعملون فى البرنامج النووى العراقى ، أو لهم علاقة به ، كان أبرزهم البروفيسور **سيلفد كاو** ، رئيس قسم الوقود فى وكالة الطاقة النووية ــ المسماة « كوميتاتو ناسزيونال بير لينرجيا فيدكليو » .

وقد وصف مؤلفا كتاب « القنبلة الإسلامية » البروفيسور **كاو** بأنه متحدث لبق .. ناعم .. ولطيف ... « جنتلمان » .. وبعد التهديد الذى تلقاه ، سارعت الحكومة الإيطالية ، بتوفير حماية كاملة له .. بما « فى ذلك سيارة خاصة مزودة بزجاج مضاد للرصاص ، وجهاز إرسال واستقبال ، وصفارات إنذار ، ومحرك قوى قادر على الانطلاق بسرعة مناسبة » ١١ ــ ص ٢٤٤ .

ولعدة أشهر ــ بعد التهديد ــ كانت السيارة تنقله إلى عمله صباحا ، وتعيده إلى بيته مساء .. وتقبل باستسلام النصيحة .. فلم يكن يغادر بيته مطلقا « دون إبلاغ الشرطة » .. و « وضع تحت المراقبة هو وزوجته وأولاده » .

وفى فرنسا ... حدث الشىء نفسه .

فقد تلقى كبار العاملين والفنيين فى الشركات الرئيسية ــ التى تعمل فى المشروع العراقى ــ رسائل تهديد مشابهة .. وتلقت نقاباتهم رسائل أخرى .. كذلك المركز الفنى الفرنسى ، المعروف باسم « تكنيسيال توم » .. ولم يمض وقت طويل ، حتى وصلت هذه الرسائل لبعض العاملين الفرنسيين فى بغداد .

ويذكر المؤلفان فقرات من هذه الرسائل ...

□ لقد « تلقت الإدارة رسائل تحذيرية حتى لا تواصل ــ وأنتم معها ــ العمل المخزى والخطير لحساب حاكم بغداد » .

« نحذركم الآن ، بأنه إذا غادر موظفو المركز إلى بغداد ، بالرغم من التحذيرات ، فسوف يهدر دمهم ، ولن يثنينا وجود موظفين أجانب ، كما كنا ننهج حتى الآن وإذا رغبتم فى حقن دماء موظفيكم ، فإن عليكم أن تعارضوا بقوة سفرهم إلى بغداد » .

من رسالة التهديد إلى المركز الفنى الفرنسى .

□ يبدو « أن مديرى شركتكم لا يعبأون بنزف الدم البرىء ، فى الوقت الذى يملأون فيه جيوبهم .. ولكن عليكم أنتم ــ الطبقة العاملة ــ أن توقظوا ضمائرهم » .

« إننا ندعوكم إلى وقف التآمر العراقى ، الفاشى ، الذى صب مبالغ ضخمة فى جيوب رؤسائكم للحصول على أموال بطريقة غير مشروعة من أجل صنع قنابل ذرية ، وليس معقولا أن تبيحوا إبادة جماعية » .

« إننا ندعوكم باسم الإنسانية ، وباسم ضميركم ، إلى مساعدتنا فى حملتنا ضد القنبلة العراقية ، ومن الضرورى تنبيه العمال الذين سيتحالفون بالتأكيد ضد الفاشية ، ويفسدون الخطة العراقية » .

أم ... « هل يريد عمال شركتكم تناول خبز منقوع بدم النساء والأطفال » ؟

من رسالة إلى نقابة احدى الشركات المعنية

□ إننا « نكرر ، مرة أخرى ، بأن من الأفضل للخبراء الفرنسيين ألا تطأ أقدامهم العراق » .

« لقد هددنا الشركات الفرنسية التى تتعاون مع النظام العراقى من مغبة ما سيحدث ، وطلبنا منها ترك العمل ، وإخلاء جميع موظفيها فورا » .

« ليست لنا مصلحة فى قتل فرنسيين أو أوروبيين ، ولكن إذا أصروا على مواصلة خدمة النظام العراقى المتعطش للدماء ، فإنهم وحدهم سيتحملون النتائج » .

من رسالة تهديد إلى صحيفة ليبراسيون الفرنسية

□ □ □

بدأ العراق اتصالاته النووية بفرنسا فى سنة ١٩٧٤ .

كانت أزمة الطاقة ـــ التى انفجرت بعد حرب أكتوبر ـــ ١٩٧٣ ـــ فى الذروة .. وقد أثارت إجراءات الزهد والتقشف فى استهلاك الوقود إحساسا عاما بالفزع ، والاكتئاب ، لم يكن من الصعب ، معه ، أن ترضخ الدول الغربية لشروط الدول النفطية .. وهكذا .. ارتفعت بجنون أسعار البترول .. وهكذا .. أيضا ... بدأت المفاوضات النووية بين فرنسا والعراق .

إن مشهد الرئيس الفرنسى ـــ الذى ظهر على التليفزيون ـــ وهو يرتعش من البرد فى قصر الإليزيه ـــ بسبب ترشيد الطاقة ـــ سهل حصول العراق على ما يريد ... بما فى ذلك ، ما كان صعب المنال من قبل ... تكنولوجيا الذرة .

فى العام التالى ، وقع البلدان اتفاقية التعاون النووى بينهما .

بلغ حجم الاتفاقية ٢٧٥ مليون دولار ، وقد صدق عليها رئيس وزراء فرنسا **جاك شيراك** ، أثناء زيارة رسمية لبغداد .

وطبقا لهذه الاتفاقية ، طلب العراق « شراء فرن غاز كربون ، ٥٠٠ ميجاوات . وهذا النوع من الأفران ينتج كميات كبيرة من البلوتونيوم ، ويستخدم لإنتاج البلوتونيوم المطلوب للأسلحة النووية الفرنسية .. ومع ذلك كان إنتاج هذه الأفران قد توقف قبل ذلك ، بفضل إنتاج أفران أقل تكلفة » ـــ **شاى فيلدمان** ـــ ص ٨٢ .

« رفضت الحكومة الفرنسية تزويد العراق بهذا الفرن ، بعد أن أدركت أن اهتمام العراق بهذا النوع من الأفران ينبع من قدرتها فى مجال انتاج البلوتونيوم » ــ **فيلدمان** ــ ص ٨٢ .

وكبديل .. تقرر تزويد العراق بمركز ابحاث نووى كبير ، يضم مفاعلين يمكنهما تدريب نحو ٦٠٠ عالم وفنى على الأقل .

وحسب تقرير جوديث بيريرا (السباق النووى بين العرب وإسرائيل) فإن العراق كان يهدف ــ من وراء هذه الاتفاقية ــ إلى « أن يصبح مركزا نوويا للوطن العربى » .. ففى العام الذى وقعها فيه « قام برعاية المؤتمر الإقليمى للطاقة النووية الذى انعقد فى بغداد » .

أيضا .. فقد بدأ دعوته إلى تأسيس وكالة عربية للطاقة النووية « فى إطار جامعة الدول العربية » .

وحسب المصدر نفسه ، فإن الدكتور **يحيى المشد** « كان يترأس البرنامج العراقى ــ الفرنسى » ، إنه كان يمثل أهمية شديدة كحلقة اتصال مع فرنسا والاتحاد السوفييتى » .

« وأشارت التقارير إلى أن الدكتور **المشد** كان يقوم بالتفاوض مع فرنسا كى يحل العراق محل إيران فى شراء ١٠٪ من رأسمال تجمع اليورانيوم الأوروبى ــ ايروديف .. وكانت فرنسا قد جمدت الأرصدة الايرانية فى تلك المؤسسة وتبلغ نحو ثلاثة ملايين دولار ، عندما أعلنت الحكومة الايرانية الثورية الجديدة عن عزمها على الانسحاب » .

والمعروف أن فرنسا هى الدولة الوحيدة من بين كبريات الدول النووية التى لم توقع على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية .. لكنها .. مع ذلك ، لا تتعاون إلا مع الدول الموقعة عليها .. والتى تقبل بتفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية .

والمعروف كذلك .. أنها لم تدعم العراق نوويا إلا بعد أن تلقت « ضمانات بشأن وارداتها النفطية كما أنها حصلت على عقود ضخمة لتوريد الأسلحة التقليدية » .

وتتضمن الاتفاقية .. أن تقدم فرنسا للعراق ٧٠ كيلوجراما من اليورانيوم المشبع بنسبة ٩٣ ٪ ، لتشغيل المفاعلين .. والكمية ــ حسب بعض التقديرات ــ تكفى لإنتاج قنبلة نووية .. فكان أن تعرضت فرنسا لضغوط أمريكية ، وإسرائيلية لتعديل هذا البند فى الاتفاقية .. وكان أن حاولت إقناع العراق بتغيير هذا الوقود إلى وقود من نوع يُسمى « كامل » ، مشبع بنسبة ١٠٪ فقط ، أى بدرجة أقل مما هو مطلوب لإنتاج قنابل نووية .

غير أنه فى ذلك الوقت ــ سنة ١٩٧٦ ــ لم يكن وقود « كامل » قد أنتج بعد .. فكان أن رفض العراق الطلب الفرنسى رفضاً باتا .. وكان أن بدأت إسرائيل مشوار التخريب فى فرنسا .

فى ذلك الوقت أيضا ، وقع العراق مع ايطاليا اتفاقية للتعاون النووى ، قُدرت قيمتها بنحو ٥٠ مليون دولار .

وتضمنت الاتفاقية ، توريد أربعة معامل ، أحدها يضم « خلايا ساخنة » ... أما الثلاثة الباقية فكانت من أجل الأبحاث الطبية ، والزراعية ، وحفظ الأطعمة .

وتضيف جوديث بيديرا :

« ووافقت إيطاليا على تزويد العراق باليورانيوم ، واليورانيوم المستعمل ، واليورانيوم المغذى من تسهيلات ايروديف .

« وكما حدث فى حالة فرنسا فقد استعمل العراق القدرة الاقتصادية للضغط على إيطاليا لتأمين هذا الاتفاق » .

« فالعراق تمد إيطاليا بنحو ٢٠٪ من احتياجاتها النفطية » .

« كما وافقت على بعض الصفقات العسكرية الضخمة » .

(راجع الصفحات من ٤٩ إلى ٥٢ من ترجمة تقرير جوديث بيريرا ــ الناشر : مركز الدراسات العربية (لندن) ودار المستقبل العربى (القاهرة) ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٨٣) .

وكما حدث لفرنسا .. تعرضت إيطاليا لضغوط هائلة كى لا تنفذ اتفاقها مع العراق .. وعندما لم تستجب ... وجدت نفسها هدفا لفرق التخريب الإسرائيلية .

ومن جانبه . لم يضع العراق كل البيض فى سلة واحدة ، فراح يبحث عن التعاون النووى مع دول متنوعة الاتجاهات والسياسات ... مثل كندا .. البرتغال .. بلجيكا .. الهند .. البرازيل .. وهذا ما عرف حتى الآن .

لكن ... بالرغم من ذلك ، لا تزال الشركات الفرنسية والإيطالية ... الأفضل .. ومن ثم .. وجد العاملون فيها أنفسهم عرضة للقتل .. والتهديد بالقتل .

□ □ □

من المسئول عن الانفجارات ورسائل التهديد ؟.

ادعت جماعة ــ لم يسمع بها أحد من قبل ــ مسئوليتها .

الجماعة تطلق على نفسها اسم « لجنة حماية الثورة الإسلامية » .

وحسب المصدر السابق الإشارة إليه ، فإنها ادعت ــ أيضا ــ مسئوليتها عن تخريب المفاعل العراقى فى طولون قبل شحنه إلى بغداد .. كذلك ، « أعلنت مسئوليتها عن هجوم طائرات الفانتوم على موقع المفاعل ــ القصف الأول ــ بعد أيام من حرب الخليج » .. كما جاء فى رسالة التحذير المرسلة إلى صحيفة ليبراسيون .

ويضيق المصدر نفسه :

ــ أنه وُجدت على سلالم شقة المهندس الإيطالى **فيوريلى** رسالة تقول : « **لقد كلفنا بمهمة حماية الثورة الإسلامية العظيمة ، ومحاربة جميع أعدائها ، وسيعتبر كل من يقدم المساعدة إلى أعدائنا ، عدوا لنا ، إننا نعرف تواطؤكم الشخصى ، وندعوكم للتوقف فوراً عن نشاطاتكم التى نرى فيها عملا مناوئا لنا وللثورة** » .

« **وإذا لم تنفذوا هذا ، فاننا سنضربكم وعائلاتكم دون رحمة** » .

وسجل جهاز الرد على تليفون **فيوريلى** (الأنسر ماشين) صباح يوم الحادث (بين الساعة السابعة والساعة الثامنة) رسالة تحذير مشابهة .. جاء فيها : « نحن لجنة حماية الثورة الإسلامية ، نحذركم بأن تتخلوا عن مساعدة أعداء الثورة فوراً . افعلوا ما نطلبه منكم قبل فوات الأوان .. بالنسبة لكم .. وبالنسبة لأولئك المقربين منكم » ... « عاشت الثورة الإسلامية » .

ـــ وبعد ساعة ، جرت مكالمة تليفونية ثانية .. كان نفس الصوت .. ونفس الرسالة تقريبا .

ـــ وبعد الخطأ فى محاولة نسف **جان جاك جراف** ، قال المخربون ـــ فى مكالمة تليفونية مع وكالة الأنباء الفرنسية ـــ إن الخبير النووى ، تلقى « **وسام الشرف لعمله فى ترسانة الأسلحة النووية .. وقد منحناه ما يستحقه لعمله ضد ثورتنا ، وسوف نهتم بجميع العاملين مع النظام العراقى** » .

وهكذا ...

بدا أن الإيرانيين هم الجناه .

لكن ...

هناك أكثر من دليل على أن الإسرائيليين هم الجناة .

ـــ لا أحد من قبل سمع عن « لجنة حماية الثورة الإسلامية » .

ـــ أن الذى نفذ عملية طولون ـــ كما كُشف فيما بعد ـــ كانت المخابرات الإسرائيلية .

ـــ أن من السهل اختراع أى تنظيم وتحميله مسئولية أى حادث . .

ـــ أن الإسرائيليين سبق أن لجأوا إلى هذه الحيلة ، بعد عملية طولون . عندما نسبوا ما حدث إلى جماعة وهمية ضد التلوث النووى ، وتعمل من أجل حماية البيئة .

ـــ أن الانفجارات والتهديدات ، جاءت بعد اغتيال د . **يحيى المشد** ، بأقل من شهرين ، وبعد اغتيال الشاهد الوحيد (**مارى كلود ماجال**) بأقل من شهر وذلك لإرهاب كل من يتعاون مع العراقيين ، كى يتركوا العمل فى المفاعل العراقى ، ويتعطل البرنامج النووى هناك .

ـــ أن هذه الحوادث جزء من حرب نفسية برع الإسرائيليون فى شنها ـــ من قبل ـــ كثيرا .

ـــ أن ضرب المفاعل العراقى فيما بعد دليل إضافى ، قدمه الإسرائيليون بأنفسهم ، بعد ١٠ شهور فقط على هذه الحوادث .. وقد جاء فى بيان **مناحم بيجن** ، الذى صدر

بعد عملية « بابل » ... « وكانت حكومتان أوربتيان تساعدان الرئيس العراقى فى إنتاج الأسلحة النووية لقاء حصولهما على البترول . ونحن ندعوهما مجدداً إلى الامتناع عن هذا العمل المروح ، واللا إنسانى » .. ولم يذكر البيان صراحة فرنسا وإيطاليا .. ولوحظ وجود تشابه بين ما جاء فى البيان وما جاء فى رسائل التهديد .

ــ أن الإسرائيليين كشفوا ــ دون قصد ــ فى رسائل التهديد عن موقفهم العنصرى ، حيث فرقوا بين دماء أوروبية تستحق المحافظة عليها ، ودماء غير أوروبية يمكن إهدارها فى كل وقت .

ــ أن مؤلفى كتاب القنبلة الإسلامية يؤكدان .. أن مثل هذه الحوادث لا تقوم بها إلا مخابرات دولة « متقدمة » .. كإشارة خفية ودعائية لمخابرات الكيان الصهيونى .

ــ أن ضحايا الانفجارات اتهموا الإسرائيليين ، صراحة .. وقال مسئول فى شركة سنيا : « إن الإسرائيليين مسئولون ليس فقط عن هذا ولكن أيضا عن العديد من المشكلات فى الشرق الأوسط ... لقد أساءوا معاملة الفلسطينيين .. ويحاولون الآن أن يصلوا إلينا » .

ــ وقال مسئول وكالة الطاقة النووية الفرنسية : « **إننا لم نسمع مطلقا باسم هذه اللجنة الإسلامية من قبل .. وقد لا نسمع عنها أبدا .. بعد ذلك .. إننى أعتقد أن الجناة من الإسرائيليين** » ــ المصدر ــ كتاب القنبلة الإسلامية ــ ص ٢٤٧ .

□ □ □

يضاف إلى ذلك ...

أن مراقبا يتسم بالفطنة .. أوضح .. أن « حملة التهديدات ــ هذه ــ تذكرنا بعملية إسرائيلية مشابهة ، حدثت فى أوائل الستينات ، وكان الهدف منها ــ فى ذلك الوقت ــ برنامج الصواريخ المصرى » الذى كان يسعى إليه جمال عبد الناصر .

أى أن الأسلوب ليس جديدا ..

وبعد مصر ... جاء الدور على العراق .

وبعد الألمان ... جاء الدور على الفرنسيين والإيطاليين !

□ ١٢ □

ليست قزما نوويا !

فى الثامن من ديسمبر عام ١٩٦٠ ، التقطت إحدى طائرات الاستطلاع الأمريكية عدة صور فى أثناء تحليقها فوق صحراء النقب .

الطائرة من طراز يو ــ تو المسماه باسم السيدة السوداء والتى تستخدم فى التجسس من فوق .. من السماء .

كانت على بعد ٦٠ كيلومترا .. جنوب شرقى مدينة بئر السبع عندما راحت تصور ما تحتها .. على الأرض .. تقاطع السكك الحديدية والأسلاك الكهربائية ذات الضغط العالى .. عدة مبانٍ من الإسمنت المسلح .. منشأة تشبه الكرة .

فى صباح اليوم التالى ، كان خبراء وكالة المخابرات المركزية ، وأعضاء من لجنة الطاقة التابعة للكونجرس يجتمعون سرا فى مقر الوكالة فى ضاحية لانجلى .. القريبة من واشنطن .. وأمام كل منهم مجموعة الصور .. وبعد انتهاء الاجتماع لم يكن هناك أى مجال للشك فى صحة ما اكتشفته الطائرة وهو أن إسرائيل دولة نووية .. أو على وشك أن تكون كذلك .

على الفور رفعت قيادة الوكالة تقريرا إلى **كريستيان هيرتز** مسئول الاتصال بينها والبيت الأبيض الذى قام بدوره بإبلاغ الرئيس **ايزنهاور** .

فى اليوم نفسه استدعى **هيرتز** سفير إسرائيل لدى واشنطن **إبراهام هارمن** وعرض عليه الصور الملتقطة لديمونة ، سائلا إياه بصراحة عما إذا كانت إسرائيل تسعى إلى تصنيع الأسلحة النووية أم لا ! .

فى تل أبيب .. فى الوقت ذاته ، كان **بن جوريون وجولدا مائير** يضعان اللمسات الأخيرة لما ستقوله إسرائيل بعد أن انكشف المستور .

صباح اليوم التالى زار **هارمن** ، **هيرتز** ، وقال له :

ـ إن المفاعل النووى يستخدم للأغراض السلمية ... فقط !

وأمام الكنيست كرر **بن جوريون** ما قاله سفيره فى واشنطن .

وبُهت أعضاء الكنيست .. ونزل عليهم سهم الله .. فقد كانوا آخر من يعلم .

والحقيقة أن البيت الأبيض كان يشعر بأن إسرائيل تتجه ناحية السلاح النووى .. لكن .. غالبا كان لا يملك الدليل المناسب على ذلك .. ففى مارس ١٩٦٠ ، زار **بن جوريون** البيت الأبيض والتقى **بأيزنهاور** ، الذى لمّح له أن « الأسلحة النووية » لن تزيد شيئا فى تعزيز وضع إسرائيل الأمنى تجاه العرب .. وأضاف أنه « يشك فى أن يعطى الاتحاد السوفييتى مصر أسلحة نووية » .

وبعد ٣ شهور من الزيارة أبلغت المخابرات الأمريكية **إيزنهاور** ، لأول مرة ، أن ديمونة ليست معملا للنسيج ولا محطة للضخ بل مفاعلاً نووياً كبيراً يستطيع إنتاج مواد قابلة للانشطار بكميات تكفى صنع أسلحة نووية بمعدل ١,٢ قنبلة فى السنة .

وحتى تقدم المخابرات الأمريكية الدليل للبيت الأبيض والحكومة الإسرائيلية ، دفعت بطائرة التجسس إلى التحليق فوق النقب والتقاط صور لديمونة .

لم تقتنع **إيزنهاور** بتبرير **بن جوريون** بأن ديمونة مفاعل سلمى .. لكنه .. لم يعترض عليه .. وخاصة أن أيامه فى البيت الأبيض أصبحت معدودة .. وهناك رئيس جديد .. ينتظر الدخول .. هو **جون كيندى** .

من جانبه لم يتقبل **كيندى** تبرير **بن جوريون** أيضا .. وكتب إليه معربا عن قلقه البالغ حيال مشروع ديمونة .. واقترح عليه قبول تفتيش هيئة الطاقة النووية على المفاعل .

فرَّد **بن جوريون** : إن السوفييت يسيطرون عليها !

وعندما التقيا فى فندق والدورف ستوريا بنيويورك (مايو ١٩٦١) قبل **بن جوريون** حلا وسطا .. أى أن يقوم بالتفتيش علماء من وكالة الطاقة النووية الأمريكية .. كل سنة تقريبا .. وفى أوقات وشروط تحددها إسرائيل .

وكان أن قبض **بن جوريون** الثمن .. صواريخ أرض ــ جو .. طراز هوك ــ المتطور .

وفى مذكراته قال **بن جوريون** : إنه استسلم ووافق من حيث المبدأ على نوع ما من الرقابة الأمريكية .. وفى الوثائق الأمريكية أنه وجد فى قضية العلماء الالمان الذين يصنعون الصواريخ فى مصر ، قضية مفيدة « لأنها أعطت تبريرا جيدا لتسريع البرنامج النووى الإسرائيلى » .

واستقال **بن جوريون** قبل أن يفتش الأمريكيون على ديمونة .. كان ذلك فى سنة ١٩٦٣ .. وفى تلك السنة أيضا ــ وحسب وثائق **سيتفن جرين** ــ بدأت عدة هيئات حكومية أمريكية ــ مرة أخرى ــ تشكك فى أن المياه العذبة هى « كل ما كان يخطط له فى ديمونة » .. وكان المفاعل لا يزال فى طور الإنشاء ليبدأ عمله فى سنة ١٩٦٤ .

وفى فبراير ١٩٦٤ أعد وزير الدفاع الأمريكى مذكرة إلى البيت الأبيض ، يقول فيها إن « من المحتمل » أن تصبح إسرائيل الدولة النووية السادسة فى العالم التى تملك أسلحة نووية .

وكتب **شيرمان** كنت المسئول فى المخابرات المركزية عن التوقعات السياسية ، مذكرة من ٨ صفحات إلى مدير الوكالة عن « النتائج المترتبة على حصول إسرائيل على قوة نووية » ، قال فيها إن من شأن قنبلة إسرائيل ان تسبب « حذرا كبيرا للموقف الأمريكى والغربى فى العالم العربى » .. وكانت المذكرة شديدة اللهجة وسلبية تماما فى استنتاجاتها .

فى ذلك الوقت ذهب إلى ديمونة أول فريق تفتيش من العلماء الأمريكيين .. وجرت الزيارة فى الحدود التى رسمها الإسرائيليون .. واشتكى المفتشون من قصر الزيارة .. ولم يستطيعوا التأكد تماما من إن المواد التى يتم تصنيعها فى المفاعل ليس من بينها البلوتونيوم .

واستنادا لأكثر من مصدر فإن « المضيفين كانوا دائما يملون عليهم أسلوبا يتسم بالسرعة فى تنفيذ المهمة ، بحيث لا يتمكنون من التحقق بشكل عملى مما يجرى . وهذا ما دفع اللجنة التى زارت ديمونة عام ١٩٦٩ لأن تسجل تقريراً تلفت فيه النظر لكونها غير متأكدة من أن مفاعل ديمونة لا ينتج مواد تتعلق بصناعة القنبلة الذرية . وعلى الرغم من أن الجهات المختصة لم تعر اهتماما لتقارير أولئك العلماء إلا أن بعض هذه المعلومات تسربت إلى الصحافة .. وهنا ثارت إسرائيل .. كما لو كانت تنتظر ذلك بفارغ صبر .. واتهمت المفتشين بأنهم سربوا الأنباء للصحافة وللمصريين .. حتما .. وقال أحد أعضاء الكنيست : « **ليس باستطاعتنا أن نعرف ما يقوله وينقله هؤلاء المفتشون للسفراء المصريين** » .. وأضاف : « **لماذا يجب علينا السماح للأمريكيين بالدخول لمناطق هى أصلا مغلقة أمام المواطنين الإسرائيليين ، وحتى أمامنا نحن أعضاء البرلمان** » .. وكان أن توقف التفتيش » .

وحسب تقرير الصنداى تايمز عن شهادة **فانونو** فإنه « لم يتح للعلماء الأمريكيين قط رؤية معمل فصل البلوتونيوم الموجود داخل أسوار ديمونة والضرورى لتحويل مفاعل عادى للأبحاث إلى مصنع للقنابل الذرية » .

« وعلى أحسن الأحوال ، خرجت وكالة المخابرات الأمريكية ــ وكذلك الأمم المتحدة ــ باستنتاج يرجح أن إسرائيل ربما تكون قد تمكنت خلال العشرين سنة الماضية من تجميع كمية من البلوتونيوم ، ربما تكفى لإنتاج عشر قنابل .. وفى أحسن الظروف ٢٠ قنبلة لا أكثر .. وهى قنابل بدائية ، شبيهة بتلك التى ألقيت على نجازاكى عام ١٩٤٥ والتى تبلغ قوتها ٢٠ كيلو طنا فقط . تلك التقديرات بنيت على حساب الكم الأقصى من البلوتونيوم الذى يمكن استخلاصه بدون الحصول على مساعدة تتمثل فى تقديم التكنولوجيا المتطورة ، المعقدة لفصل البلوتونيوم » .

« وكان الرأى السائد هو أن امتلاك إسرائيل برنامجا لإنتاج الأسلحة الذرية فإنه لا يزال ذا طبيعة بدائية . ومثل هذه الظنون تدور حول العديد من الدول الأخرى ومنها الأرجنتين وباكستان والهند وجنوب أفريقيا » .

لكن ...

شهادة ووثائق **فانونو** أظهرت أن « إسرائيل ليست مجرد قزم نووى » .. بل « لابد للعالم الآن أن ينظر إليها كقوة نووية رئيسية » .

إن سياسة إخفاء الحقائق النووية التى اتبعتها إسرائيل ، جعلتها تنمو ذريا بعيدا عن العيون ، وجعلت من حجم قوتها مجرد تخمينات .. دائما .

وقد حدث فى سنة ١٩٧٤ أن أجرى الكونجرس تحقيقا حول « الجهود الإسرائيلية المصرية فى المجال النووى » انتهى إلى شعور بالغضب والتذمر لافتقار الولايات المتحدة لأى معرفة تفصيلية حول « أهداف منشآت الأبحاث النووية فى ديمونة . وطبيعة التجارب التى تتم فيها » .

وكل ما انتهى إليه التحقيق هو أن **جمال عبد الناصر** حاول قبل وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ أن يحصل على السلاح النووى وفشل .

فقد رفض مساعد وزير الدفاع السوفييتى **جريشكو** ــ فى فبراير ١٩٦٦ ــ إرسال أسلحة نووية لمصر وإن التزم بتوفير الحماية لها إذا ما امتلكت إسرائيل أو طورت تلك الأسلحة .

ويضيف تقرير الكونجرس : أنه « **ربما كان لحساسية جمال عبد الناصر من الخيار النووى الإسرائيلى دور فى قراره بتحدى إسرائيل ليلة نشوب حرب الأيام الستة . وربما أراد أن يحرم إسرائيل من مكاسبها فى حرب السويس وما تلاها من أحداث .. أو ربما أراد أن تحصل الأردن وسوريا على أراض باحتلال إيلات قبل أن تحقق إسرائيل تميزا نوويا** » .

يقول التقرير أيضا : إن عزلة إسرائيل بعد الحرب ، وتخلى فرنسا عنها ، ورغبتها فى الاستقلال عن الولايات المتحدة ، جعلت **موشى ديان** يندفع إلى تصنيع القنبلة ، وأن يحتفظ بها فى القبو ، من باب الإرهاب والردع النووى ، ولإذلال العرب على طريقة **بن جوريون** .

« وكان لابد أن يكون هناك رد على التهديد النووى الإسرائيلى .. وطبقا لبعض المصادر الإسرائيلية فقد طلبت مصر ــ من جديد ــ أن يمدها بأسلحة نووية ، وبعض حاملات الصواريخ أو أن يلتزم بحمايتها نوويا .. لكنه تخلى صراحة عن ذلك .. ويفسر الرفض السوفييتى زيارة رئيس الوزراء الليبى **عبد السلام جلود** إلى بكين ليعرض شراء قنبلة ذرية منها » .

وحسب المصدر نفسه .. فإن سياسة الردع النووى الإسرائيلية لم تخف العرب .. بدليل أنهم شنوا حرب أكتوبر ــ ١٩٧٣ .. وإن كانت حققت بعض النجاح .. حيث كانت خطة مصر وسوريا العسكرية قد وضعت على أساس هجوم محدود للاستيلاء على مساحات صغيرة من الأراضى المحتلة .. « **لقد قررت كل من مصر وسوريا عدم المخاطرة بالهجوم والتوغل .. وخُفضت أهداف الحرب منذ البداية للخوف من قنبلة البدروم التى يمكن استخدامها فى حالة الضغط على إسرائيل بشدة .. ولم يكن العرب ليثقوا فى أية ضمانات سوفييتية** » .

وكان أن فضلت مصر وسوريا محاربة إسرائيل فى حدود الأراضى المحتلة وتكبيدها خسائر كثيرة فى الأرواح وجرها فى حرب استنزاف يكون للأعداد الغفيرة وقوة النيران ميزة كبيرة لإجبارها على التنازل عن مواقع ذات ميزة عسكرية .

وكان أن كادت إسرائيل أن تمد يدها إلى القبو وتفجر رءوسها النووية .

ولم يمنعها فقط تحسن موقفها .. لكن .. خوفها من التدخل النووى السوفييتى أيضا .. فقد ظهرت فى الدردنيل فرقاطة سوفييتية كانت محملة بمواد نووية .. وتمكن الأمريكيون من رصدها .. وفى ١٧ أكتوبر وصلت ميناء الإسكندرية .. ولم تغادره إلا بعد ٢١ يوما .

« لقد أراد السوفييت أن يلمحوا للإسرائيليين بأنهم قادرون على حماية العرب ضد أى هجوم نووى من جانبهم .. فكان أن رفض مجلس الوزراء الإسرائيلى .. ورفض الكنيست ، توصية **ديان** باللجوء إلى السلاح النووى .. لقد اقتنع الإسرائيليون بأن التهديد النووى لا يوثق به دائماً » .

وفى بحث **لشلومو أروفسون** بعنوان « الخيار النووى الإسرائيلى » أن بعض تقارير المخابرات الأمريكية ــ فى صيف ١٩٧٥ ــ أشارت إلى أن إسرائيل تمتلك من ١٠ ــ ١٢ وسيلة نووية .

وشلومو أروفسون يهودى .. أستاذ زائر فى الجامعة العبرية .. ومحاضر فى جامعة كاليفورنيا ..

وقد نشر بحثه (٣٧ صفحة) فى سلسلة دراسات مركز « السلاح والأمن الدولى » التابع لجامعة كاليفورنيا تحت رقم (٧) .

وهو يضيف : إنه فى ٣٠ سبتمبر ١٩٧٥ اقترح **ايجال آلون** فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أن تقوم الدول المعنية بخلق مكان خالٍ من الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط .

ولكن ... فى عام ١٩٧٦ رفضت إسرائيل زيارة ١٣ عضوا من الكونجرس لمنشآت ديمونة ، مع أنهم كانوا يقومون بجولة لتقصى الحقائق فى الشرق الأوسط .

وفى العام نفسه .. أعدت وكالة المخابرات الأمريكية تقريرا خُتم بخاتم « سرى جدا جدا » . جاء فيه ان اسرائيل طورت نظام الصواريخ بحيث يمكنها حمل الرءوس النووية .. وبعد أيام من إعداد التقرير التقى فى مقر الوكالة ١٥٠ عالما أمريكيا ، راح **كاريل داكيت** مسئول التجسس العلمى يناقشهم ، وبدلا من أن يشترى منهم ، باع لهم ، فعندما سُئل عن البرنامج النووى الإسرائيلى ، تخلى عن حذره ، وقال : « إن لدى إسرائيل ٢٠ قنبلة نووية جاهزة للتفجير النووى » .

وحسب ما ذكره د . **إيريش فولات** (كتاب عين داود) فإنه فى اليوم التالى حدث فى مقر الوكالة انفجار .. (لكن غير نووى) .. فقد استشاط مدير الوكالة غضبا .. ووصف ما قاله **كاريل داكيت** بأنه وصمة عار فى تاريخ المخابرات الأمريكية .

وكان مدير الوكالة **جورج بوش** .. الرئيس الأمريكى فيما بعد .

« وبعد هذا الحادث لم يكن بالإمكان إنكار الحقيقة » !

□ ١٣ □
رسائل ملغومة فى القاهرة !

لم يكن حلم القنبلة الذرية العراقية .. حلما جديدا .. فقد سبق أن سعت مصر إلى إنتاجها .

ولم يكن قرار **صدام حسين** بخلق « توازن الرعب » بين العرب وإسرائيل .. مفاجأة .. فقد حاول **جمال عبد الناصر** ذلك من قبل .

إن أبرز أهداف ثورة يوليو كان إقامة جيش مصرى قوى .. وكانت المحاولات المضنية لتحقيق هذا الهدف وراء تغيير دفة التحالف من الغرب إلى الشرق .. من الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاتحاد السوفييتى .. ومن ثم اشتد الصراع السياسى فى مصر .. وحولها .. وراحت الدوائر تدور فى بحر هائج من التوترات المزمنة .

وقد أدرك **جمال عبد الناصر** ــ عندما أصبحت كل مقاليد السلطة فى يده ــ أن استقلال الوطن لا يحميه إلا القوة .. وأن ضمان هذه القوة فى التصنيع العسكرى .. وتحول هذا الإدراك إلى خطة ، وقرار ، وميزانية ، بعد ما حدث فى حرب « السويس » .

كان طموح **جمال عبد الناصر** يبدأ بإنتاج الذخائر وينتهى بالوصول إلى القنبلة الذرية .. وبين البداية والنهاية كانت الرغبة عارمة ، صارمة لامتلاك غاز الأعصاب .. الصواريخ بعيدة المدى ، والمتعددة المراحل .. والأسلحة الكيماوية .

إن إسرائيل كانت تسعى إلى ذلك أيضا .. ولا مفر من السباق معها .. ومع الزمن كذلك .

وكان لابد من اللجوء إلى أهل الخبرة فى هذه المجالات .

كان لابد من اللجوء إلى الألمان ، الذين تركوا بلادهم بعد الهزيمة ، وانتشروا فى دول العالم المختلفة ــ بما فى ذلك الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وفرنسا وبريطانيا ــ ليقدموا خبراتهم مقابل إقامة وجواز سفر .

ومن الدول التى فتحت أبوابها لهؤلاء العلماء ، كانت مصر .

وكان ذلك ، منذ عهد الملك **فاروق** .. أى قبل الثورة .. وقبل أن يظهر **جمال عبد الناصر** على سطح الأحداث .

ومن بين هؤلاء .. كان :

د . **ويلهلم فوس** ــ خبير الذخائر الحربية ــ الذى كان المدير التنفيذى لمصانع هيرمان جورينج الألمانية ــ والذى أشرف على مصانع سكودا إبان السيطرة النازية على تشيكوسلوفاكيا .

د . **بول جورك** ــ متخصص فى الإلكترونات ــ وأحد العلماء الذين شاركوا فى تصنيع الصاروخ فى ــ ١٥ الألمانى .

ــ **فرديناند براندنر** ــ متخصص فى الصناعات الحربية ــ والكولونيل السابق فى الصاعقة .

د . **جوهانيس فون ليرز** ــ مساعد وزير دعاية **هتلر** .. دكتور **جوبلز** .

وقد فضل البعض منهم الامتزاج التام بالمجتمع .. إلى حد تغيير اسمائهم إلى أسماء عربية .. مثل **جورجن كنيتش** (ضابط الثقافة النازية السابق فى يوغسلافيا) الذى عُرف باسم **محمد حسين** .. **وأولرنج كراوس** (ملازم فى الصاعقة) الذى عُرف باسم **محمد أكبر** .. والبروفيسور **ويلهلم فاهر مباخر** (من شبكة المخابرات الألمانية القديمة) الذى عُرف باسم د . **عمر أمين** .

وحسب المصادر الإسرائيلية كان فى مصر ــ قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ــ حوالى ٥٠٠ من العلماء الألمان على هذا المستوى .

ولم يجد **جمال عبد الناصر** أفضل وأضمن منهم فى تنظيم جهاز المخابرات .. وفى العمل ــ كخبراء ــ فى أسلحة الجيش ، الرئيسية ، المختلفة .

وشجع ذلك ، غيرهم إلى اللجوء إلى مصر .. فكان أن وصل القاهرة سرا البروفيسور **فولفجانج بيلز** (مساعد د . **براون** ، رائد الصواريخ ، الذى حصل على الجنسية الأمريكية بعد هزيمة هتلر فى الحرب) وكان ذلك فى سنة ١٩٥٧ ، ولحق به فى تلك السنة مجموعة أخرى من تلاميذه .

ويقول **ريتشارد ديكون** (مؤلف كتاب المخابرات الإسرائيلية ـــ THE ISRAELI SECRET SERVICE ـــ الناشر شبربوكس ـــ لندن ـــ ١٩٧٩) :

إنه فى نوفمبر ١٩٥٩ ، وقع رئيس مخابرات الطيران **محمد محمود خليل** ، عقدا ، باسم الحكومة المصرية ، مع مصانع ويلى شميت فى ميونخ ، للاستفادة بخبرتها فى صناعة الطائرات .. والتى تبيعها لحلف شمال الأطلنطى .

وبعد توقيع العقد ، انضم إلى العلماء الألمان فى مصر ، البروفيسور **يوجين سانجر** ، مدير معهد دراسات الدفع النفاث فى شتوتجارت ، الذى كان يقوم منذ وقت طويل ببحوث فى مجال الصواريخ .. وهو أحد أوائل رواد صناعة الصواريخ المستخدمة فى إطلاق أقمار صناعية تدور حول الأرض .

وجاء معه إلى القاهرة ١٢ مهندسا وعالما من ألمع تلاميذه فى معهد شتوتجارت .

وعندما سقط حكم **بيرون** فى الأرجنتين ، طلب عدد من العلماء الألمان الذين يعيشون هناك اللجوء إلى مصر .. وكان منهم د . **كيرت فانك** ، الذى شارك فيما بعد فى صنع أول طائرة نفاثة مقاتلة فى الهند .

وطبقا للعقد مع مؤسسة ويلى شميت ، أُنشىء مصنع ٣٦ ـــ حربى لتصنيع أجزاء الطائرة الأسرع من الصوت .

لكن ...

سرعان ما تعرضت هذه المؤسسة إلى ضغوط هائلة من المخابرات الأمريكية ، والإسرائيلية ، جعلتها تفسخ العقد . وتسحب العاملين معها .. ومن ثم .. راح المصريون يبحثون عن مواهب بديلة فى ألمانيا وسويسرا .

□ □ □

وحسب معلومات **ريتشارد ديكون** (ضابط المخابرات البريطانية السابق ، وثيق الصلة بالموساد) فإن المصريين ــ بمساعدة الألمان ــ قطعوا شوطا كبيرا فى مجال تصنيع الأسلحة المتطورة .

فقد اقتربوا من صناعة الطائرة النفاثة ، بمساعدة الخبير الألمانى **فرديناند براندنر** ، الذى قاد فريق العلماء الألمانى فى مصنع الطائرات بحلوان .. لإنتاج المحرك إتش ــ ايه ــ ٣٠٠ .

وأجروا عدة تجارب على القنابل الجرثومية بمساعدة كيماوية ألمانية شابة ، عاشت فى القاهرة ، عملت مع د . **هانز ايسليه** .

وابتكروا طريقة لحقن الصواريخ بالفضلات الذرية (كوبالت ٦٠ ، وسترونيتوم ٩٠) من خلال مشروع سُمى باسم أبيس .

وأعدوا كل ما يلزم إنتاج سلاح ذرى بسيط ، وأطلقوا على المشروع اسم كليوباترا .

وفكروا فى إنتاج زجاجات من غاز الأعصاب الذى يعرف باسم « تابون » .

وفى خريف سنة ١٩٦٠ ، بدأوا تجارب إطلاق الصواريخ فى الصحراء الغربية .. واستمرت التجارب حوالى السنتين .. وعندما نجحت ، أُطلق الصاروخ « القاهر » والصاروخ « الظافر » أمام مراسلى الصحافة العالمية ، فى الساعة التاسعة و٤٧ دقيقة من صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٢ ، من قاعدة فى غرب القاهرة .

كان مدى « القاهر » ٣٧٥ ميلا .

وكان مدى « الظافر » ١٧٥ ميلا .

وقد تمت عملية الإطلاق بنجاح أمام **جمال عبد الناصر** .. ومعظم الرجال الذين قاموا بالثورة .. وفى المنصة جلس رجل ألمانى ، يحمل الجنسية السويسرية ، فى هدوء ، جعل من الصعب تصور أنه وراء ما يحدث .. ولأن ملامحه ليست شرقية ، لم يدر بخلد من لا يعرفه أن اسمه **حسن كامل** .

ويكشف **محمود مراد** (فى كتابه جاسوس فى القاهرة) أن الاسم السرى للصاروخ المصرى كان « الأستاذ » .. وأن عدد الصواريخ التى أطلقت فى ذلك اليوم كان أربعة .. اثنان من كل طراز .. وأنه بعد نجاح الإطلاق ، حاصر مراسلو الصحافة العربية والأجنبية **جمال عبد الناصر** ، وانهالوا عليه بالأسئلة ، وعلامات الاستفهام والتعجب :

س : ما هو الغرض من صنع الصواريخ ؟.

جـ : **الغرض من صنع الصواريخ هو صنع الصواريخ !**

س : إلى أين يستطيع أن يصل الصاروخ ؟ .

جـ : **القاهر يمكن أن يصل إلى جنوب لبنان .**

س : هل هو متعدد المراحل أم هو ذو مرحلة واحدة ؟.

جـ : **لقد أطلقنا اليوم صواريخ مرحلة واحدة .. لكن من الممكن إطلاق القاهر والظافر معا فى صاروخ من مرحلتين .**

س : هل يصل الصاروخ إلى إسرائيل ؟

جـ : « **كل صاروخ وانتم طيبين** » ! ــ ص ٤٥ .

وحسب المصدر الأخير أيضا ... فإن رئاسة الأركان الإسرائيلية وضعت « خطة لتدمير قاعدة الصواريخ بما فيها ومن فيها معتمدة فى تنفيذها على القوات الجوية ، وعلى أساس أن تتسلل طائراتها لضرب القاعدة مع قيام باقى طائرات سلاح الطيران كله بالمعاونة للحماية والاستعداد لأى طارىء » ــ ص ٤٥ .

« كانت الخطة مجنونة وتعبر عن مدى الهوس الذى انتابها . وجرى التدريب بالفعل على تنفيذها الذى حُددت له ساعة صفر بعد أسابيع قليلة من إطلاق « الأستاذ » .. لكن تل أبيب تراجعت عن العملية فى المرحلة الأخيرة » ــ ص ٤٦ ، وفضلت عليها عمليات أخرى ، نفذتها بالفعل ، فيما بعد .

□ □ □

بعد إطلاق « الأستاذ » سافر **حسن كامل** للاستجمام فى جزيرة « سيلت » القريبة من الحدود الدنمركية ـــ الألمانية .. وهناك قضى وزوجته عدة أيام ، قررا بعدها السفر إلى دوسلدورف .. فاستأجرا طائرة خاصة .. لكن .. قبل الإقلاع بساعات ، حدث ما جعل **حسن كامل** يلغى رحلته .. فسافرت زوجته بمفردها ... وبعد إقلاع الطائرة بدقائق ... انفجرت فى الجو .

كانت هذه أولى عمليات التخريب التى قررت إسرائيل اللجوء إليها ، لتعطيل برنامج الصواريخ المصرى .

وقد صاحب هذه العمليات .. حملة دعائية ، صهيونية ، ضد النظام المصرى الذى يستخدم علماء نازيين .. وعلق **جمال عبد الناصر** على ذلك قائلا : « أنا مش فاهم يعنى إيه العلماء نازيين ، همه كل الألمان نازيين ! كل العلماء قبل الحرب كانوا بيشتغلوا فى ألمانيا ، والآن يعمل معظمهم فى الدول الكبرى فهل هؤلاء أيضا نازيون ؟ أم أن من يعمل معنا فقط هو النازى ؟ إن تعبير كلمة نازية أصبح للدس . وأنا شفت العلماء الموجودين هنا وهم علماء لا يوجد عندهم تعصب ، وهم متمسكون بصفتهم كعلماء فقط ولا يتحدثون فى أى شىء إلا عملهم .. إن كلمة النازية استعملت فى الدعاية الإسرائيلية ، واستحوذت على عقول الكثيرين ، وليس من المعقول أن نستخدمها ضد أى ألمانى » ... (مراد ـــ المصدر السابق ـــ ٢٩ » .

ومن ناحية أخرى حذرت واشنطن **جمال عبد الناصر** من الاستمرار فى برنامج الصواريخ ... لكنه لم يستسلم لذلك .

وفى ١٠ سبتمبر ١٩٦٢ ، تقدمت السيدة (**فراو**) **كروج** إلى شرطة ميونخ ببلاغ عن فقد زوجها (**هير**) **هانز** .. مدير مكتب شركة إنترا الموجود فى شارع شيلر .

وشركة إنترا شركة تجارية نشاطها الرئيسى بيع وشراء المعدات الإلكترونية ومحركات الصواريخ .

ويقول **ديكون** :

إن **هانز كروج** باع للمصريين هذه البضاعة بوفرة .

وثبت من تحريات الشرطة أنه شُوهد فى اليوم نفسه ، يغادر مكتبه فى الشركة مع رجل آخر ، اتضح فيما بعد أنه إسرائيلى .

« وبعد ٤٨ ساعة وُجدت سيارته مهجورة فى مكان ناء خارج المدينة ، وسرت شائعات تقول إنه أُختطف » .

وهكذا ... واصل الإسرائيليون الإرهاب .

□ □ □

فى ٢٧ نوفمبر من تلك السنة .. وقع الحادث الثالث .

كان الهدف البروفيسور **فولفجانج بيلز** .. أحد العلماء الألمان فى مصر .. وكان قد حل محل البروفيسور **يوجين سانجر** .

فى ذلك اليوم فتحت سكرتيرته الحسناء **هانيلور ويندى** طردا باسمه ، مرسلا من محام فى هامبورج ... إنها فعلت ذلك بحسن نية ودون إحساس بالخوف ولا الغدر .. فكان أن انفجر الطرد .. فى وجهها .. فشوهه .. وشوه رقبتها وصدرها ويديها .

كان هذا الطرد هو الأول فى سلسلة الرسائل الملغومة التى أرسلتها المخابرات الإسرائيلية إلى العلماء الألمان فى مصر .

ففى اليوم التالى وصل طرد آخر .. عبارة عن صندوق من رقائق الخشب .. جاء من شتوتجارت جوا .. ومرسل من مكتبة هناك .. وفيه ٤ كتب أشبه بالكتالوجات .. ما كادت تُفتح ـــ بواسطة لجنة خاصة من المصريين ـــ حتى انفجرت فى أعضائها .. فمات خمسة .. وجرح وأصيب تسعة .

وبعد أيام وصل طرد ملغوم ثالث من هامبورج ، مرسل إلى د . **بول جيركه** فى القاهرة .. كان يحوى عدة كتب .. لكن .. خبراء المفرقعات أبطلوا مفعوله .

كان المقصود من هذه الرسائل التى تحمل الموت معها هو إفزاع العلماء الألمان لإجبارهم على ترك مصر .. وإلا كان الموت لهم .

لم تشر السلطات المصرية إلى هذه الحوادث طوال خمسة شهور .. وكانت الإشارة بعد ذلك عابرة فى حديث صحفى أدلى به **جمال عبد الناصر** لجريدة غير مصرية .

لكن ... من المؤكد ــ كما يضيف **ديكون** ــ أن المخابرات المصرية راحت تتحرى الأمر فى مصر وألمانيا .. وجاءت بما يؤكد أن « أسر العلماء الألمان تلقوا مخابرات هاتفية ــ لم يعلن أصحابها عن أنفسهم ــ تحذرهم من أن عملا ما سيتخذ ضدهم إذا لم يغادر الفنيون وخبراء الصواريخ مصر » .

□ □ □

فى فبراير ١٩٦٣ ، غادر خبير تركيب الصواريخ د . **هانز كلاينفاختر** القاهرة فى زيارة قصيرة إلى ألمانيا .. « حيث كان لا يزال يحتفظ بمعمل ابحاثه فى مدينة لوراخ القريبة من الحدود السويسرية » .

وذات يوم هناك ..

« وبينما كان يقود سيارته فى زقاق ضيق على مقربة من بيته ، انحرفت فجأة ، وعن عمد سيارة أمامه أرغمته على التوقف » .. كان فى السيارة ثلاثه أشخاص ، نزل واحد منهم ، وتقدم إليه ، والزقاق خالٍ من البشر ، وتقدم منه .. لم يشعر د . **كلاينفاختر** بالارتياح لمنظره .. « فقد بدا أن ثمة شيئا شريرا فيه » .. اما الاثنان الآخران فقد بقيا فى السيارة « لا يتكلمان » .

قال له الرجل :

ــ هل تعرف أين يقيم د . **شنكر** ؟

كان السؤال بريئا .. لكن الغرض منه لم يكن كذلك .. فقد كان الغرض دفعه إلى التفكير بعيدا .. ولم تمر سوى ثوان ، وقبل أن يتفوه بكلمة ، حتى أخرج الرجل مسدسا بكاتم للصوت ، وضغط على الزناد .

كان العالم الألمانى محظوظا .. إذ حطمت الرصاصة زجاج السيارة الأمامى .. غير أنها لم تصبه بأى أذى ، لأنها دُفنت فى تلفيحة شتوية سميكة كان يلف بها رقبته .

وحسب إضافة **ديكون** :

أسرع الجانى إلى سيارته التى انطلقت على الفور .. وقد وجدتها الشرطة فيما بعد مهجورة على مسافة قصيرة من مكان الحادث .

وأغلب الظن أن الرجال الثلاثة انطلقوا فى سيارة أخرى ، عبرت بهم الحدود السويسرية .

وكان الشيء الوحيد الذى خلفوه وراءهم فى السيارة الأولى جواز سفر مصرى مزور باسم **سمير على** .. قيل إنه ضابط طيار .. وقيل إنه ضابط مخابرات .. وكان الهدف إلقاء ظلال الشك على المصريين .. لكن .. بدا ذلك الأمر ساذجا .. فلم يصدق أحد أن المصريين يمكن أن يفكروا فى قتله .. فهو لم يكن على خلاف معهم .. كما أن **سمير على** كان فى القاهرة .

وحسب مصادر **محمود مراد** ، تسلم د . **كلاينفاختر** ، فى اليوم التالى للحادث رسالة ، فتحها بسرعة ، فوجد فيها ورقة صغيرة ، ، بها عبارة واحدة فقط باللغة الفرنسية ترجمتها الحرفية : « **إن من يأكل اليهود جزاؤه الموت** » ــ ص ٦٦ .

وبعد أيام .. تلقى رسالة أخرى أكثر وضوحا .. جاء فيها : « ... إنه من الصعب الوقوف ضدنا ... وإنك إذا كنت قد أفلت من الموت فلا بد أنك ستموت ... إنك الآن تنتظر مصيرك !... إننا من القوة بحيث لا يصعب علينا أى هدف . إننا نسيطر على ثمانين فى المائة من صحافة الولايات المتحدة الأمريكية ــ أقوى صحافة فى الدنيا ــ ونسيطر على ٥٠ فى المائة من رأس المال العالمى ... إنك لن تنجو منا ... » ــ ص ٦٧ .

وبالرغم من ذلك ...

عاد د . **كلاينفاختر** إلى القاهرة !.

□ □ □

وفى مارس ١٩٦٣ ، تلقت ابنة العالم الألمانى **بول جيركه** ، واسمها **هايدى** ، مكالمة تليفونية فى بيت العائلة بمدينة فرايبورج ، حيث تعيش مع جدتها وشقيقها **رينيه** .

كانت المكالمة من عالم نمساوى اسمه **أوتو فرانك جوكليك** .. كان يعمل مع والدها فى القاهرة ، ثم ترك العمل بحجة الخوف على حياته .. مع أن السبب الحقيقى كان هو أن المخابرات الإسرائيلية أقنعته بأن يكون عميلا لها .. ودفعت له الكثير .

قال **جوكليك لهايدى** :

ـــ إن إجراء ما سيتخذ ضد والدك واسرته إذا لم يمتنع عن صنع أسلحة مصرية تستخدم ضد إسرائيل .

ثم ... طلب منها مقابلته فى فندق دراى كونيجين (الملوك الثلاثة) فى مدينة بال السويسرية .

واعتقدت الشرطة الألمانية ـــ التى كانت ترقب هذه الأحداث ـــ أن ثمة « عنصر تهديد يكمن وراء هذا اللقاء » .

وخاصة أن **جوكليك** يعمل فى خدمة الموساد .. وكان ضابطا سابقا فى الجيش الألمانى .. وهو عدو لدود للنازيين .. و « قدم قبل عام إلى الإسرائيليين معلومات عن العلماء الألمان فى مصر ، وقدم لهم أيضا تفاصيل دقيقة عن قنبلة سترونيتوم ـــ كوبالت » .

وطلبت جهات التحقيق القضائية فى فرايبورج من سلطات مدينة بال مراقبة وتسجيل الاجتماع بين **هايدى جيركه** وشقيقها .. و د . **جوكليك** ، وإسرائيلى آخر سيصحبه ، موظف فى وزارة التربية والثقافة فى تل أبيب (كما فى جواز سفره) اسمه **يوسف بن جال** .

استجابت السلطات السويسرية للطلب ، وحاصر رجال من الشرطة فى ملابس مدنية الفندق ، وأخفى ميكرفون فى مصباح قريب من الطاولة التى اتفق على أن تجلس عليها **هايدى جيركه** وشقيقها .

فى الموعد .. جاءت **هايدى ورينيه** وبعد دقائق انضم إليهما **جوكليك وبن جال** .

أكد **جوكليك** من جديد « أن **جيركه** إذا أصر على عمله مع المصريين ، سيتعرض لأخطار جسيمة » .

تساءلت **هايدى** :

ـــ وما الذى على أن أفعله ؟

قال **جوكليك** :

ـــ عليك أن تستخدمى تأثيرك على والدك لإقناعه بمغادرة مصر .

وأضاف **بن جال** :

ـــ بل وعليك أن تسافرى إليه ، وتعودى وهو معك .

نهضت **هايدى** منفعلة .

وغادر الرجلان الفندق .

ويكمل **ديكون** روايته ... فيقول : إنهما استقلا القطار إلى زيورخ .. وفى زيورخ تناولا الطعام والخمر فى مطعم قريب من البحيرة .. ثم .. عاد **جوكليك** إلى محطة القطارات .. حيث أُلقى القبض عليه .. بينما سار **بن جال** إلى القنصلية الإسرائيلية ، وقبل أن يدخلها أعتقل .

كان ذلك يوم ٢ مارس .

وفى يوم ١٥ مارس ، صدر قرار الاتهام الذى نص على أنهما « عميلان لدولة أجنبية قاما بتوجيه تهديدات إلى الآنسة **هايدى جيركه** » .

وقالت الصحف السويسرية : إن « **جوكليك** ، طُرد من قبل ، من سويسرا لأنه حاول دفع العلماء السويسريين على العمل من أجل إسرائيل » .

وفى ١٠ يونيو ، بدأت فى بال المحاكمة ، واتهم ممثل الادعاء **بن جال** بتهديد حرية الفرد (يقصد تهديد حرية **هايدى جيركه**) . واتهم **جوكليك** بأنه شريك له .. وبدخول البلاد دون سند قانونى .

وأدت المحاكمة ـــ وما صحبها من ضجة إعلامية ـــ إلى أزمة بين رئيس الموساد **إيسر هرئيل** ورئيس الحكومة **ديفيد بن جوريون** .. وأدت إلى تعثر العلاقات بين ألمانيا الغربية وإسرائيل ... ومن ثم .. أدت فيما بعد إلى استقالة **إيسر هرئيل** من منصبه .

لقد كشف ما حدث النشاطات غير الشرعية فى سويسرا وألمانيا الغربية .. واتضح أن الموساد وراء ذلك .. فقد كونت جمعية سرية اسمها الرمزى « جيديون » هى المسئولة عن الطرود الملغومة المرسلة إلى مصر .. ولم ينف **إيسر هرئيل ذلك** .. ولم يتبرأ من العملاء الذين وصل بهم الأمر إلى المحاكمة ، والفضيحة .

لكن ... فى الوقت نفسه .. استثمرت إسرائيل ما جرى فى دعاية مبالغ فيها جدا ضد أسلحة الدمار المصرية التى يصنعها **جمال عبد الناصر** بمعاونة العلماء الهتلريين .

فقال الدفاع :

ــ إن **فولفجانج بيلز** اشترى لحساب المصريين ٩٠٠ قطعة من آلية الصاروخ و٢٧٠٠ جيروسكوب (جهاز يستخدم لحفظ توازن الطائرة والصاروخ ولتحديد الاتجاه) وذلك لتجهيز ٩٠٠ صاروخ ، سينتجها مصنع ٣٣٣ ــ حربى .

وزعم **جوكليك** أنه ترك عمله فى مصر حينما شعر بأن « النية الواضحة للمصريين هى إبادة اليهود » .. وزعم أيضا أن د .**فولفجانج بيلز** عمل على تزويد الصواريخ المصرية بكبسولة تضم سترونتيوم وكوبالت مشعين .

ورد محامى **هايدى جيركه** :

ــ إن هذه المواد المشعة كمياتها قليلة وتستخدم لأغراض طبية فقط .

ويعترف **ديكون** بأن ضغوطا ما مُورست على سويسرا ، فخفت لهجة العداء للإسرائيليين ، « ومن الواضح أن توجيهات صدرت إلى المدعى العام فى المحاكمة بعدم تضخيم القضية » .

فكان أن حُكم على المتهمين بالسجن لمدة شهرين .

وهى مدة أقل من التى كانا قد قضياها فى السجن على ذمة القضية .

ويضيف :

« ومهما يكن من أمر فإن **بن جوريون** قدم الحاجة إلى علاقات أفضل مع ألمانيا على أية حجة أخرى مؤيدة أو معارضة لسياسة المخابرات الإسرائيلية . ولا ريب أن هذه العلاقات تحسنت ، فعلا ، وبذلت حكومة بون كل ما فى وسعها لثنى مواطنيها

عن قبول مراكز علمية فى مصر قد ترتبط بالمجهود العسكرى . ولكنها لم تستطع القيام بأكثر من الأمل فى إقناع مواطنيها بالعودة من مصر . وفعلت قلة من العلماء ذلك ، وربما خوفا من العمليات الانتقامية أكثر منه تنفيذا لأمر حكومة بون . على أن **بن جوريون** أشار إلى حقيقة أن بعض المعلومات ، عما كان يفعله العلماء الألمان ، كان مبالغا فيه جدا . وقد يكون غير صحيح . وتبنت وكالة المخابرات المركزية هذا الرأى . » .

« إذ أن ثمة قدرا كبيرا من الشك يحيط بقوة دليل جوكليك وشهادته ، فقد عمل أساسا فى مشروعات الأسلحة السرية فى مصر وادعى أنه قرر فقط ترك القاهرة لأنه أحس بذنب مروع ، لأنه متورط فى مؤامرة لتدمير إسرائيل . ولكنه ، ولا ريب قد سمع أن الموساد على استعداد لدفع مبالغ طائلة لهذا النوع من المعلومات . وفى محاكمته ثبت أنه كذب بالنسبة لمؤهلاته العلمية ، بل إن **إيسر هرئيل** نفسه قال إن معلومات **جوكليك** لم تكن سليمة » .

وسواء كانت المعلومات سليمة أم غير سليمة ، فإن إسرائيل تفضل القضاء على الخطر فى المهد .. فعلت ذلك مع مصر فى الستينات .. وفعلته مع العراق ، فيما بعد فى الثمانينات .. القانون واحد .. والأسلوب أيضاً .

وما أشبه الليلة بالبارحة ؟

□ □ □

□ ١٤ □
جاسوس الصواريخ .. والشمبانيا !

مثل ... جبال الجليد السابحة فى المحيطات .. تبدو العلاقات العربية ـــ الأوروبية ... أحيانا .

فما يظهر منها .. غير ما يختفى .

وما يقوله اللسان .. غير ما يكتمه القلب .

لقد وافقت فرنسا على مساعدة العراق نوويا .. وقبضت الثمن .. نفطا ونقدا .. لكنها .. راحت سرا تدعم إسرائيل ـــ بصورة أو بأخرى ـــ فى نسف كل شىء .. بما فى ذلك رأس الدكتور **يحيى المشد** .

وليس فى ذلك مفاجأة .

فقد فعلت ألمانيا الغربية الشىء نفسه تقريبا مع مصر .. فى الستينات .

قدمت العلماء لبناء وتصنيع الطائرات والصواريخ فى مصر ، وساعدت مخابراتها إسرائيل على نسف ذلك كله ، من خلال المساهمة فى تغطية ، وتدريب جاسوس الموساد ، المقيم فى القاهرة **فولفجانج لوتز** .

إن هذا الطراز المعقد من العلاقات ينطبق عليه المثل العام الذى يقول : « فى الوش مراية وفى القفا سلاية » ... أى ابتسامة فى الوجه وخنجر فى الظهر .

ولأن التاريخ عبرة .. فإننا نجد أنفسنا مضطرين لسرد تفاصيل قضية **لوتز** وخاصة أن هذه التفاصيل تكمل قصة الرسائل والطرود الملغومة التى ساهمت فى « تطفيش » العلماء الألمان .. وأدت ـــ مع اعتبارات أخرى ـــ إلى تعطيل البرنامج الطموح لتصنيع الطائرات والصواريخ المصرية .. وتحويل مصانعها إلى مصانع مدنية لإنتاج الأفران والسخانات والثلاجات المنزلية .. بالإضافة إلى أجهزه التكييف .

وهناك مصادر متنوعة لقضية **لوتز** .

ـــ كتاب « **الخدمة السرية الإسرائيلية** » تأليف ريتشارد ديكون .

ـــ كتاب « **الموساد ـــ جهاز المخابرات الإسرائيلية السرى ـــ قصص من الداخل** » تأليف دينيس إيزينبرج ، ويورى دان ، وإيلى لانداو .

ـــ كتاب « **عين تل أبيب** » تأليف ستيف إيتان .

ـــ كتاب « **جاسوس الشمبانيا** » تأليف فولف جانج لوتز نفسه .

ـــ كتاب « **الجنرال كان جاسوسا** » تأليف هانز كوهن وهيرمان زولينج .

وكتاب « **جاسوس فى القاهرة** » تأليف محمود مراد .

وتتفق هذه الكتب فى العمود الفقرى للرواية .. لكنها .. تختلف فى التفاصيل .. وفى زوايا الرؤية .. ونحن ننصح من يريد الإلمام بكافة الأبعاد أن يفتش عن هذه المصادر ، ويصل إليها .. حيث إننا سنختصر ما فى شباكنا من معلومات إلى ما يفيد فقط السياق العام لموضوعنا .. ذلك .. حتى لا نبتعد .. ولا نتوه عن هدفنا .. وحتى لا نُتهم بالتشتت .. أو نُوصف به .

□ □ □

ولد **لوتز** فى سنة ١٩٢١ .. فى مدينة مانهايم الألمانية .. على نهر الراين .. كان أبواه يعملان فى المسرح .. وقد ورث عنهما موهبة التمثيل والتقمص التى أفادته فى حرفة التجسس ، فيما بعد .

الأب كان مسيحيا .. والأم كانت يهودية .. لكن ذلك كان بالاسم فقط .. فالأدق أنهما كانا غير متدينين .. فلم يهتما بختانه .. وفيما بعد أفاده ذلك كثيرا كجاسوس .. حيث سهل عليه إثبات أنه لا يعمل لخدمة إسرائيل .

فى سن العاشرة تقريبا انفصل أبواه .. وتم طلاقهما فى سنة ١٩٣١ .. ووجدت الأم نفسها وحيدة .. فقيرة .. وخافت من تزايد النفوذ النازى المعادى لليهود .. فأخذت ابنها ـــ بعد سنتين ـــ وهاجرت به إلى فلسطين .

فى فلسطين التحق **لوتز** بمدرسة بن شيمان الزراعية ــ بالقرب من جنوب تل أبيب .. فعرف الكثير عن الخيول .. وعندما وصل إلى السادسة عشرة من عمره انضم إلى عصابة الهاجاناه .. حتى أصبح رقيبا .. وبهذه الصفة وبهذه الرتبة اشترك فى حرب ١٩٤٨ .

وهناك من يؤكد أنه انضم إلى الفيلق اليهودى فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية .. وأنه استُخدم لاستجواب الأسرى الألمان .. فى مصر .. فقد كان يجيد الألمانية والإنجليزية ، ثم .. عرف العربية والعبرية فى ذلك الوقت .

وهناك من يؤكد أنه فى حرب السويس ــ ١٩٥٦ ، قاد فيلقا للمشاة .. وكان برتبة ميجور .

وبعد الحرب لفت أنظار الموساد إليه .. براعته اللغوية .. شكله الآرى .. وحبه للمغامرة .. فكان أن راحوا يراقبونه وفى أذهانهم أنه الشخص « **الذى يستطيع أن يتسلل إلى العلماء الألمان فى مصر ، ويبعث بتقارير عما يفعلون إلى تل أبيب** » .

لقد كان المطلوب إرسال جاسوس إلى القاهرة ، يأخذ صفة ضابط نازى سابق ، تُفتح له أبواب العلماء الألمان هناك .

وكان **لوتز** مناسبا بالفعل .

وعند اختياره أُرسل إلى معسكر تدريب خاص فى بافاريا ، باتفاق خاص بين الموساد والجنرال **جيهلن** مدير المخابرات الألمانية الذى زوده بأوراق تساعد على تخفيه ، وساهم كثيرا فى قصة تغطيته .

لقد دربه رجال **جيهلن** على أعمال التجسس .. وأعادوه إلى « جلده الألمانى » .. وتقرر أن ينزل مصر على أنه ثرى خبير فى الخيول .

وفى ٧ يناير ١٩٦١ وصل الإسكندرية بالباخرة أوزونيا .. ثم .. سافر إلى القاهرة .. وأقام كسائح فى فندق بحى جاردن سيتى لعدة شهور .

كان عليه فقط جس النبض .. والتعرف على صفوة المجتمع .. وأن يكون عميلا كامنا .. خاملا .. أى لا ينشط إلا فى الوقت المناسب .. ولايتحرك إلا بأمر مباشر .

وقدم نفسه على أنه مليونير ، نازى ، يهوى الخيول ، ويفهم جيدا فى سلالاتها .. ومن ثم .. تردد كثيرا على نادى الفروسية .. وهناك كان من السهل عليه أن يتعرف على ضباط وأثرياء وألمان من أنصار **هتلر** .

وقد أنفق ببذخ .. ولم يكن يكف عن إقامة الحفلات ، وتقديم الهدايا ، والخدمات .

ويقال إنه تعرف على **أنور السادات** .

ويقال **حسين الشافعى** أيضا .

ويقال بعض الضباط الكبار كذلك .

لكن .. ذلك ، كان ببراءة ، لا يجوز أن تتوافر ـــ على هذا النحو ـــ فى أمثال هؤلاء .

وبعد فترة .. تتراوح تقديراتها بين خمسة أسابيع وستة شهور ، ترك القاهرة ، وسافر إلى بون .. ومنها إلى باريس .. ومنها إلى تل أبيب .. وهناك أثنوا عليه .. واعتمدوه كجاسوس مقيم فى مصر ..

ومع أنه متزوج ، وله أطفال .. فقد قرر الموساد أن يتزوج مرة أخرى .. إن زوجته يسهل الشك فى أنها ألمانية .. والزوجة ضرورة للجاسوس المقيم ، خاصة فى مجتمع شرقى ، محافظ مثل المجتمع المصرى .. فكان أن قبلت الزوجة أن يتزوج غيرها .. متجاوزين فى ذلك الشريعة اليهودية .. فشريعة الموساد أقوى من تعاليم التوراة .

حمل **لوتز** كل أدوات الجاسوس ، وسافر إلى باريس .. ومنها إلى ميونخ .. وفى رحلة القطار إلى ميونخ .. كانت أمامه امرأة ألمانية جذابة .. تعرف عليها بعد دقائق .. وتعشيا معا فى ميونخ .. وعلى أنغام التانجو صارحها بحبه .. وقضت الليلة معه فى الفراش .. وفى الصباح عرض عليها الزواج .. وبعد أن تزوجا صارحها بحقيقة مهمته فى مصر .. فلم تعارض .. وقررت أن تساعده .. وأن تفعل المستحيل من أجله .

وهكذا ... أصبحت **فالترادو نيومان مارتا** زوجة وجاسوسة معا .

لقد كانت امرأة ضائعة .. تقف على السلالم بين الخدمة فى البيوت والتنقل كل ليلة بين أحضان الرجال .. وهى فقيرة .. مهزومة .. تعيش فى أسرة لا تفيق من الخمر .. وتبحث عن ثمن رغيف الخبز .. ومن ثم فكل شيء عندها مباح .. الدعارة .. التجسس .. حرق اليهود .. خدمة الموساد .. سقوط النازية .. والعمل مع الصهيونية .

تزوج **لوتز ومارتا** فى برلين فى يونيو ١٩٦١ .

وفى ٣٠ يوليو عاد إلى القاهرة بمفرده .. شاحنا سيارة فولكس فاجن .. وأدوات ركوب الخيل .. مُخبئاً فيها جهاز الإرسال .. وأدوات الكتابة بالحبر السرى .

واستأجر شقة فى الزمالك .

وبعد أسبوع وصلت **فراو لوتز** .. السيدة **مارتا** .

ولم يضيعا ... وقتا .

وخلال شهور كانت جسورهما تمتد إلى شخصيات مهمة .. مصرية وألمانية ، لا جدال فى أنها قدمت لهما الكثير .

وأغلب الظن أنه لا أحد كان يشك فيهما .. بل .. إن هناك من يقول إن ضابطا كبيرا فى الجيش ، حذرهما من التعامل ، مع ألمانى اسمه **جيرهارد بوش** للشك فى أنه جاسوس لحكومة بون !.

ونجح **لوتز ومارتا** فى أن يوثقا علاقتهما بمعظم العلماء الألمان الذين يعملون فى كافة مشاريع الأسلحة المتطورة .

وسهل ذلك معرفة الكثير .. وإرساله على عنوان فى هامبورج .. أو باللاسلكى مباشرة .. مقابل راتب شهرى ٨٥٠ دولارا ، بخلاف المصاريف التى كانت باهظة .. والتى شملت فواتير صناديق الشمبانيا التى كان يحل بها عقدة الألسنة .. وكانت السبب فى تسميته .. « جاسوس الشمبانيا » .

ولا جدال فى أنه هو الذى حصل على عناوين الخبراء الألمان التى أُرسلت عليها الطرود الملغومة .. فى القاهرة .. ورسائل التهديد فى ألمانيا والنمسا .

وفى أغسطس ١٩٦٢ ، تلقى **لوتز** رسالة عاجلة تطلب منه السفر إلى باريس لحضور أحد الاجتماعات مع رؤسائه فى الموساد .. فسافر إلى فيينا .. ومنها إلى ميونخ .. ومنها إلى باريس .

وبمجرد أن بدأ الاجتماع ، حتى فوجىء بلوم حاد ، أقرب للماء المغلى ، يُصب فوق رأسه .. لأنه « لم يهتم بقيام المصريين بتجربة ناجحة لإطلاق صاروخ أرض — أرض ، الأمر الذى سجلته وكالة المخابرات المركزية ، وسمع الإسرئيليون عن هذه التجربة من الأمريكيين وكانوا فى غاية الضيق . فمع وجود عميل باهظ الثمن فى القاهرة ، لم يكن ينبغى معرفة مثل هذه الأمور من مصادر أخرى » .

وقال له ضابط الموساد المسئول عنه :

« نحن لا نشكو من النفقات ولكننا نريد معلومات أكثر منك . وخاصة فيما يتعلق بالصواريخ . يجب أن نحصل على المزيد من التفاصيل .. وفورا .. لقد أصبحت فى وضع لا بأس به ، والآن لابد أن تأتينا بنتائج سريعة جدا » .

وفى تلك الرحلة تلقى **لوتز** تدريبا أرقى على مفاتيح شفرة جديدة ، وعلى الدق على جهاز لاسلكى حديث ، وعلى استخدام القنابل الموقوتة .

وقبل أن يعود إلى القاهرة تسلم ١٥ ألف دولار .

فى القاهرة هذه المرة تنقل فى إقامته بين الهرم ومصر الجديدة .. وراح بأظافره وأسنانه يجمع كل المعلومات عن الصواريخ .. حتى أنه مع صعوبة المهمة ، غامر بدخول قاعدة للصواريخ .. وكأنه أخطأ أو ضل الطريق .. وكان من الممكن ان يُقتل .. أو يُسجن .. لكنه سلم .

وعندما انفجرت الطرود والرسائل الملغومة كان عليه أن يرسل ردود الفعل أولا بأول ... لكن ... عندما أقيل **إيسر هرئيل** من رئاسة الموساد .. كان لابد أن يسافر إلى ألمانيا ليعرف تعليمات خليفته **مائير عاميت** .

لقد بدأت مرحلة جديدة فى مهمته .

□ □ □

كان على **لوتز** أن ينتقل من مرحلة التصنت إلى مرحلة التفجير ... تفجير العلماء الألمان .

عليه أن يرسل من الداخل ما كان يأتى لهم من الخارج .

لقد سافر هذه المرة فى يناير ١٩٦٤ ، وعاد بعد حوالى الشهرين .. وفى الجمارك لم يتصور أحد أن قرص الجبن الذى يحمله .. فى داخله لفة متفجرات قوية .. تكفى لنسف صالة كبار الزوار التى كان يدخل منها !! .

وفى حقيبة ثياب زوجته كانت علبة بلاستيك .. فى داخلها ٣ قطع من صابون الحمام المعطر ، داخل كل منها متفجرات تكفى لقتل ١٠ رجال .

كان كل شىء جاهز لتفجير الألمان .. لكن .. كان لابد من التعليمات .. ولم تصل التعليمات .. وإنما وصلت إشارة استدعاء جديدة .. فسافر هو وزوجته فى يوليو من تلك السنة .. ليعرف أن أسلوب التفجير سيختلف .. لن يكون بمواد حارقة توضع فى بيوتهم وسياراتهم ، وإنما رسائل ملغومة تُرسل من داخل مصر .. بالإضافة إلى رسائل تهديد إذا لزم الأمر .

وفى يومى ٢١ و ٢٢ سبتمبر ، نفذ **لوتز** التعليمات وأرسل خطابات الموت إلى العلماء الألمان .. ومع أن الموت كان داخل مظاريف تحمل اسم البنك الأهلى المصرى ، فإنه لا أحد من العلماء الألمان فتحها ... وتحولت إلى خبراء المفرقعات .

لكن ... خطاب واحد انفجر فى مكتب بريد المعادى ، قبل أن يصل إلى صاحبه .. وكان الضحية وكيل المكتب الذى شوه الانفجار وجهه .

فشلت المحاولة .

فكان لابد من تكرارها .

وقرر **لوتز** إرسال هدايا الكريسماس للأهداف المطلوبة فى ديسمبر التالى .. وكانت الهدايا محشوة ببودرة الموت أيضا .. إلا أن شيئا ما جعله لا ينفذ خطته .. ومن ثم .. دفن الهدايا الملغومة بعيدا فى الصحراء وأصابته حالة من التوتر ... وعندما يحدث ذلك لجاسوس ، تكون نهايته قد أصبحت فى متناول اليد .

□ □ □

أغلب الظن أن ما جعل **لوتز** يغير خطته ، هو أن تحولا واضحا حدث فى السياسة الخارجية المصرية ، فى ذلك الوقت .. جعل ألمانيا الشرقية أقرب **لجمال عبد الناصر** من ألمانيا الغربية ... وكان الاتحاد السوفييتى وراء ذلك .

ووصل هذا التحول إلى الذروة عندما أُعلن عن زيارة الرئيس الألمانى ــ الشرقى **فالتر أولبريشت** إلى القاهرة ، فى ٢٤ فبراير ١٩٦٥ .

إن ذلك كان بمثابة اعتراف رسمى بألمانيا الشرقية .. كما أنه وضع العلماء الألمان فى حرج ، جعلهم يفضلون العودة إلى بلادهم .. يضاف إلى هذا ، أن **لوتز** كان يعامل معاملة حسنة باعتباره ألمانيا غربيا .. أما الآن فقد أصبح تحت المراقبة .

تجمد نشاط الجاسوس اليهودى الذى تصرف على أنه ضابط نازى سابق .. فراح يقضى الوقت فى اللهو .. والخمر .. والسفر .. ولأن مدير أمن مرسى مطروح اللواء **يوسف غراب** ، كان صديقا له ، فقد سافر ــ مع زوجته ووالديها اللذين كانا فى القاهرة ــ إليه .

وبينما هو هناك ، صدرت التعليمات بالقبض على أبرز أفراد الجالية الألمانية الغربية ، كنوع من التحفظ المؤقت قبل زيارة **أولبريشت** ... ولأنه كان نجم نجوم هذه الجالية ، فقد كان اسمه على رأس القائمة .

لم تجده الشرطة فى بيته ... فترقبوا عودته .

وفى ٢٢ فبراير ١٩٦٤ ، قبض عليه .. والمذهل أنه أعترف بأنه جاسوس من تلقاء نفسه .. وقام ليحضر ما أجهز عليه ... جهاز اللاسلكى الذى كان يحتفظ به فى ميزان الحمام .. قطع الصابون المحشوة متفجرات ... وحوالى ٧٥ ألف دولار على شكل عملات نقدية صغيرة .

وأمام المحققين ، سعى **لوتز** ــ بكل ما يملك من مكر ــ إلى إنقاذ زوجته .. وإلى التأكيد على أنه ألمانى الجنسية .. مسيحى الديانة .. ليس إسرائيليا .. ولا يهوديا .. فهذا يخفف عنه الكثير .

ولأنه لم يختن .. فقد بدت روايته مقبولة .

كما أنه لم يتردد فى أن يقدم الكثير للمخابرات المصرية .

كذلك ... فإنه قبل الظهور على شاشة التليفزيون .. ليعلن ندمه .. على ما قام به .. وقال : « **والآن فقط أدركت الضرر الذى ارتكبته بدافع الجشع للمال** » .. ووصف الإسرائيليين الذين جندوه بأنهم مثل **شيلوك** فى مسرحية شكسبير « تاجر البندقية » ... فقد طالبوه بمائة ضعف ما قدموه .

لكن ...

عندما بدأت المحاكمة ، فوجئت السلطات المصرية بخطاب أرسله محام ألمانى من ميونخ يدعى **ألفريد سيدل** .. كان موكلا عن أسرة عالم من العلماء الألمان .. تعرض لخطابات الموساد الملغومة .. وقال المحامى فى خطابه ما كشف حقيقة **لوتز** ، وأكد أنه مواطن إسرائيلى ، وسرد تاريخ حياته بدقة .

وكاد الخطاب أن يقضى عليه تماما .

غير أنه تماسك ، وقال : « **إن هناك محاولة من جانب الرجال الذين يمثلون العلماء الألمان للتأثير على المصريين حتى يحكموا علىّ بالإعدام** » .

□□□

فى ٢١ أغسطس ١٩٦٥ حُكم على **لوتز** بالسجن لمدة ٢٥ سنة أشغال شاقة ، وبغرامة تزيد عن ٣٢ ألف جنيه .. أما زوجته فكان مصيرها ٣ سنوات سجن وألف جنيه غرامة .

ولم يمكثا فى السجن طويلا .. فبعد حرب يونيو ، بادلتهما إسرائيل — مع جواسيس آخرين — بأسرى الحرب المصريين .

ففى ٤ فبراير ١٩٦٨ غادرا مطار القاهرة على طائرة لوفتهانزا الرحلة رقم ٦٤٧ المتجهة إلى ميونخ عن طريق أثينا .. لكنهما لم يكملا الرحلة .. فمن أثينا سافرا إلى لندن .. وبعد ٤٨ ساعة وصلوا تل أبيب « وهم يرتدون ثيابا جديدة اشتروها من لندن ، من محل **ماركس آند سبنسر** (اليهودى) فرع ماربل آرش .. وكانوا قد اختلطوا هناك بعشرات من الزبائن العرب » الذين يفضلون الشراء من ذلك المتجر المعروف بدعمه لإسرائيل .

خارج تل أبيب ، عاش **لوتز ومارتا** .. وقد عرف **لوتز** باسم **سوسى** .. وهى كلمة عبرية تعنى الحصان .. أما **مارتا** فلم تعش طويلا .. وبعد سنوات تعد على أصابع اليد الواحدة ... ماتت .

حزن عليها كثيرا .. ولم يشعر بالاستقرار بعدها ... فكان أن ترك إسرائيل ، وهاجر ـــ فى سنة ١٩٧٤ ـــ إلى الولايات المتحدة .. واستقر ـــ مع زوجته الإسرائيلية الجديدة ـــ فى كاليفورنيا .. وافتتح مع شخص آخر مكتب بوليس سرى خاص .. لكن المكتب فشل .. وفرت زوجة شريكه بأموال الشركة .

فى سنة ١٩٧٨ توجه إلى ألمانيا وفى جيبه ألف دولار فقط .. وحصل على عمل فى محل يبيع معدات صيد الأسماك .. ولم يعد قادرا على الإنفاق ببذخ كما تعود .. وبدلا من الشمبانيا كان يكتفى بالبيرة .

وبعد زيارة **السادات** للقدس تمنى أن يعود إلى مصر ليفتح مدرسة للتدريب على ركوب الخيل ... على النيل مباشرة .

لكنه .. سرعان ما قال لنفسه : « **لا .. لقد خدعتهم كثيرا .. وأشك فى أنهم سوف يغفرون لى على الإطلاق** » .

وكان يقصد بضمير الغائب ... المصريين .. طبعا !

□ □ □

□ ١٥ □
قراصنة اليورانيوم النقى !

فى أكتوبر ١٩٦٢ إلتقى **موشى ديان** ، **وأرنست برجمان** ، ورئيس الموساد **إيسر هرئيل** .

كان موضوع الاجتماع السرى .. كيفية الحصول على الكعك الأصفر .. أو اليورانيوم ؟

إن إنتاج إسرائيل لا يكفى .. كذلك فإن العالم يفرض شروطا صارمة لبيعه .. وتصديره .. وفرص الحصول عليه بطرق شرعية ... محدودة .. فما العمل ؟

فى الستينات كانت إسرائيل تنتج ١٠ أطنان من اليورانيوم .. وفى تقديرها .. يحتاج تشغيل مفاعل ديمونة ٢٤ طنا .. أى أنها فى حاجة إلى ١٤ طنا .

لم يكن المفاعل قد بدأ العمل .. لكن إسرائيل أرادت تأمين اليورانيوم قبل ذلك .. لتطمئن مقدما .. وكى تضمن استمرار برنامجها النووى .. وحتى لا تلفت النظر أو تثير الشبهات حولها إذا ما قررت الحصول عليه بالسرقة .

سأل **ديان** عن الكمية التى يحتاجها المفاعل .. كل عام .. وتلقى الرد .

وسأل عن مصير المشروع لو لم تحصل إسرائيل على اليورانيوم .. وتلقى الرد .

ثم ... كان أن قال :

« **إذا لم نحصل على اليورانيوم .. فيجب علينا أن نسرقه** » .

فكان أن شكل الموساد وحدة خاصة للقرصنة النووية مهمتها اقتناص اليورانيوم .

وحسب د . **فولات** وضعت ثلاث خطط .. **الاولى** : اقتحام أحد مصانع اليورانيوم الخاصة فى الولايات المتحدة .. **والثانية** : الهجوم على سيارات تحمله .. **الثالثة** : إقناع إحدى شركات اليورانيوم بتحويل بعض شحناتها إلى إسرائيل .

وصدق المدير الجديد للموساد **مائير عاميت** على الخطة الأخيرة .

الشركة التى وقع عليها الاختيار بدأت أعمالها التجارية فى مدينة أبولو بولاية بنسلفانيا ، فى أوائل سنة ١٩٥٧ ، وهى تنتج وتبيع المواد والمعدات النووية والنظائر المشعة .. وبمرور الوقت تخصصت أكثر فأكثر فى الوقود اليورانيوم .

وتسمى الشركة باسم شركة المواد والمعدات النووية .. ورئيس الشركة ومؤسسها د . **زلمان موردخاى شابيرو** .. يهودى أمريكى .. ولد فى سنة ١٩٢٢ بولاية أوهايو .. صهيونى متطرف .. يؤمن كل الإيمان بأن اليهود يجب أن تكون لهم دولة .

درس الكيمياء .. عمل فى شركة ستاندر أويل أوف إنديانا .. انضم إلى المنظمة الصهيونية الأمريكية .. وأصبح عضوا فى الجمعية التكنولوجية الأمريكية التى تعمل بالتعاون مع معهد التكنولوجيا الإسرائيلى فى حيفا .

فى عام ١٩٤٩ كلفته شركة وستنجهاوس بتركيب مفاعل نووى فى الغواصة الأمريكية الذرية نوتيلاس .. بعد نجاحه فى المهمة ترك الشركة ليعمل فى معمل بيتس التابع للجنة الطاقة الذرية الأمريكية لمدة ٧ سنوات .. ثم .. كان أن أسس شركته المعروفة باسم « نوميك » .

ازدهرت أعمال الشركة وقفز دخلها من ٢٧ ألف دولار فى سنة ١٩٥٧ إلى ٢ مليون دولار فى سنة ١٩٦٠ .

وخلال تلك الفترة كلفته المنظمة الصهيونية بإقناع علماء الذرة اليهود بالرحيل إلى إسرائيل .. ونفذ التكليف ببراعة .

فى سنة ١٩٦١ لفتت لجنة الطاقة الذرية نظره إلى أن شركته لا تملك سيطرة كافية على المواد النووية المجازة منها والمملوكة للحكومة الأمريكية .. والمعنى أن هناك كميات من اليورانيوم قد تسربت بعيدا عن رقابة الشركة .. واكتفت اللجنة بتوقيع غرامة مالية عليها .

بعد اختيار الموساد لشركة نوميك أصبحت مستشارا فنيا للحكومة الإسرائيلية .. وأسس **شابيرو** شركة أخرى منبثقة من نوميك ، فى إسرائيل ، سُميت اختصارا « **إيزوراد** » .. ساهم فيها الإسرائيليون بنصف رأسمالها ، وكان نشاطها الظاهر حماية البرتقال والفراولة من الحشرات الضارة بواسطة الإشعاع .

وفى شركته .. وبيته بدأ **شابيرو** يستقبل ضيوفا إسرائيليين .. كان من بينهم عالم الذرة **باروخ كيناى** والملحق العلمى **افرايم لاهاف** .. وكانا من رجال الموساد .. وكان هو يعرف ذلك .

سلم **شابيرو** للموساد حوالى ٢٠٠ كيلوجرام من اليورانيوم النقى .. على دفعات .. نقلت جوا إلى اسرائيل .. وكانت مخصصة لشركة وستنجهاوس التى أبلغت لجنة الطاقة الذرية .. وفى التحقيق مع **شابيرو** ادعى أنه دفنها .. ولكن .. ثبت أن مادُفن كان جزءا ضئيلا فقط .. فاكتفت اللجنة بتغريمه مليون و١٣٤ ألف و٨٠٠ دولار عن اليورانيوم المفقود .

وبعد يوم واحد من التحقيق ترك المسئول عنه عمله فى لجنة الطاقة وأصبح موظفا فى الشركة .. وحققت وزارة العدل فى القضية وقررت أن **شابيرو** لا يستحق إقامة الدعوى .. وشلت يد المباحث الفيدرالية .. ولم يوقف التعامل مع الشركة بل اختارتها لجنة الطاقة لتصبح فى المقدمة ومنحتها أكبر عقد على الإطلاق — لمعالجة وقود البلوتونيوم — حصلت عليه أية شركة أمريكية خاصة ، ٢٩٠٠ كيلوجرام على امتداد ٣ سنوات .

ويتساءل **ستيفن جرين** : « **ما الذى كان يحدث ؟ أيعقل أن تكون لجنة الطاقة الذرية متواطئة ؟ وما السبب فى تسليم الشركة كل هذه الكمية الجديدة من المواد الاستراتيجية ، بينما لم يُعرف مصير الكميات السابقة ؟ أين كان مكتب التحقيقات الفيدرالية ؟ لماذا لم تُحل الشركة إلى القضاء ؟** » .

ويجيب جرين :

« أن الإجابة على هذه الأسئلة تكمن على ما يبدو فى علاقات الشركة الخارجية » .. يقصد علاقاتها بإسرائيل .

وفيما بعد .. فى سنة ١٩٦٨ استنتجت وكالة المخابرات المركزية « أن ثمة برنامجا للأسلحة النووية فى مفاعل ديمونة قد بلغ مراحل متقدمة فى تطوره » .. وتمكنت « من رصد بقايا اليورانيوم المفقود فى هذا المفاعل » ... فكان ان استعادت إلى الذهن فضائح شركة نوميك ، وطلبت من مكتب التحقيق الفيدرالى مراقبة د .**شابيرو** ..

وحسب وثائق الوكالة التى انفرد بنشرها **ستيفن جرين** ، فإن الشركة **« قد تعرضت** لخسائر فى المواد النووية لا يمكن تفسيرها » .. وأنها « فى الموقف ذاته فقدت كميات أخرى من اليورانيوم أرسلتها إلى إسرائيل فى وحدات إشعاع الطعام التى شُحنت إلى هناك » .

ووضع مكتب التحقيق الفيدرالى جهازا للتصنت على تليفون د .**شابيرو** .. « فاكتشف أن الرجل يستخدم هاتفا له رموز سرية للاتصال المباشر بمكتب الملحق التجارى الإسرائيلى فى قنصلية إسرائيل بنيويورك . وكان أيضا يتنقل باستمرار داخل الولايات المتحدة لتجنيد علماء يهود للعيش والعمل فى ديمونة » .

وفى ١٨ فبراير ١٩٦٩ ، قرر **إدجار هوفر** ، مدير مكتب التحقيق الفيدرالى ، وضع كل ما تجمع لديه من معلومات وتحريات فى تقرير ــ من ٥٦ صفحة ــ أرسله إلى مدير الأمن فى لجنة الطاقة الذرية **وليم رايلى** وأوصى فيه بإحاله د . **شابيرو** إلى القضاء لتلقى عقوبة الموت ــ حسب القانون ــ لأنه انتهك دستور لجنة الطاقة الذرية « بقصد جلب المنفعة لدولة أجنبية » .

الصمت العميق كان رد لجنة الطاقة الذرية الوحيد ... وفى أغسطس التالى أفادت بأنها « لا تفكر فى اتخاذ أى إجراء آخر بشأن الموضوع فى الوقت الحاضر » ... وقد كان .

وأبلغ المدعى العام **جون ميتشل** المخابرات الأمريكية بأن وزارة العدل طوت الملف .. وأغلقت القضية .. تماما .

لكن ... قبل أن ينتهى الموضوع على هذا النحو .. كانت المخابرات الإسرائيلية قد بدأت عملية قرصنة أخرى .. أشد لسرقة اليورانيوم .. بكميات أكبر .. من أوروبا .

وتعرف هذه العملية باسم عملية الرصاص .. أو عملية بلومبات .. والاسم الأخير كان أيضا اسم أهم كتاب صدر عنها فى لندن سنة ١٩٧٧ ، لثلاثة صحافيين ، هم **آلان دافينورت** ، و**بول إيدى** ، و**بيتر جايلمان** .. وهناك تفاصيل أخرى عن العملية فى كتاب د . **إيريش فولات** (عين داود) وفى كتاب (الموساد من الداخل) **لدينيس ايزنبرج ويورى دان وايلى لاندو** .. وواحد من المؤلفين ـــ هو **يورى دان** اشترك فى تنفيذ العملية .

تتلخص العملية فى سرقة ٢٠٠ طن من أكسيد اليورانيوم بعيدا عن رقابة المجتمع الأوروبى .. وقد خطط العملية وأشرف على تنفيذها مدير الموساد الجنرال **مائير عاميت** .. الذى عرف أن جمعية المعادن فى بروكسل . تريد بيع كميات كبيرة من اليورانيوم . حصلت عليها من إحدى الشركات المنتجة لهذا المعدن الثمين فى الكونغو .. وتوجد فى مخازن قرية قريبة من مدينة انتويرب .. عاصمة الألماس المصقول والخام فى العالم .

ولأن القوانين تحرم بيعها لإسرائيل ، فكان لابد من أن تشتريها بواسطة شركة لها الحق فى ذلك .. ثم .. تهربها إلى إسرائيل .

الشركة التى وقع عليها الاختيار اسمها شركة « أسمرة » للكيماويات .. وصاحبها ضابط سابق فى الجيش النازى اسمه **شولزن** .. لكن .. إسرائيل التى كانت لا تزال تطارد النازيين تغاضت عن هذا .. فالمصالح قبل المبادىء .. والمستقبل أهم من تصفية حسابات الماضى .

وكان شريك **هربرت شولزن** ضابطا نازيا سابقا اسمه **هربرت شارف** .. وقد أسسا الشركة فى سنة ١٩٥٢ ، وأطلقا عليها أسمرة لأنهما عملا في مدينة أسمرة معا .. قبل سنوات .. واختارا مدينة فيسبادن مقرا لها .. أما نشاط الشركة فكان فى البداية تعبئة الصابون السائل ..

ثم أصبح بيع الأحماض التى تزيل التلوث الإشعاعى والكيميائى .. ونجحت الشركة فى عقد صفقات مغرية مع قواعد الجيش الأمريكى فى ألمانيا الغربية .. وقامت بصفقات مريبة مع إسرائيل .. ليس لتصدير الأحماض وإنما لتزويدها بآلات التصوير الجوى التى تعمل بالأشعة تحت الحمراء .. وكان نجاحها فى مثل هذه الصفقات يعنى أنها أصبحت صديقا حميما لإسرائيل ، يمكن الاعتماد عليه .. وهكذا وافقت أسمرة على القيام بشراء ٢٠٠ طن يورانيوم لإسرائيل ، قيمتها ٣,٧ مليون دولار وكانت صفقة العمر بالنسبة للطرفين .

بررت أسمرة حصولها على اليورانيوم بأنها تزمع البدء فى صناعة أشياء لاغنى لها عن اليورانيوم .. كوسيط فى التفاعلات الكيماوية .. لكنها أضافت فى تبريرها أن اليورانيوم يجب إخضاعه لعمليات كيماوية معقدة قبل أن تستخدمه .. ولأنها لا تملك الأجهزة اللازمة ، فقد اقترحت أن تقوم بذلك شركة أخرى فى المغرب .. وكان المقصود خروج اليورانيوم من بلجيكا إلى عرض المحيط .. ليسهل الحصول عليه .. كما أن اختيار المغرب يبعد الشك عن إسرائيل .. فهى دولة عربية .. واختفاء الحمولة فى الطريق يحول التهمة إليها .. أو إلى العرب عموما .

لأسباب ــ لا تهمنا ــ تغيرت الخطة ، وقرر **شولزن** اختيار شركة فى ميلانو ، تسمى سكايا بدلا من شركة فى الدار البيضاء .. ولم يتردد صاحب سكايا واسمه **فرانسيسكو سيرتوريو** فى قبول العرض برغم أن شركته لم يكن لها علاقة باليورانيوم . وليس فى استطاعتها إجراء عملية التحويل الكيميائى المطلوب .. ولكن .. كان المقابل ١٢٠ ألف دولار .

أصبح كل شىء مبررا لخروج الشحنة إلى عرض البحر .

لكن .. من ينقلها .. وكيف تصل إلى إسرائيل ؟ .

سُجلت فى ليبريا شركة ملاحة اسمها بيسكاين .. فى ساعات قليلة .. من أجل نقل هذه الشحنة ... فقط .. سنعرف فيما بعد أنها جزء من الخطة .

وفى نهاية ١٩٦٨ اشترت بيسكاين سفينة شحن ألمانية . بنيت سنة ١٩٥٥ ، سرعتها ١٢,٥ عقدة ، واسمها شيرزبرج ، وقدر ثمنها بحوالى ٤٠٠ ألف دولار .

أضيف حرف « أ » لاسم السفينة الأصلى .. وتغيرت بعض معالمها .. وسُجلت فى ألمانيا الغربية لتبحر تحت الراية البحرية الرخيصة .. راية ليبريا .

أبحرت السفينة إلى روتردام ، وهناك تغير طاقمها . واستبدل بآخر ، بقيادة القبطان **بيتر بارو** .. وبينما السفينة تغادر روتردام ، كانت شحنات اليورانيوم ــ فى انتويرب ــ تعبأ فى ٥٦٠ وعاء معدنيا سعة كل منها ٢٠٠ لتر .. كتب عليها كلمة بلومبات .. أو رصاص .

لم يكن قرار الإفراج عن اليورانيوم سهلا .. فهيئة اليورتوم (الهيئة الأوروبية للطاقة) لم توافق على بيع الشحنة لأسمرة إلا بعد أن تدخلت قوى سياسية عليا لإرخاء الحبل .. وكُشف فيما بعد أن على رأس هذه القوى د . **هنرى كيسنجر** (وزير الخارجية الأمريكى ، الألمانى الأصل ، اليهودى الديانة) .. فحسب ما ذكرته مجلة « تايم » عند كشف الفضيحة « اعتمدت إسرائيل فى هذه العملية على المستشار **كيسنجر** الذى أكد أن باستطاعة إسرائيل شراء اليورانيوم تحت غطاء من حكومة ألمانيا الغربية مقابل السماح للأخيرة بالاطلاع على آخر ما توصلت إليه إسرائيل فى أبحاثها المتعلقة بعملية الانشطار النووى وتخصيب اليورانيوم المستخدم فى صناعة الأسلحة النووية » .

ويعلق مؤلفو كتاب « فضيحة الرصاص » على ذلك بقولهم : « **ان العملية لم تكن مشيئة القدر وإنما مؤامرة على مستوى عالٍ جداً** » .

وصلت شيرزبرج ــ أ إلى انتويرب ، وتسلمت ٢٠٨ أطنان من الرصاص .. وزن الشحنة مع الأوعية .. وبعد ساعات استعدت للإبحار مرة أخرى .. ولم يجد رجال الجمارك ما يشكون فيه .. بعد خروجها من انتويرب اتجهت نحو جنوة بمحاذاة السواحل البلجيكية ، ثم دخلت قناة بحر المانش حتى أصبحت فى المحيط الأطلنطى .. ثم كان أن عبرت مضيق جبل طارق .. وبدلا من أن تتجه إلى جنوة أخذت طريقها نحو المشرق لتعبر مضيق صقلية .. وبعد أيام أصبحت فى الجزء الشرقى من البحر المتوسط .. وعندما تركت جزيرة قبرص على يمينها التقت بسفينة عسكرية إسرائيلية ، يرافقها طرادان ، وبعد أن التصقت السفينتان ، نُقلت الشحنة إلى السفينة الإسرائيلية .

تم ذلك فى هدوء .

وخلال ٤ ساعات فقط .

اتجهت السفينة الإسرائيلية إلى حيفا ، بينما واصلت شيرزبرج ــ أ إبحارها إلى ميناء إسكندرونه الصغير فى تركيا .

نقل اليورانيوم برا من حيفا إلى ديمونة .

لم تعرف هيئة الطاقة الاوروبية بمصير اليورانيوم إلا بعد عدة شهور .. فأمرت بفتح ملف للتحقيق .. إلا أنه سرعان ما أُقفل .

واستناداً إلى مجلة تايم فإن الشرطة الألمانية بدأت محاولات نشطة لمعرفة الحقيقة .. « لكنها بناء على أوامر من جهات معينة اضطرت لوقف تحرياتها .. فورا » ..

واستنادا للتايم أيضا : « لقد تم تكثيف الجهود لإخفاء أمر الفضيحة .. وهذا ما كانت ترمى إليه إسرائيل .. أولا وأخيرا » .أما السفينة .. شيرزبرج ــ أ فقد استخدمها الموساد ــ من باب التفاؤل ــ فى عملية أخرى عملية اختطاف زوارق حربية من ميناء شيربورج الفرنسى .. فى سنة ١٩٦٩ .. ثم .. بيعت بعد ذلك بعام .. وراحت تجوب البحر المتوسط حتى أحيلت للتقاعد .

صاحب شركة بيسكاين التى اشترت السفينة لحساب الموساد قبل تنفيذ العملية كان من ضباط المخابرات الإسرائيلية .. واسمه **دانييل إيرت** .. وقد واصل عمله فى محطة الموساد فى النرويج .. حتى قُبض عليه فى يوليو ١٩٧٣ بعد فشل محاولة قتل الفلسطينى **على حسن سلامة** أحد الذين خططوا لعملية ميونخ فى سبتمبر ١٩٧٢ ، التى نفذها الفلسطينيون ضد الفريق الأوليمبى الإسرائيلى فى دورة ميونخ .

بعد حصولها على هذه الكمية من اليورانيوم .. لم يعد هناك أى عائق أمام إسرائيل للحصول على جيل كامل من القنابل الذرية .

وعندما تمكنت من ذلك ، راحت تفعل المستحيل ، حتى لا يحصل العرب على ما حصلت عليه !

□ □ □

□ ١٦ □

اعتراف أمريكى بالاغتيال !

النمسا ... قرية أوروبا .

فهى خضراء .. بريئة .. محايدة .. تبتسم .. تكرم الضيف .. وتحترم أخلاق الريف .. وتقاليده .

أما .. عاصمتها .. فيينا .. فمدينة على رأسها ريشة .. فالناس فيها ترتدى الزى الشعبى .. وتفخر بذلك .. ثم إنها تضع على رأسها قبعة سوداء .. تغرز فيها ريشة ملونة .. والرقص وجبة يومية أساسية .. والموسيقى مثل الماء والهواء ضرورة .. والأوبرا لغة مفهومة .. أكثر من اللغة الألمانية التى يتحدثونها هناك .

وقد تعرفت على فيينا من باب الذرة العراقية .. لا من باب أسمهان التي غنت لليالى الأنس فيها .. مع أنها لم ترها .

سافرت إليها .. أول مرة لتغطية مؤتمر الوكالة الدولية للطاقة النووية .. فى أغسطس ١٩٨٠ .. بعد ضرب المفاعل العراقى بشهور قليلة .. ونشرت روز اليوسف رسائلى الصحفية عن المؤتمر .. وأبرزت ما كان بشأن عالمنا العربى .

وفيينا المقر الدائم لهذه الوكالة .. والوكالة تقع فى الدور الحادى عشر لمبنى الأمم المتحدة .. المشيد فى ضاحية « فاجر مير » على الطرف الشرقى للعاصمة النمساوية .. بالقرب من نهر « الدانوب » .

وتضم الوكالة ١٣٠٠ موظف .. وأرشيفاً يضم ٣٠ ألف ملف ..ومكتبة علمية تضم ٢٠ ألف مرجع .. وصالات متعددة لمؤتمرات متنوعة .. حوالى ٢٠٠ مؤتمر فى السنة .. ولا تدفع الوكالة مقابل هذا السكن أكثر من شلن نمساوى واحد ، كإيجار رمزى للحكومة النمساوية التى تمتلك الأرض والمبنى .

وقد أُعلن قيام الوكالة فى أول أكتوبر ١٩٥٧ ، ووقع على ميثاقها فى البداية ٥٤ دولة .. وكان أول مدير لها ، البروفيسور **سترلينج كول** .. أما أول ميزانية فكانت ٤,١ ملايين دولار .

وعدد أعضاء الوكالة الآن ١١٥ دولة .. المفروض أنها تحترم ميثاقها ولا تستخدم الذرة إلا فى السلام .. فهى دول كبرى تمتلك أسلحة الفناء الشامل مثل الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفييتى ، وبريطانيا .. وهناك دول كبرى ليست أعضاء فى الوكالة .. مثل فرنسا والصين الشعبية .. وهناك دول صغرى كذلك .. مثل إسرائيل وتايوان .

وميثاق الوكالة يحدد أهدافها ... (١) متابعة التغيرات السلمية فى الذرة .. (٢) الاستخدامات المدنية للذرة .. (٣) الرقابة والتفتيش على مفاعلات الدول الأعضاء لضمان عدم التوصل إلى سلاح نووى .

ويعمل مع الوكالة لتحقيق الهدف الأخير ٢٥٠ مفتشاً .

□ □ □

كان عنوان المؤتمر ... « مستقبل الذرة فى العالم » .

وبالرغم من ذلك ، فإن حادث ضرب المفاعل العراقى ، خطف الاهتمام ، وسرق الأضواء .. وخاصة أن العراق وقعت اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية ، وأصبحت عضواً فى الوكالة فى سنة ١٩٧٠ .. ومن ثم .. كان السؤال عن مسئولية الوكالة .. ودورها .. وهل يمكن أن يحترمها أحد إذا بقيت عاجزة .. باختصار .. كان السؤال .. تكون الوكالة أو لا تكون ؟ .

وقد قال لى مدير الوكالة فى ذلك الوقت البروفيسور **سيجفريد آرنيه كلوند** :

« إن العالم لا يفهم أننا مجرد وكالة تعمل من أجل السلام ، لا نملك سوى أن نتكلم أمام مجلس الأمن ، لا نملك أن نجبر دولة على الاستمرار فى عضويتها .. ولا نملك إجبارها على معرفة أسرارها .. ولسنا جهاز مخابرات .. ولا حول لنا ولا قوة .. سوى أخلاقنا وضمائرنا » .

ونص هذه العبارة منشور فى روز اليوسف ــ ١٧ أغسطس ١٩٨١ ــ ص ٢٥ .

كنت أريد أن أعرف ... ما جاء فى آخر تقارير مفتش الوكالة عن المفاعل العراق .. وهل صحيح أنه كان سينتج القنبلة ؟ .

وقد كانت الإجابة ... بالنفى .

فحسب التقرير الذى وزعته الوكالة فى ١٣ يوليو ١٩٨١ ، ويحمل رقم ١٠ ــ ٨١ بى . آر ، فإن آخر زيارة لمفتش الوكالة كانت فى يناير ١٩٨١ ، وكانت ليلا ، بسبب ظروف الحرب العراقية ــ الإيرانية ، فسمحت الحكومة العراقية باستخدام الكشافات القوية . وبالنزول إلى الممر المائى الذى يجرى تحت الأرض ، والذى تحفظ فيه المواد الخام .

وقال التقرير : إن كمية اليورانيوم كانت لا تزيد عن ١٢ كيلوجراما من النوع عالى الكثافة ، وهى كمية لا تكفى لإنتاج القنبلة .

وبعد الزيارة وضعت أختام الرصاص التى تحمل حروف اسم الوكالة ، وتحمل الرقم الكودى ــ ١١٠ ، ووزعت الوكالة صورة مقربة لهذه الأختام على المفاعل العراقى .

ومن ثم ... كان البروفيسور **هانز جروم** ، مساعد المدير العام للوكالة على حق عندما قال : « **إن العراق ليست وحدها التى تعرضت للاعتداء .. فنحن أيضا تعرضنا لذلك ... لقد كانت الغارة الإسرائيلية على المفاعل العراقى اعتداء على الوكالة وعلى نظامها وقانونها الأساسى .. وهذا شىء محزن لنا وللعالم الذى سعى لإنشاء الوكالة .. ومع ذلك لا يسمع كلامها ولا يحترم تقاريرها** » .

وقد أضاف :

ــ إن التقارير التى تخرج منا تقارير مشهود بنزاهتها .. والغريب أن العالم النووى الإسرائيلى يوفال نيومان يعترف بهذه الحقيقة . ويؤكد على أن هذه التقارير مفيدة إذا ما احتُرمت .. ومع ذلك كان وراء تشجيع حكومته لضرب المفاعل العراقى بحجة

أنه يمكن إنتاج القنبلة الذرية منه .. لقد كان ضرب المفاعل العراق أول اختبار صعب تعرضت له الوكالة .. فالذين هاجموا إسرائيل اتهمونا بأننا لا نستطيع حماية أعضاء الوكالة ومنهم العراق .. والذين هاجموا العراق اتهمونا بالتقاعس فى منع الدول من تطوير برامجها من السلم إلى الحرب .. وهذا الأمر برمته عرضنا للارتباك والحيرة والتساؤل عن مستقبل الوكالة والمصير الذى ينتظرها ... ولا نملك إجابة على السؤال .. وإنما نشعر فقط بالحزن العميق !.

□ □ □

التفتيش عن مفاعلات الدول الأعضاء أهم وأخطر دور للوكالة .

وفى الوكالة هيئة خاصة للتفتيش ، يعمل بها ٢٥ خبيرا ، يراقبون ٧٠٠ مفاعل نووى فى ٥٠ دولة من الدول الأعضاء .. وتنحصر مهمتهم فى ضمان استمرار استخدام هذه المفاعلات استخداما سلمياً ، وعدم تحول برامجها إلى برامج عسكرية .. تؤدى فى النهاية إلى القنبلة الذرية .

وعادة يقوم بالتفتيش مجموعة تضم ١٠ مفتشين ، تقوم بزيارة أى مفاعل مرتين سنويا ، أو إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

ويقوم المفتشون بغرز عدسات تليفزيونية على الأجزاء الحيوية للمفاعل ، تسجل حركة العمل فيه ، وتوضع علامة الوكالة المختومة بالرصاص ، بجانب العدسات ، وتدمغ بتاريخ الزيارة ، وتسجل شرائط التسجيل التليفزيونية التطورات التى تحدث داخل المفاعل ، أولا بأول ، وتنقل الشرائط فى سرية تامة إلى أرشيف الوكالة ، الذى يضم التقارير الخاصة بالمفتشين ، وهى تقارير لا يجوز لأحد الإطلاع عليها سوى السكرتير العام للأمم المتحدة .

ومفتشو الوكالة ، من علماء الذرة المتخصصين ، وهم يسجلون أحاديث علمية دقيقة مع المسئولين عن المفاعل ، يُفهم منها الكثير .

وهذه هى الطريقة الثانية للرقابة .

أما الطريقة الثالثة .. فهى .. دخول المخازن ومعرفة كميات المواد الخام بها .. خاصة المواد النووية .. مثل اليورانيوم .

ولا تملك الوكالة ــ بعد ذلك ــ أى عقاب مادى لدولة من الدول الأعضاء إذا ما غيرت برنامجها من السلم إلى الحرب .. والعقاب الوحيد المتاح ، هو العقاب المعنوى .. أى طردها من الوكالة .. وفضحها علنا فى الجمعية العامة للأمم المتحدة .. وتوزيع نشرة « تحذير » للعالم .. فى وقت مناسب ، قبل أن تصل هذه الدولة إلى القنبلة الذرية .

لا تملك الوكالة أكثر من هذا العقاب .

بل .. لا تملك أصلا أية سلطة للتدخل فى شئون الأعضاء النووية أكثر من اللازم .. لا تملك إجبار دولة على تقديم معلومات لا تريد أن تقدمها .. ولا تملك أن تفرض عليها موعدا للتفتيش لايناسبها .. ولا تملك سوى الحصول على المعلومات من الدول بالأسلوب الذى تحدده هذه الدول .

أى .. لا حول للوكالة ولا قوة ، كما اعترف مديرها .

لقد فقد المدير ورجاله أعصابهم بعد ضرب المفاعل العراق والموقف المؤسف الذى أصبحوا فيه .

إن إسرائيل ، جعلت تقاريرهم مثل ورق التواليت ، على حد تشبيه أحدهم .

لكن ...

فعلت ذلك من قبل مع قرارات الأمم المتحدة .

... وقرارات المجتمع الدولى .

فهى تؤمن بأن البقاء للأقوى ! .

□ □ □

لم تكن زيارتى لمقر الوكالة ، وحضور مؤتمرها ، مسألة خاسرة تماما ... فقد أتيح لى أن أعرف الكثير عن المفاعل النووى العراق .

وكان ذلك .. ضرورة .. لمعرفة الدور الذى كان يلعبه الدكتور **يحيى المشد** .. هناك .

لقد بدأ العراق عصره وبرنامجه النووى بعد أن أصبح عضوا فى الوكالة .. فقد أتاحت عضويته استيراد مفاعل أبحاث من الاتحاد السوفييتى ، قوته ٢ ميجاوات ،

من طراز (آر . إى . تى ـــ ٢٠٠٠) يستخدم الماء الثقيل فى تشغيله .. وغير قادر على إنتاج كميات من المواد النووية تكفى لتصنيع القنبلة .

والمرجح أن السوفييت قاموا بتشغيله .. ليس فقط لأنهم اشترطوا ذلك ، وإنما أيضا لالأ العراق لم يكن به علماء يشغلونه .

وقد برز ـــ فيما بعد ـــ علماء عراقيون ، لكن .. عددهم لم يكن يكفى .. كما أن هناك اعتبارات ما أبعدت بعضهم .. ومن ثم .. كان لابد من الاعتماد على علماء من الخارج .. خاصة ممن يمكن الوثوق فيهم .. وكان على رأس هؤلاء وأفضلهم د . **يحيى المشد** .

وبعد الثورة فى أسعار النفط ـــ التى تلت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ـــ انفجر الطموح النووى العراقى .. وكان هذا الطموح جزءاً من طموح أكبر لبناء دولة عصرية .. قوية .. إن العراقيين كانوا ـــ فى ذلك الوقت ـــ يمتلكون الكثير لتحقيق ذلك .. النفط .. المال .. والخبراء .. والرغبة فى سيادة أوسع .. وهى عوامل لم تعد بعد الحرب مع إيران بالحيوية نفسها .

وكان السؤال الذى طرح وقتها : .. وماذا يريد العراق من الذرة وهو دولة نفطية ؟ .

وكانت الإجابة الرسمية : إن الأفضل استخدام النفط فى صناعات البتروكيماويات ، والأدوية ، وغيرها .. بدلا من استخدامه كوقود .. « ولذلك فإننا نفكر فى اللجوء إلى مصادر الطاقة النووية والشمسية للاستهلاك المنزلى » .

ولأن العالم لا يصدق أن العرب يحترمون العلم ، ويفكرون فى المستقبل ، فإن الشك فى رغبة العراق فى الوصول إلى القنبلة الذرية ، قفز إلى السطح .

وفى أفضل التقديرات .. قيل .. إن الهدف العراقى مزدوج .. أى يجمع بين السلم ، والقنبلة .

وسعى العراقيون إلى التكنولوجيا النووية ممن يملكونها .

فذهبوا إلى السوفييت .

إن السوفييت يمدونهم بالسلاح ، ويساعدونهم فى تطوير صناعة البترول ، وهناك معاهدة صداقة معهم ، لمدة ١٥ سنة تبدأ فى ١٩٧٢ .

إنهم بمثابة الصديق رقم واحد لهم .

لكن ...

السوفييت لم يتحمسوا لتقديم هذا النوع من المساعدة .

فكان ... أن لجأ العراقيون إلى الفرنسيين .

على رأس الحكومة الفرنسية كان **جاك شيراك** .. **وريث شارل ديجول** .. وكان **شيراك** يعرف جيدا أن لا أمل فى سياسة محترمة لفرنسا فى الشرق الأوسط دون تقوية العلاقات مع العرب .. كما أن وصوله للسلطة بعد المجاعة البترولية التى عاشها الغرب ، دعم وجهة نظره .

وفى شهر ديسمبر ١٩٧٤ زار **شيراك** بغداد .. وتباحث معه **صدام حسين** .. وانتهت الزيارة بتوقيع عقود تجارية وصناعية كسبت منها فرنسا ١٥ مليار فرنك .. وجعلتها لا تتردد فى بيع التكنولوجيا النووية للعراق .

وحسب كتاب « القنبلة الإسلامية » : فإن العراقيين ، طلبوا فى البداية ، مفاعلاً من طراز جرافيتى ، وهو مفاعل يورانيوم طبيعى .. قوته ٥٠٠ ميجاوات .. يبرد بالغاز .. « على غرار النوع الذى طورته المؤسسة العسكرية الفرنسية ، خصيصا من أجل إنتاج البلوتونيوم لترسانة فرنسا النووية » .

ومع أن **شيراك** وافق .. فإن صعوبات فنية حالت دون حصول العراق على هذا المفاعل .. كذلك فإن الشركة المنتجة (الكتريك دى فرانس) عارضت عملية البيع .. وحدث خلاف بينها وبين لجنة الطاقة النووية الفرنسية « حول نوع المفاعل الذى سيتم بناؤه للاستخدام فى الداخل والخارج » .

لقد ادعت الكتريك دى فرانس أن هذا المفاعل « من الأنواع الخاضعة لمراقبة الانتشار » . ونجحت فى هزيمة لجنة الطاقة النووية ، بعد ان أقنعت السلطات العليا بإلغاء الصفقة

وانزعج العراقيون ..

وتكدروا ..

فكان أن سافر **صدام حسين** إلى باريس فى سبتمبر ١٩٧٥ .

وهناك .. زار مركز أبحاث نوويا .. « حيث أظهر اهتماما خاصا بالمفاعلات النووية » .

وبكل المقاييس كانت الزيارة ناجحة .

ففى ٢٦ أغسطس ١٩٧٦ « وقع العراق عقدا تزيد قيمته على مليار فرنك مع شركة كورنيوم وهى من كبرى الشركات النووية القابضة » .

«تركز العقد على واحد من أكبر وأكثر المفاعلات التجريبية تقدما فى العالم .. مفاعل ٧٠ ميجاوات ، حرارى ، مماثل للمفاعل الفرنسى الموجود فى مركز الأبحاث فى ساكلى » .. وإن كانت طاقة مفاعل ساكلى لا تزيد عن ٥٠ ميجاوات .

وأطلق الفرنسيون عليه اسم **اوزوريس** .. وهو اسم الإله الفرعونى الطيب الذى يرمز للخير والذى قتله شقيقه ست ، وقطع جسده ، ونثر القطع فى أنحاء مصر المتباعدة ، فراحت زوجته **إيزيس** تجمعها .

وقد أطلق اسم **إيزيس** على مفاعل آخر مكمل .. لا تزيد طاقته عن ٨٠٠ كيلووات وينتمى للنوع نفسه .. ويعمل كوحدة دعم للمفاعل الأول .. الأكبر .

ولكن .. العراقيين أطلقوا عليهما .. تموز ـــ ١ ، وتموز ـــ ٢ ، تخليدا لثورتهم التى قامت فى شهر تموز .. أو يوليو .

وينطق الفرنسيون كلمة **أوزوريس** .. **أوزيراك** .. وقد حورت الدعاية الصهيونية الكلمة إلى **أوشيراك** .. سخرية من **شيراك** .

ويعمل المفاعلان العراقيان بوقود يتضمن يورانيوم مشبعا بدرجة ٩٣ ٪ ، ويقال إن الفرنسيين وافقوا على بيع ٧٢ كيلوجراما منه على ست دفعات .

ويعتقد الإسرائيليون .. أن هذه الكمية كافية لإنتاج ٣ قنابل على الأقل ـــ وربما أربع ـــ من طراز القنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما .

وهو ما أفزعهم ... كثيرا .

□□□

وفى كتاب « القنبلة الإسلامية » أيضا ..

إن العراقيين لم يربطوا أنفسهم بمصدر واحد للامدادات .. وخلال وقت قصير .. اتجهوا إلى إيطاليا .

كان ذلك فى منتصف السبعينات .

وفى هذا الوقت كان الإيطاليون ينفذون برنامجا نوويا ناميا بالرغم من صغره .. وكانوا يمتلكون ثلاثة مفاعلات نووية وكان المفاعل الرابع على الطريق .. وبدأوا تجارب الانشطار السريع .. وهناك عدة شركات قادرة على المنافسة فى المشروعات النووية فى أى مكان فى العالم .

وقد باعوا للعراقيين مختبرات للبحث والتدريب .. لكن .. العراقيين أرادوا منهم أكثر من ذلك .

كان العراقيون يمتلكون غرفتين حوالى ٤٥٠ ــ ٥٠٠ متر مربع ، فى معمل كبير للكيمياء ، أرادوا استخدامهما فى إجراء أبحاث وتجارب فى الكيمياء الانشطارية ، وطرق التحليل بمواد حارة أو مشعة .. فسعوا لأن يجهز الإيطاليون الغرفتين بما يلزم .

ورحبت وكالة الطاقة الإيطالية .. وشجعت شركة إيطالية متخصصة تدعى سنيا فيسكوزا على التنفيذ .. فتقدمت باقتراح يقضى ببيع مختبر للكيمياء المشعة .. ويشتمل على ثلاث خلايا حارة ، صغيرة محصنة بالرصاص (٢×١,٥×١,٤ متر).. « ويتيح المختبر المجال لمعالجة المواد المشعة جدا ، بسهولة ، كما أنه يسمح بتذويب أكسيد اليورانيوم المشع ، ثم استخراج وفصل المواد الانشطارية التى تحتوى على بلوتونيوم » .. ويساعد هذا بالقطع على إنتاج القنبلة .

وطلبت الشركة ٤,٣ ملايين دولار ، لكنها قبلت فى النهاية بمبلغ ١,٧ ملايين فقط .. فحتى فى مثل هذه الأمور لا يستغنى الإيطاليون عن عادة المساومة .. والفصال .

وفى يناير ١٩٧٦ أرسلت الشركة والوكالة الإيطالية جماعة من رجالهما . على رأسها عالم الذرة الإيطالى البروفيسور **انزيو كالمنتال** ، إلى بغداد لإجراء مزيد من

المباحثات .. التى أسفرت عن اتفاق يسرى لمدة ١٠ سنوات ، تعهدت فيه وكالة الطاقة الإيطالية بمساعدة العراق فى الأغراض السلمية ، وبعد سنتين انتهى الإيطاليون من العمل فى مختبر الخلايا الحارة .. لكن .. قبل أن يكتمل هذا العمل ، طالب العراقيون ببناء أربعة مختبرات اضافية خاصة بدورة الوقود النووى .

ووافق الإيطاليون ، لكنهم أصروا على أن يكون الثمن ٦٧ مليون دولار ، فرفض العراقيون ، ولجأوا إلى بولندا ، فكان أن خفض الإيطاليون الرقم إلى ٥٥ مليونا .. ثم كان أن وقعوا العقد بما لا يزيد عن ٥٠ مليونا .. وكان ذلك فى فبراير ١٩٧٨ .

وتولت وكالة الطاقة الإيطالية الإشراف على التنفيذ .. أما الشركة التى قامت بالتوريد فكانت شركة انسالدو ميكانيكو نيوكلير .. ودخلت شركة سنيا تكنيت لتلعب دور المقاول الرئيسى .

□ □ □

لم يتح للعراق مواصلة دعم وتنمية برنامجه النووى .

فقد مارست إسرائيل ضده كل أعمال التهور .. التخريب .. القتل .. التهديد .. وضرب المفاعل بالقاذفات .

إن ذلك كله كان من أجل « فرض وصاية تكنولوجية » على العرب .. ومن أجل الحفاظ على « الفجوة النووية » بينها وبينهم .

وهذا .. ما يجعل رأس المال العربى المستثمر فى المجالات النووية يدور « فى دائرة مفرغة » .. ومن ثم .. تضيع الموارد العربية هباء .. وتتحول إلى أطلال قبل أن تصبح سلاحا .

ومن الصعب تقدير الخسائر العراقية فى هذا المجال .. وإن أكدت وكالة الطاقة النووية الرقم بما يزيد عن ١٠ مليارات دولار .. بينما خفضت وكالة المخابرات المركزية التقدير إلى النصف .. تقريبا .. ومهما كانت الخسارة .. فإنها لا تشمل ضياع الوقت والجهد .. وتراجع الحلم .. ودماء عالم انحنى له العالم مثل الدكتور **يحيى المشد**.

ترى ... كم يساوى انفراد إسرائيل بالقوة النووية ؟ .
وكم يساوى إصدارها على الإهانة ... إهانتنا ؟ .

□ □ □

ومن ناحية أخرى أثار ما فعلته إسرائيل بالمفاعل العراقى الكثير ... الذى تجاوز جدران مكاتب وكالة الطاقة النووية .

ومن هذا الكثير .. أخذنا القليل .. والمصدر هنا كتاب **أمين هويدى** « الصراع العربى الإسرائيلى بين الرادع التقليدى والرادع النووى » ــ ص ٧٠ من طبعة دار المستقبل ــ القاهرة ــ مارس ١٩٨٣ .

□ « هذه أول مرة منذ اختراع السلاح النووى نجد فيها دولة تصر على أن من حقها تدمير منشآت دولة أخرى تشك فى أنها نووية . ماذا يحدث لو أن كل دول العالم أعطت لنفسها الحق أن تفعل ما فعلته إسرائيل ؟ . هل اصبحت الدول حرة فى تدمير المنشآت النووية للدول الأخرى ؟ . ماذا لو قام الاتحاد السوفييتى بتدمير منشآت الصين وهى فى مقدورها ذلك ؟ . ماذا لو قامت الهند بتدمير منشآت باكستان ؟ . إن جميع دول العالم تعيش فى الحقيقة تحت تهديد مستمر من القنابل الذرية الحقيقية وليس مفاعل تحت التجربة فى العراق . والشىء الغريب أن إسرائيل تعتقد أن هذا يحقق لها الأمن . إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية جعلت من نفسها القدوة حينما أعلن **ريجان** أنه لا أمل فى الوصول إلى حلول وسط مع السوفييت بالتفاوض . وعلى ذلك فقد أصبح الأمن يعتمد على استخدام القوات العسكرية » .

المعلق السياسى **جيمس رستون**

نيويورك تايمز ــ يونيو ١٩٨١

□ « ماذا لو أعطت أية دولة نفسها الحق فى تحطيم المنشآت النووية للدولة المنافسة وبالمفاعل وقود نووى ؟ . إن هذه الضربة هى المثل لما يمكن أن يحدث نتيجة الخوف الذى يؤدى إلى القيام بالضربة الأولى .. ماذا لو استمر الديالوج إلى نهايته ؟ » .

الواشنطن بوست ــ يونيو ١٩٨١

□ « ليست إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى تعتقد أن أمنها فى احتكار السلاح النووى الإقليمى . وإذا كانت إسرائيل رأت تدمير المفاعل العربى ، لماذا لا يقوم غيرها بذلك ؟ لماذا لا يلجأون إلى تكنولوجيا مختلفة كسلاح الجراثيم أو الحرب الكيماوية ؟ لماذا لا يتم قتل أشخاص مثل قتل الإسرائيليين للدكتور **المشد** فى باريس ؟ » .

نيويورك تايمز — ١٠ يونيو ١٩٨١

ولعل أهم ما يعنينا فى هذه الاقتبسات اعتراف صحيفة « نيويورك تايمز » بأن الإسرائيليين هم الذين قتلوا الدكتور **المشد** .

وبالرغم من أن الاعتراف جاء متأخرا حوالى العام ، فإن من أدلى به لا يمكن الطعن ولا الشك فى أنه ينحاز إلى إسرائيل .. ويعشقها .. ويموت فى هواها .

□ □ □

□ ١٧ □

عميل مصرى فى النقب !

لم يكن مخططا أن يدرس الدكتور **المشد** الذرة ... ويحصل فيها على شهادة الدكتوراه من موسكو .

بل ... لا نتجاوز إذا ما قلنا إنه لم يفكر فى هذا التخصص الذى كان نادرا جدا .. وكان لا يأمل إلا فى دراسة الهندسة الكهربائية .

وقد عمل — قبل البعثة — فى شركة ماركونى للأجهزة الخاصة بالراديو والاتصالات .. وعندما تقرر السفر إلى لندن للحصول على الدكتوراه .. كانت الهندسة الكهربائية التخصص المحدد له .

وعندما تحولت البعثة — بعد حرب ١٩٥٦ — إلى موسكو .. لم يتدخل السوفييت لتغيير التخصص إلا بطلب من **جمال عبد الناصر** نفسه .

خرج **جمال عبد الناصر** من حرب السويس وهو يدرك جيدا أن إسرائيل العدو المباشر ، والخطر الأكبر ، ومن ثم كان عليه إعادة بناء الجيش المصرى فى ضوء تجربة الحرب .. وقد قال بعد انسحاب إسرائيل من سيناء « إن هناك مجالات لابد أن ندخل إليها .. مثلا .. إن اسرائيل تفكر ذريا ، ولابد لنا نحن الآخرين أن نفكر مثلهم » .

وهكذا .. أثبت فى وقت مبكر ومناسب ان الذرة أصبحت طرفا فى صراع الشرق الأوسط .

وكان أن سعى إلى توفير الإمكانيات النووية ، فطلب من موسكو مساعدته تكنولوجيا ، وبشريا ، واقترح أن يتحول المبعوثون المناسبون هناك إلى دراسة أسرار الذرة .. وكانت كل الشروط تنطبق على الدكتور **المشد** الذى كان لايزال فى مرحلة دراسة اللغة الروسية .

إن إسرائيل ــ بصورة غير مباشرة ــ هى التى أدت إلى أن يصبح الدكتور **المشد** عالما فى الذرة .

وهى التى تخلصت منه بصورة مباشرة .

□□

جاء أول اقتراح لبناء مفاعل نووى فى مصر سنة ١٩٥٥ من الولايات المتحدة فى إطار برنامج « الذرة من أجل السلام » الذى تبناه الرئيس **أيزنهاور** .

والمفاعل المقترح كان من طراز يُسمى « بركة السباحة » لاستخدام الماء الخفيف فيه ، وقوته لا تزيد عن ٥ ميجاوات .

وقد تراجعت إدارة **أيزنهاور** عن تسليمه إلى مصر ، بسبب سياسة الحياد الإيجابى التى كان يتبعها **جمال عبد الناصر** ، وبسبب تحوله ناحية السلاح السوفييتى .

وكان أن شُحن المفاعل إلى إسرائيل ، وهو أصل المفاعل الموجود الآن ، هناك فى ناحال سوريك بالقرب من يفنه .

فى العام نفسه أُسست هيئة الطاقة الذرية فى أنشاص .. بالقرب من حدائق المانجو الشهيرة التى كان يمتلكها الملك فاروق .

وبعد عامين أقيم مركز دراسة المواد المشعة فى جامعة الإسكندرية .

وفى عام ١٩٦١ ، حصلت مصر على مفاعل سوفييتى للأبحاث ، قوته ٢ ميجاوات أقيم فى أنشاص ، وتعهدت موسكو بتقديم الوقود اللازم له ، وفيما بعد بنيت وحدة صغيرة ــ ملحقة به ــ لإعادة معالجة الوقود .

وعندما أصبح المفاعل جاهزاً للعمل ، كان الدكتور **المشد** قد عاد إلى مصر ، ومن ثم ، كان من أوائل الذين أجروا أبحاثهم التكميلية عليه .

وفى عام ١٩٦٣ دخلت مصر فى مفاوضات مع بريطانيا لبناء مفاعل قدرته ١٣٠ ميجاوات .. لكن .. المفاوضات فشلت .. فحاولت مرة أخرى للحصول على مفاعل قوته ١٥٠ ميجاوات لتحلية مياه البحر ، وتوليد الكهرباء يقام فى منطقة برج

العرب (على مرمى النظر من استراحة **جمال عبد الناصر** هناك) بالقرب من الإسكندرية .. لكن .. « المشروع وضع على الرف » .

إزاء هذا الفشل ، سعت مصر إلى تكوين قاعدة متينة من علماء الذرة ، وإلى تطوير صناعتها الحربية ، التقليدية ... وللتاريخ .. فإنها كانت قد أنتجت أول طلقة ذخيرة فى ١٧ أكتوبر ١٩٥٤ .

يضاف إلى ذلك .. أنها راحت — من خلال عيون المخابرات العامة وبتوجيه مباشر من **جمال عبد الناصر** — ترقب النشاط النووى الإسرائيلى .

□ □ □

فى كتاب « جاسوس فى القاهرة » يكشف **محمود مراد** ما يؤكد على أن « مصر كانت تضع عينها وأذنها على إسرائيل لتعرف ماذا يجرى ويحدث فيها » .

فقد نجحت المخابرات المصرية فى تجنيد عالم إسرائيلى اسمه **جان بيير** ، كان أستاذا فى معهد التكنولوجيا (تكنيون) فى حيفا .

ولد وشب وتربى وتعلم فى فرنسا حتى صار استاذا .. لكن .. حلم الأرض المقدسة جذبه ، فهاجر إلى إسرائيل .. وهناك عاش « فى مستوى مرموق » ..وانضم إلى الطبقة العليا فى المجتمع « السلاطة » .. وقد عُرِف عنه الزهد والهدوء .. ومع أنه لم يتزوج ، فإن أحدا لم يضبطة متلبسا بمعرفة امرأة .. و « كان ناضجا فكريا ونفسيا » .. باختصار ليس فى شخصيته نقطة ضعف يمكن اختراقه منها وابتزازه للعمل مع المخابرات المصرية .. جاسوسا .

إن استقامته غيرت تماما من أسلوب تجنيده .. فكان أن دبر رجل مخابرات مصرى لقاء معه فى دولة أوروبية كان دائم التردد عليها .. « وأنشأ معه نوعا من العلاقة » بعد حوار « عقلانى » طويل معه .. « كان يمتد طويلا ويتفرع كثيرا إلى أن وصل إلى نقطة حرجة ... وكشف رجل المخابرات المصرى عن هويته .. واتفق معه على مهمته الجديدة وهى الحصول على معلومات وأسرار عن مفاعل ديمونة والنشاط الذرى (الإسرائيلى) من خلال العمل الذى يشارك فيه ، ومن خلال صداقاته مع العلماء الآخرين

لمدة طويلة كان البروفيسور ـــ الجاسوس يمد مصر بكل نشاط يحدث فى المجال الذرى الإسرائيلى .. لكنه .. فى سنة ١٩٧٠ ، سقط .. وقُبض عليه .. وحوكم .. ودخل السجن ليقضى فيه ١٠ سنوات من الأشغال الشاقة .

ويضيف **محمود مراد** : « إن المخابرات المصرية لم تتركه ففى يوم ٢ ديسمبر ١٩٧٣ ، كان فى فناء سجن الرملة عندما اقترب منه اثنان من المساجين (هما أيضا من عملاء القاهرة) وهمسا فى أذنه أن هناك خطة مدبرة وجاهزة كى يهرب .. لكنه تردد » .. ثم كان أن رفض .

« فى ٣ مارس ١٩٧٤ هرب عميلا القاهرة .. ووصلا إلى أوروبا » .. وبقى **جان بيير** فى السجن حتى أُفرج عنه .. وفى بيته عاش وحيدا .

□ □ □

فى سنة ١٩٦٨ ، وقعت مصر على اتفاقية الحد من انتشار الأسلحة النووية .. لكنها .. امتنعت عن التصديق عليها أسوة بإسرائيل .

وفيما بعد .. فى سنة ١٩٨١ تم التصديق .. وقبلت مصر تطبيق ضمانات الوكالة الدولية للطاقة النووية .. وسهل ذلك إمكانية التعاون النووى مع الغرب .

لقد تغير الموقف تماما بعد وفاة **جمال عبد الناصر** .. فقد سعت الولايات المتحدة بعد رحيل خصمها العنيد ، إلى إعداد دراسة ـــ مشتركة ـــ حول احتياجات مصر النووية ، أصبحت جاهزة فى سنة ١٩٧٣ ، وقد ركزت ـــ بالطبع ـــ على الاستخدام السلمى للذرة .. خاصة فى مجال الكهرباء .

قالت الدراسة :

ـــ إن مصر فى سنة ألفين ستحتاج إلى ١٧ ألف ميجاوات ـــ كهرباء .

ـــ وأن المصادر التقليدية لن تفى بأكثر من ١٢ ألفا ، وهى الكمية التى تنتج حاليا .

وعلى أساس هذه الدراسة ، تقرر بناء ١٠ محطات للطاقة النووية قبل عام ١٩٩٩

تبلغ طاقتها ٧٢٠٠ ميجاوات ، وتنتشر فى العريش ، والقاهرة ، والصعيد .. بالإضافة إلى محطتين فى سيدى كرير ، وهما كانتا ضمن مشروع نووى ضخم ، رُشح الدكتور **المشد** لإدارته ، وقد تعطل التنفيذ ، كما أن هناك من سعى إلى إقصاء الدكتور **المشد** وإزاحته ... فكان أن سعى إلى السفر إلى العراق ، بعد أن أيقن أن العلم وحده لا يكفى .. وأن المطلوب خبرة من نوع ردىء ... لا يملكها .

وفى الحقيقة .. كان للتعطيل أسبابه الأخرى .. التى كان من أهمها حركة مضادة لبناء المحطات النووية .. خوفا من التلوث .. ومن عدم التحكم فيها .. وساد اعتقاد بأن الرئيس السابق **أنور السادات** سيجد فى هذا المشروع ذريعة لقبول دفن النفايات النووية فى الصحراء الغربية ، مقابل أموال يحصل عليها من دول أوروبية تريد ذلك ، كما فعل الرئيس السودانى السابق **جعفر نميرى** .

وقد خفت حدة المعارضة النووية بعد رحيل **السادات** .. لكن .. ما جرى فى تشرنوبيل أعاد إلى البرلمان المصرى (مجلس الشعب) الموضوع مرة أخرى لمناقشته .

وحسب تقرير **جوديث بيريرا** : فإن الولايات المتحدة هى التى ستقوم بتوريد مفاعلات هذه المحطات ، واليورانيوم المغذى المستعمل فيها كوقود ، أيضا .

« وكانت المحادثات دائرة بين البلدين ، حتى توقفت فى سنة ١٩٧٩ ، بسبب مشكلات مالية ، ولاعتراض مصر على ترتيبات التفتيش المتشددة التى تريد أمريكا فرضها » .

لكن ...

بدأت المباحثات ثانية ، بعد أن صدقت مصر على اتفاقية منع تداول المواد النووية ... « ووافقت الولايات المتحدة على توريد وحدات طاقتها ألف ميجاوات ، يتم بناؤها فى منطقة الزعفرانة على خليج السويس .. ولم يصبح التمويل عقبة بعد أن زالت المشكلات السياسية » .

وفى الوقت نفسه ، وافقت فرنسا على تزويد مصر بمفاعلين يعملان بالماء المضغوط ، وبالوقود اللازم ، والمساعدات الفنية ، فى إطار بروتوكول للتعاون النووى ، وقعه الرئيس **أنور السادات** فى باريس ، فى سنة ١٩٨١ .

« وتقوم مؤسسة فراماتوم الفرنسية بتوريد مفاعلات طاقتها ألف ميجاوات ، وتكلفتها بليونا دولار ، تُنفذ فى مدينة الضبعة .. قرب الإسكندرية » .

ولأن الأعباء المالية ثقيلة ، فإن مصر تخصص سنويا ٥٠٠ مليون دولار ، تحتجزها من عائداتها البترولية .. للإنفاق على برنامجها النووى .

وتصل تكلفة هذا البرنامج — حتى سنة ألفين — إلى ١٠ مليارات دولار .

ويتضمن البرنامج خطة طموح للكشف عن اليورانيوم (بمساعدة ألمانيا الغربية) فى ٥ مواقع بسيناء و ٧ مواقع فى الصحراء الغربية .. وقد بدأ الإنتاج فى ٣ مواقع .. فعلا .. حيث أمكن رفع حوالى ١٥٠ طنا من اليورانيوم الخام .

وتقول **جوديث بيريرا** أيضاً :

— إنه تم الاتصال بكندا بغرض المساعدة فى بناء مصنع لمعالجة خام اليورانيوم .

— وافقت أستراليا على تزويد مصر باليورانيوم فى عام ١٩٨٩ .

— تعهدت ألمانيا الغربية بإضافة توسعات إلى مفاعل الأبحاث السوفييتى لزيادة طاقته إلى ٥ ميجاوات .

— زودت بريطانيا جامعة القاهرة بمركز للأبحاث النووية .

— كما أن هناك توقعات بشأن الفضلات النووية التى يجرى دفنها فى مصر بالتعاون مع النمسا ، والتى يتم التقليل من مخاطرها .

□ □ □

بعد مقتل الدكتور **المشد** سيطرت سحابة من الحزن على علماء الذرة المصريين .

ورفعت بعض الجهات المعنية أكثر من مذكرة إلى **الرئيس السادات** ، تُوصى بإعادة العلماء المهاجرين فى هذا التخصص الحيوى .. لكن .. لم يقرأ الرئيس **السادات** — كعادته — هذه الأوراق .. كما أنه كان مشغولا بمواجهة معارضيه ، التى أخذت صورة تيار من الغضب ، راح يزداد يوما بعد آخر حتى أزاحه .

وأشارت هذه المذكرات إلى حقائق .. لاشك فى أنها كانت مذهلة .

— أن مصر تملك أكبر عدد من علماء الذرة فى العالم الثالث .

ــ أن بعض هؤلاء العلماء شارك فى البرامج النووية لدول متقدمة فى هذا المجال مثل بريطانيا ، وكندا ، والولايات المتحدة .

ــ أن بعضهم الآخر شهد تجربة التفجير النووى للهند ــ ١٩٧٤ .

ــ أن رصيد مصر من العلماء القادرين على إنتاج القنبلة النووية يكفى ٥ دول تبدأ من الصفر ، إذا ما توافرت الإمكانيات التكنولوجية اللازمة .

لم يقرأ **السادات** هذه الحقائق .. وحاول القفز عليها .. وعلى دماء الدكتور **المشد** التى راحت هدراً وطلب بحث اقتراح تقدم به **مناحم بيجن** ــ بعد شهور قليلة من حادث **المشد** ــ لبناء مفاعل نووى مشترك بين مصر وإسرائيل فى سيناء .

وحسب ما قاله **شلهفت فويار** (الطبعة الإنجليزية من كتاب : إذا جاء السلام ــ دار فان لير ــ القدس ــ ص ٧٦) فإن المفاعل المشترك « من أجل إنتاج الكهرباء وتحلية مياه البحر ، كنواة لخلق مجمع صناعى زراعى حوله » .

لكن ... المشروع لم ينفذ .

وعندما قُتل **السادات** .. تراجع كثيرا .

وبسبب **السادات** أيضا ... « تأخر قرار مصر بتبنى برنامج لصناعة السلاح النووى ... نتيجة للعلاقات القوية بين مصر والولايات المتحدة » .

وبالرغم من ذلك فإن **جوديث بيريرا** تضيف : إنه « **ليس هناك شك فى أن البرنامج النووى المدنى المصرى سوف ينمو بخطوات سريعة** » .

أيضا ... تؤكد على أن مصر تتمتع « بالقدرة على صناعة القنابل النووية من الناحية الفنية » .. لكنها لا تقدم أى دليل على ذلك .

وجوديث بيريرا ــ بالمناسبة ــ متخصصة فى دراسة الأسلحة النووية والبيولوجية والكيماوية .. ومهتمة بالشرق الأوسط .. وحصلت على درجة الماجستير فى رسالة موضوعها « حركة المقاومة الفلسطينية » .. سنة ١٩٧٠ من جامعة درهام .

وفى تقديرها .: تحتاج مصر من ٦ ــ ١٠ سنوات لصنع القنبلة الذرية .. والعراق من ٤ ــ ١٠ سنوات .. وليبيا ١٠ سنوات .. مع العلم بأن هذا التقدير كان فى سنة ١٩٨٣ .

وفى تقديرها ... أن معظم الدول العربية تملك الطائرات والصواريخ التى تصلح لحمل قنابل ورءوس نووية ... مثل طائرات ميج ـــ ٢٣ ، وتوبولوف ـــ ٢٣ ، وفانتوم ـــ ١٦ ، وصواريخ سكود ، وفروج ، وأوتراج .

ولم تنتبه مصر إلا مؤخرا إلى ضرورة الحفاظ على ثروتها من علماء الذرة ... ففى شهر مارس ١٩٨٩ حرمت هجرتهم أو إعارتهم .

كما أنها فى شهر مايو من السنة نفسها قررت الاستغناء عن أى جهود أجنبية فى مواقع استخراج اليورانيوم .. وقصرت التواجد فى هذه المواقع على المصريين .. فقط .

وحسب تصريح رئيس هيئة المواد النووية ، الدكتور **حسن عبد المحسن** ، فقد تم إعداد « أحدث مركز علمى فى الشرق الأوسط لرسم خرائط توزيع مادة اليورانيوم والمواد الأخرى فى طبقات الأرض » ـــ (صحيفة الأخبار ١٠ / ٥ / ١٩٨٩) .

ولأن هذا التصريح كان مفاجئا .. فإن بعض المصادر البريطانية لم تستبعد وجود جواسيس بين الخبراء الأجانب فى مواقع اليورانيوم المصرية .. يعملون لصالح الموساد ، ووكالة المخابرات المركزية ـــ الأمريكية .

وترى هذه المصادر أن قصر العمل فى هذه المواقع على المصريين فقط ، يعنى أن البرنامج النووى المصرى أصبح مثيرا للانتباه .

□ □ □

ومع أن مصر حرمت الهجرة والإعارة على علماء الذرة ، فإنها لم تطبق هذا القرار على العراق .. خاصة بعد توقيع وثيقة مجلس التعاون العربى ، الذى ضم بجانب الدولتين ، الأردن ، واليمن الشمالية .

لقد حصلت العراق على مزيد من الخبرة البشرية ـــ فى هذا المجال ـــ من مصر .

كما أنها حصلت على دعم مادى هائل من المملكة العربية السعودية ، بعد زيارة لبغداد قام بها الملك **فهد بن عبد العزيز** ، تأكد بعدها أن أموال النفط السعودى غطت خسائر ضرب المفاعل العراقى ... وأكثر .

كان ذلك فى شتاء ــ ١٩٨٩ .

وقد حاولت إسرائيل من جانبها إثارة الرأى العام العالمى ضد ذلك مرة أخرى .. لكنها .. لم تحقق أى نجاح هذه المرة ... فقد أعلن الخبير النووى الإسرائيلى **شاى فيلدمان** .. أن العرب غير قادرين على صنع القنبلة الذرية .. فكان ان ماتت حملة الغضب الصهيونية فى مهدها .

لكن ...

بالرغم من ذلك لا تزال العراق تتوقع هجوما آخر على مفاعلها النووى .

والمؤكد ... ان الدفاع عن المفاعل العراقى أصبح أشد مما كان .. كما أنه ــ على ما يبدو ــ لا مجال للخطأ أو الاحتمال .. فقد سارعت بطاريات الصواريخ العراقية التى تحمى المفاعل ، بضرب طائرة مصرية (فى مايو ١٩٨٩) ظنت أنها إسرائيلية .

وفى تحليل عن الحادث لصحيفة الموند الفرنسية : أن بغداد تتوقع هجوما إسرائيليا بسبب تجدد الحديث حول المفاعل النووى .. وأن الصواريخ العراقية ، ربما تكون قد ظنت ان الطائرة قادمة من إسرائيل .

بعبارة اخرى ... نفخ العراق فى الزبادى بعد أن حرقته الشوربة !

□ □ □

فى ليبيا أيضا يعمل علماء ذرة مصريون .

فالتعاون العلمى يتجاوز البغض السياسى أحيانا .

ونستطيع أن نجزم بأن الدكتور **المشد** ، فكر ــ قبل العراق ــ فى السفر إلى ليبيا ، والعمل هناك ، فى برنامج نووى ، كان ــ وقتها ــ وليدا .. لكنه .. لم يكن ــ بحكم تكوينه ــ ليتحمل سخافات **الصدام** السياسى التى تنشب بين النظم ، وتدفع ثمنها الشعوب .. ومن ثم ، فقد آثر السلامة وراحة البال ، وسافر ــ بعائد أقل ــ إلى العراق .

وفى الوقت الذى كان فيه د . **المشد** يحزم حقائبه ، كان الرئيس الليبى معمر القذافى يعلن : أنه سيكسر احتكار القنبلة النووية .. وسيشتريها « بجميع أجزائها » .. وبدا هذا الإعلان مدهشا ، ليس فقط لأن ليبيا موقعة على اتفاقية منع انتشار الأسلحة النووية ، وإنما أيضا ، لأنها المرة الأولى التى تعلن فيها دولة مثل هذا الاعلان .

وكانت ليبيا قد عرضت شراء القنبلة الذرية أكثر من مرة ، على أكثر من دولة ، وكان أكثر العروض إلحاحا من العقيد **القذافى** إلى حكومة بكين فى سنة ١٩٦٩ .

رفضت حكومة بكين بيع القنبلة .. لكنها .. وافقت على تزويد ليبيا بالمساعدات الفنية المحدودة .. فقط ، ومن ثم فإن نصيب الصين الشعبية فى البرنامج النووى الليبى يأتى بعد فرنسا ، والاتحاد السوفييتى ، والهند ، والأرجنتين ، والسويد .

فى سنة ١٩٧٣ تأسست هيئة الطاقة النووية هناك كجهاز مستقل ، غير مسئول إلا أمام رئيس الدولة ، الذى يتمتع بعضوية مجلس ادارتها .

وبعد حوالى العام بدأت شركة سيمنز الألمانية الغربية فى تنفيذ وحدة لإنتاج الماء الثقيل ، بتكلفة وصلت إلى ٩٠ مليون دولار .

وسعت ليبيا إلى فرنسا للحصول على مفاعل طاقته ٦٠٠ ميجاوات .. لكن .. السعى ، خاب ، فكان الاتحاد السوفييتى جاهزا .. إلا أنه ــ مع تحفظاته النووية المعروفة ــ لم يقدم سوى مفاعل صغير ، لا يصلح إلا للأبحاث ، طاقته لا تزيد عن ١٠ ميجاوات .

وحسب تقدير **جوديث بيريرا** فإنه فى نهاية ١٩٧٦ « تم التوصل إلى اتفاق بشأن مفاعل لإنتاج الكهرباء وإزالة ملوحة البحر ، طاقته ٤٤٠ ميجاوات » .. وتقدر التكاليف بنحو ٣٣٠ مليون دولار .

وهناك ما يشير إلى « أن الاتصالات الليبية مع باكستان بدأت فى عام ١٩٧٧ » .. و « توضح التقارير أن ليبيا تقوم باستثمارات ضخمة فى البرنامج الباكستانى ، كما أنها زودته باليورانيوم أيضا ، غير أن باكستان قد عدلت عن الاستمرار فى هذه العلاقة مع ليبيا نتيجة للضغط الأمريكى » ، وأغلب الظن أن السعودية أصبحت البديل .

ولا تملك ليبيا العلماء .. ولا القاعدة التكنولوجية المناسبة لبرنامج نووى .. لكنها .. تملك الأموال ، واليورانيوم الخام ، الذى يتركز فى منطقة شاسعة ، تصل مساحتها إلى ٢٠٠ ألف كيلومتر مربع ، بالإضافة إلى مناطق أخرى على الحدود مع تشاد والنيجر .. « ويرى البعض أن قيام ليبيا بضم بعض المناطق فى شمال تشاد

عام ١٩٧٥ يرجع إلى وجود احتياطيات اليورانيوم فيها .. كما قامت ليبيا بشراء كميات كبيرة من يورانيوم ـــ النيجر ، تصل إلى ٥٠٠ طن ، بهدف التخزين ، وبهدف المساومة فى التفاوض مع الدول الأخرى .. فمن المعروف أن ليبيا زودت باكستان والعراق باليورانيوم ، ربما فى مقابل مساعدات فنية » .

وليس من السهل أن تتوصل ليبيا إلى القنبلة النووية بمفردها .

ومن الأفضل أن تدعم دولة أخرى ... أى تعمل على إنتاج « نصف قنبلة » فقط .. ولا جدال فى أن هذه الدولة لن تكون دولة عربية ... طبائع الأمور تؤكد ذلك ... مع أن المصير مشترك .. والعدو واحد ... ومع أن هذا العدو يملك مخزونا مدمرا من القنابل ، يضعها فى « القبو » .. مخزونا يكفى لإبادة الجنس العربى .. دون تفرقة بين مصرى وليبى .. ولا بين سورى وعراقى .. ولا بين من يزرع القمح ومن يستخرج النفط .

□ □ □

□ ١٨ □
أبو القنبلة الصهيونية !

يُوصف **يوفال نيومان** بأنه أبو القنبلة الذرية الإسرائيلية .

إنه الآن صاحب جماعة صهيونية متشددة فى إسرائيل ، ترفض السلام ، وتطالب بالتهام الأراضى المحتلة ، وبسجن العرب ، وإغراق الفلسطينيين ودفنهم فى البحر ، ليكونوا طعاما للأسماك .

ولد فى تل أبيب .. سنة ١٩٢٥ .. أمضى بعض سنوات من طفولته ـــ مع عائلته ـــ فى القاهرة .. ثم .. عاد معها إلى تل أبيب ، ليزعم أنه يعرف العرب أكثر من غيره !

درس فى مدرسة هرتزليا .. بتل أبيب .. ويقال إنه كان « تلميذا لامعا فى الرياضيات » .. وإنه « استطاع فى سن الرابعة عشرة اجتياز أشد الامتحانات صعوبة وأكثرها تقدما » .. وحسب إضافة **ريتشارد ديكون** (كتاب ـــ الخدمة السرية فى إسرائيل) .. حاز على شهادة عالية من حيفا فى سن التاسعة عشرة .. وكان « زملاؤه يلقبونه « الدماغ » .. ولكنهم كانوا يهونون من شجاعته .. ويسخرون من صمته وخجله ونحافته .. وقد ضحكوا كثيرا حين قرر الانضمام إلى القوات الإسرائيلية فى حرب سنة ١٩٤٨ ، وتساءلوا : بم سيحارب ؟ .. بمسطرته الحاسبة أم بالصور العارية التى يخفيها فى ثيابه ؟ » .

فى الحرب رُقى إلى رتبة عقيد .. ولوُحظ أنه كان يسجل كل ما يمر به .. ولوُحظ أيضا أنه حاول استخدام المسطرة الحاسبة فى التكتيكات الحربية .. ولوُحظ كذلك غرامه الشديد بالمسلسلات الهزلية المصورة التى كان جامعا صبورا لها .

« وقد أمسك نقاده بهذه الهواية واعتبروها دليلا على غرابة أطواره ، وعدم اهتمامه بالقضايا العالمية .. واتهموه بأنه يستعير أفكاره من تلك المسلسلات المطبوعة التى كانت منتشرة آنذاك » .

بعد الحرب التحق بمدرسة الحرب فى باريس .. وأبدى اهتماما كبيرا بتكنولوجيا الحرب .. خاصة التى يتعلق منها بالكومبيوتر .. وكان هذا الاختراع المذهل فى بدايته .

وعندما عاد من فرنسا انضم إلى المخابرات العسكرية .. وكان ذلك فى سنة ١٩٥٤ .. فى هذا الوقت كانت المخابرات الإسرائيلية تعتمد إلى حد كبير على التقارير التى يرسلها العملاء من الدول العربية .. ووجد **نيومان** أن انتظار هذه التقارير عملية غير مناسبة لإسرائيل « المحاطة من كل جانب بدول صريحة العداء لها » .. وكان يقول : « **إننا لا نستطيع الانتظار إلى أن يهرِّب إلينا شخص ما شيئا فى تقريره من القاهرة أو دمشق ، رغم أن ذلك مفيد ولا شك ، فبقاؤنا قد يعتمد يوما ما على حصولنا على معلومات فورية عن موضوع معين .. إن مصر أو سوريا تستطيع الواحدة منهما أن توجه إلينا ضربة عن طريق الجو فى غضون دقائق وعن طريق البر فى غضون ساعات** » .

وهذه المعلومات الفورية لابد أن تكون عن تحركات الجيوش العربية .. ولن تتوافر إلا باستخدام الكومبيوتر .

ومن ثم .. سعى إلى إدخال الكومبيوتر إلى جهاز المخابرات الإسرائيلى .

وفى سنة ١٩٥٤ أصبح الرجل الثانى فى المخابرات العسكرية « **أمان** » بعد رئيسها الكولونيل **بنيامين جيفلى** .. وبقى فى منصبه بعد ذهاب **جيفلى** وتولى **يهو شفاط هاركابى** المسئولية حتى سنة ١٩٥٩ .. وقد كانا متفقين فى الرأى حول تكنولوجيا التجسس والمعلومات .. مع أن **هاركابى** كان متخصصا فى الفلسفة والأدب العربى .

فكان أن صمما على إعادة تنظيم « أمان » حتى « تصبح من الناحية التقنية على قدم المساواة مع وكالة المخابرات الأمريكية » .

وكان أن أصرا على أن وزارة الدفاع فى حاجة إلى كومبيوتر لجمع المعلومات العسكرية وتحليلها .. « وكانت المعارضة الرئيسية لتركيب الكومبيوتر تقوم على أساس تكلفته .. كما أن بعض القادة العسكريين كانوا يفضلون الطرق التقليدية فى جمع المعلومات » .

وقد قال **نيومان** :

« قد تكون هذه الطرق كافية اليوم ، وربما تكون كذلك غدا أو فى السنة القادمة . ولكن سيُحكم علينا بالهلاك إذا لم نحصل فى غضون عشر سنوات على الكومبيوتر ومحطات المراقبة الإلكترونية فى سيناء » .

وتلقى **نيومان** دعما من رئيس الأركان **موشى ديان** .. الذى أقنع **بن جوريون** بتجاوز المعارضة فى وزارة الدفاع .. ومن ثم .. بدأ تنفيذ مشروع الكومبيوتر .

وفى حرب ١٩٥٦ ، جرب **نيومان** حاسباته الإلكترونية لأول مرة فى جمع المعلومات من الأسرى المصريين الذى تولى هو بنفسه استجوابهم .. لم تكن الأسئلة مباشرة لمعرفة الأسرار العسكرية .. وإنما كانت غير مباشرة .. مثل « فى أية مدرسة كنت ؟ » .. « كم من الوقت استغرقت فى الوصول من بيتك إلى مقر وحدتك العسكرية ؟ » .. « كيف تقضى وقت فراغك هناك ؟ » .

وببرمجة هذه المعلومات فى الكومبيوتر .. عرفت إسرائيل الكثير .

وحسب كتاب **ستيف ايتان** « عين تل أبيب » ساهمت هذه المعلومات فى رسم خطة حرب يونيو ١٩٦٧ .. الخاطفة .

وبجانب ما يؤخذ من الصحافة ، أصبح لكل ضابط مصرى ملف فى إسرائيل .

وبجانب الحاسبات الإلكترونية كان **نيومان** وراء إنشاء محطات الإنذار المبكر فى سيناء .. ووضعت أمان ـــ فى مناطق متقدمة على الحدود ـــ أجهزة حساسة جدا « تستطيع أن تلتقط المحادثات العسكرية المصرية على بعد نصف ميل تقريبا » .

فى سنة ١٩٥٨ ، عُين نيومان ملحقا عسكريا فى لندن « حتى يستطيع تكريس المزيد من الوقت للبحث العلمى ، ويحوز على درجة الدكتوراه فى الفيزياء النووية » .

وعندما انتهت دراسته عاد إلى إسرائيل ليصبح عضوا فى لجنة الطاقة ، وانضم إلى فريق علماء ديمونة وكان وراء زيادة طاقة المفاعل الفرنسى هناك من ٢٦ إلى ١٥٠ ميجاوات .

كما أنه كان وراء توليد أجيال متطورة من القنبلة الذرية .. أجيال أصغر حجماً وأشد فتكا وأقل تأثيرا على إسرائيل .. وهذا ما يعرف بالقنبلة النظيفة .. أى القنبلة التى تُستخدم فى حرب محدودة دون أن يمتد إشعاعها إلى حدود من يطلقها .

ويعود بنا **ديكون** إلى الوراء ليقول إن **نيومان** ــ بمجرد أن كسب معركة الحاسبات الإلكترونية ــ أبدى اهتماما كبيرا ببحوث إسرائيل النووية .. وقد أشرف على مفاعل نحال سوريك .. وكان همه الكبير استخدام الفيزياء النووية فى الأغراض العسكرية .

وبفضله .. أقامت إسرائيل مفاعل ديمونة .

فقد كان البطل الأول فى صفقة التعاون النووى بين فرنسا وإسرائيل .

ثم .. إنه كان مهندس التفاوض فى هذا المجال مع جنوب إفريقيا .

وقد أوصل نيومان علاقة إسرائيل النووية بجنوب إفريقيا إلى مستوى من التلاحم لم تصل إليه علاقتها النووية بفرنسا التى صارت مثلا .

لقد وصلت هذه العلاقة إلى حد ، سمحت جنوب إفريقيا ــ بعده ــ لإسرائيل بتفجير إحدى قنابلها الذرية المتطورة فى مكان يُسمى « جزر الأمير أدوارد » على مسافة ١٥٠٠ ميل تقريبا ، جنوب شرق رأس الرجاء الصالح ، عند منتصف المسافة بين جنوب إفريقيا والقارة القطبية الجنوبية .

وكان ذلك فى فجر يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٧٩ .. قبيل الخامسة صباحا .

وفى كتابه (بالسيف ــ أمريكا وإسرائيل فى الشرق الأوسط) يؤكد **سيتفن جرين** أن قاعدة باتريك الجوية (مقر أعمال وكالة الرصد النووى التابعة لسلاح الجو الأمريكى ــ شاطىء كوكوا ــ ولاية فلوريدا) سجلت إشارات التفجير ، التى أُطلقت بواسطة سلسلة الأقمار الصناعية « فيلا » .. وهى الأقمار

التى تمكن الولايات المتحدة من رصد التفجيرات النووية على مدار الكرة الأرضية ، وسبق لها رصد ٤١ تفجيرا فى الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٨٠ ، وهى تحلق على ارتفاع ٦٠ أو ٧٠ ألف ميل » بحيث يغطى كل جهاز من أجهزة الإحساس المزدوجة فيها نصف الكرة الأرضية تقريبا » .

لم تستبعد الولايات المتحدة أن يكون التفجير إسرائيلياً .. لذلك .. فقد تأخرت فى إرسال طائرات الاستطلاع لتحلق على علو شاهق فوق مكان الانفجار (كما هى العادة) بهدف جمع عينات من الهواء وقياس نسبة الإشعاع فيها .. تأخرت ٣ أسابيع كاملة .. « فلم يتم العثور على أية نسبة إشعاعات مهمة أو غير طبيعية » .. وكان أن منحت إسرائيل فرصة الإنكار .

« ووضعت وكالة المخابرات المركزية ، ووكالة مخابرات الدفاع ، عملاءهما فى جنوب إفريقيا على أهبة الاستعداد على أمل أن يفتح بعضهم فَمه عاجلا أو آجلا ... لكن المعلومات لم تصل » ..

فى فبراير ـــ ١٩٨٠ ، نقلت إذاعة كولومبيا الإخبارية (سى . بى . إس) تقريرا لمراسلها فى تل أبيب ، **دان رافيف** ، أكد فيه « **أن انفجار جزر الأمير إدوارد كان فى الحقيقة عبارة عن قنبلة إسرائيلية تم تفجيرها من خلال تجربة مشتركة بين إسرائيل وجنوب إفريقيا** » .

وعُوقب المراسل بالطرد .

وفى الشهر التالى منعت الرقابة العسكرية الإسرائيلية كتاب **ايلحا تاتشر وآمى دور** « لن يحيا أحد بعدنا » الذى شرحا فيه بالتفصيل التعاون القائم بين إسرائيل وجنوب إفريقيا فى تطوير الأسلحة النووية .. وفى الكتاب .. أن بطل التجربة كان **نيومان** .. الذى « يعد أشهر علماء إسرائيل » .. والذى صمم قنبلة البلوتونيوم ، وطورها .. وفى الكتاب .. أن إسرائيل تلقت عروضا من جنوب إفريقيا لتجريب الأسلحة النووية فى ١٩٦٩ .. « لكنها لم تقبل ذلك إلا بعد ١٠ سنوات » .

وفى كتاب آخر (دقيقتان فوق بغداد) **لعاموس برلموتر** أن انفجار جزر الأمير ادوارد شمل سلاحاً تكتيكيا أُطلق من مدفع هويتزر متقدم (١٠٥ مم) .. يبلغ مداه ٧٥ ميلا .. حصلت عليه إسرائيل سرا فى سنة ١٩٧٧ من هيئة أبحاث الفضاء الأمريكية .

وقد تأكدت هذه الحقائق فى سنة ١٩٨٦ عندما وضع **رونالد والترز وكينيث رين** (وهما باحثان أمريكيان) دراستهما الجريئة لحساب المعمل الأمريكى للبحوث البحرية ، واستندا فيها على ٣٠٠ صفحة من الوثائق الرسمية .. فقد أثبتا أن الأسطول الأمريكى كان يؤمن بأن ذلك الانفجار النووى حدث فعلا .. وهو عكس الموقف المعلن .. الذى اضطرت له إدارة الرئيس **جيمى كارتر** حتى لا تكشف عن مساحة تورطها الخفى والكبير فى البرنامج النووى لجنوب إفريقيا .. وحتى لا تُجبر ـــ ماديا وأدبيا ـــ على ما تكره .. معاقبة إسرائيل .

لقد قام البيت الأبيض بتغطية الحادث حتى يتجنب الزلزال الذى كان سيحدث فى سياسته .. إذ كان عليه إصابة جنوب إفريقيا وإسرائيل بضربة واحدة .. وخاصة أن القوانين الأمريكية (مثل قانون **سمنجتون**) تقضى بقطع المعونات عن الدول التى تعمل سرا على تطوير الأسلحة النووية .

والمذهل .. أن تفجيرا مشابها حدث فى نفس المكان ونفس الزمان ولكن بعد عام .. ورصدته الأقمار الأمريكية أيضا .. ومع أن الإدارة الأمريكية قد تغيرت (جاء **رونالد ريجان**) فإن الموقف الرسمى الأمريكى لم يتغير .

بل ... إن **رونالد ريجان** ـــ الذى تصرف كتاجر لا كرئيس ـــ لم يتردد فى بيع ما قيمته ٣٠ مليون دولار من اليورانيوم المخصب لجنوب إفريقيا ، لتشغيل مفاعل نووى جديد فى مدينة « كوريك » .. « على الرغم من أن البيع كان خرقا واضحا لقرار الرئيس **جيمى كارتر** الخاص بعدم تصدير الأسلحة النووية الصادر فى عام ١٩٧٨ .. لكن البيت الأبيض نجح فى تجنب القانون ونظم عملية البيع عن طريق طرف ثالث من الوسطاء » .

إن ذلك الأسلوب كان نوعا من المساعدة غير المباشرة لإسرائيل .

فقد قال **ريجان** : إن إسرائيل توصلت بالفعل إلى السلاح النووى .. ولن يجدى القيد .. لقد « هرب الطائر من القفص .. فعلا » .. حسب ما ذكره **مارك جافنى** فى دراسته « سجناء الخوف » السابق الإشارة إليها .

وفى سنة ١٩٨٢ ، وافقت الحكومة الأمريكية على أن تبيع لجنوب إفريقيا أجهزة كومبيوتر متقدمة (من طراز سيبر ١٧٠ ــ ٧٥٠) على الرغم من أنها تستخدم فى تصميم الأسلحة النووية .. وقيل .. إن وراء الصفقة شخصا كان يعشق الكومبيوتر ــ منذ صباه ــ هو **يوفال نيومان** .

وحسب إضافة **مارك جافنى** .. فإن التجارب المشتركة بين إسرائيل وجنوب إفريقيا كانت للحصول على قنبلة نيوترون .. أى قنبلة تقتل البشر دون أن تدمر الممتلكات .. وهى معدة أصلا فى حلف الأطلنطى للدفاع عن أوروبا الغربية ضد أى هجوم سوفييتى بالدبابات .. لكنها .. ستكون ــ بالنسبة لإسرائيل ــ موجهة ضد العرب .. وستوجه ــ بالنسبة لجنوب إفريقيا ــ للقمع العنصرى .

وتتميز قنبلة النيوترون ــ عن الأسلحة النووية الأخرى ــ بميزة إشعاعية توصف بانها حادة .. لكنها .. محلية جدا .. وقصيرة العمر .

والمثير للسخرية .. أن إسرائيل صوتت ــ فى سنة ١٩٨٠ ــ على قرار الأمم المتحدة بتكوين منطقة خالية من الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط .

وكانت مصر وإيران قد أشرفتا على صياغة القرار !

وبالرغم من ذلك لم تتردد إسرائيل فى شن حملة ضد مصر لأنها ستدخل المفاعلات النووية فى توليد الكهرباء .. وكان على رأس هذه الحملة **نيومان** نفسه .. الذى قال : إنه لا فرق بين ذرة للسلام وذرة للحرب .. لا فرق بين مفاعل للكهرباء ومفاعل للقنبلة الذرية .

ومع أنه ترك ديمونة ، وتفرغ لقراءة الروايات المصورة ، وجمع الصور العارية ، وتأييد الاستيطان الإسرائيلى فى الضفة الغربية ، فان نيومان لا يزال تحت الطلب فى مجال الاستشارات النووية الرسمية .. كما أنه أصبح صاحب مدرسة « ذرية » معروفة هناك ، زاملة وتتلمذ على يده ، فيها معظم علماء الذرة فى إسرائيل .. وأشهرهم :

□ **يهود بايفين** ــ الذى ساهم بدور كبير فى تصنيع القنبلة الإسرائيلية .. ولد فى لندن .. سنة ١٩٢٤ .. تربى فى تل أبيب .. تخرج فى الجامعة العبرية عام ١٩٥٢ .. حصل على شهادة الدكتوراة فى الإشعاع النووى من معهد وايزمان ، سنة ١٩٥٦ .. تخصص فى الولايات المتحدة فى المفاعلات النووية .. وفى فرنسا تدرب فى مراكز الأبحاث النووية .. إلتحق بعد عودته فى سنة ١٩٦٠ بديمونة .. ولا يزال .

□ **تسفى فيرن** ــ الملقب **بكوتشيك** .. ولد فى تل أبيب سنة ١٩٥٠ .. درس الفيزياء فى الجامعة العبرية وحصل على الدكتوراه منها فى سنة ١٩٧٧ .. فى بريطانيا وأمريكا تعمق لمدة ٥ سنوات فى تخصصه .. وبعد عودته عمل لمدة ٣ سنوات كبير باحثين فى الفيزياء النووية بمعهد راكاح بالجامعة العربية .. وفى سنة ١٩٨٤ نقل إلى ديمونة .

□ **دورو سدية** ــ الذى يجمع بين الذرة والفضاء .. ولد فى رامات شارون سنة ١٩٣٢ .. درس حتى درجة الماجستير فى الجامعة العبرية ..حصل على الدكتوراه فى الطبيعة النووية من فرنسا .. عمل لفترة فى معامل أبحاث الأسطول الأمريكى .. فى ١٩٧٢ استأنف عمله فى جامعة تل أبيب .. ثم انتقل بعد ذلك إلى ديمونة حتى ١٩٧٦ .. وهو الآن رئيس قسم أبحاث الفضاء بمعهد التاخنيون .

يضاف إلى هؤلاء عدد من العلماء كانوا أعضاء فى لجنة الطاقة النووية .. إسرائيل **دوستروفسكى .. عوزى عيم .. إبراهام كوجن .. باروخ باديه .. إسرائيل فلاح .. تسفى دينشتان .. اليعازر تال .. تسفى تسور .. ومناحم كنتور .**

ومن أشهر وأبرز علماء الذرة هناك أيضا .. **إبراهام يفه .. يجال تالمى .. دى شليط .. حايم هرارى .. سعادى عمائيل .. وساديا أميل .**

وكما يُوصف **يوفال نيومان** بأنه أبو القنبلة الذرية .. يُوصف البروفيسور **إدوارد كلير** بأنه أبو القنبلة الهيدروجينية .

وهؤلاء وغيرهم من العلماء يعيشون فى مستوى مادى وأدبى محترم ، يجعلهم لا يفكرون فى البحث عن إعارة أو هجرة أو عقد عمل .

إنهم ورثة الأنبياء ... ومن حقهم ذلك ؟

□ ١٩ □
على طريق سميرة موسى !

لم يكن الدكتور **يحيى المشد** أول قتلى الذرة فى مصر .

فقبله .. قُتل عالم ذرة مصرى آخر .. هو **نبيل القلينى** .

وهناك شك لم يُحسم بيقين حتى الآن أن الدكتور **على مصطفى مشرفة** قد مات مسموما .. والمعروف انه كان عالما .. عالميا .. وأنه كان نابغة .. وأنه كان واحدا من خمسة فقط ــ فى بداية الأربعينات ــ فهموا نظرية **ألبرت آينشتين** .. عالم الفيزياء الأكبر وصاحب نظرية النسبية .. وأصبحوا قادرين على تكسير الذرة .. وتحويلها إلى سلاح هائل التدمير .

منهم **أوتو هامن** .. **وفريتز ستراسمان** فى ألمانيا النازية .

ومنهم **روبرت أوبنهيمر** مفجر القنبلة الأمريكية .. وزميله العالم الأمريكى **ليوزيلارد** .

وقد كان الدكتور **على مشرفة** عميد كلية العلوم ــ فى سنة ١٩٣٥ ، عندما دخلتها طالبة .. قدر لها أن تصبح أول عالمة عربية فى الذرة .. وأن يكون مصيرها القتل أيضا ... هى الدكتورة **سميرة موسى** .

ولدت فى ٢ مارس ١٩١٧ .. فى قرية سنبو الكبرى ، مركز زفتى ، محافظة الغربية .. والدها الحاج **موسى على أبو سليم** كان « من رجال القرية المعروفين بالكلمة المسموعة » .. لم يفكر ــ كعادة تلك الأيام ــ فى أن يعلم بناته الأربع .. وكانت **سميرة** أصغرهن .. وقد قبل فقط أن تحفظ القرآن فى كتاب القرية .

لكن .. حادثا ما وقع .. غيّر ذلك .

مات زعيم ثورة ـــ ١٩١٩ . **سعد زغلول** ، واشترى أحد أهالى القرية صحيفة نشرت الخبر ، وعاد بها إلى سنبو الكبرى .. يبحث عمن يقرأها له .. **فقد** كان أميا مثل غالبية الناس فى قريته .

مرت **سميرة** أمامه بالصدفة .. كانت عائدة من كتاب الشيخ **سيد البكرى** .. استوقفها .. سألها .. « تعرفى تفكى الخط ياشاطرة » .. هزت رأسها .. أمسكت الصحيفة .. بدأت تقرأ .. راح أهل القرية يتجمعون حولها .. قرأت كل ما كُتب عن **سعد زغلول** .. أحس الفلاحون بأن « العلم نور » فعلا .

ما حدث فى اليوم التالى كان أغرب .

قال لها عمدة القرية :

ـــ اقرئُ لنا يا **سميرة** مرة أخرى ما كتبته الجريدة عن **سعد زغلول باشا** .

ثم طلب من تابعه أن يحضر الجريدة .. لكنها .. قالت :

لا داعى لذلك .. فقد حفظت من مرة واحدة كل ما قرأت ! .

وأمام ذهول ودهشة الجميع أعادت **سميرة موسى** كل ما قرأته عليهم بالأمس .. ذاكرة قوية .. حرام أن يصيبها الصدأ .. وأضاف أعيان القرية ومشايخها .. وحرام أيضا « والله » ألا تذهب إلى المدرسة ـــ مثل الأولاد ـــ وتتعلم .

ولأن إمام الجامع أفتى بالحق ، انتقلت **سميرة** ووالدها إلى القاهرة .. لتتعلم .. كان عمرها ١١ سنة .. وقد باع الأب الأرض الزراعية التى يملكها ، واشترى بثمنها « لوكاندة » صغيرة فى حى سيدنا **الحسين** .. ثم كان أن اشترى « لوكاندة » أخرى فى ميدان العتبة .. ما زالت موجودة إلى الآن .. لوكاندة وادى النيل .

التحقت بمدرسة قصر الشوق الابتدائية .. ثم مدرسة « بنات الأشراف » الثانوية التى كانت تُشرف عليها المربية ـــ الرائدة **نبوية موسى** .... وكانت **سميرة** الأولى دائما .

وتقول شقيقتها ـــ **عواطف** :

ـــ إنها فى المرحلة الثانوية .. ظهر نبوغها .. وتجلى ذلك فى قيامها بتأليف كتاب

فى الجبر الحديث وهى طالبة فى هذه المرحلة .. طُبع منه ٣٠٠ نسخة ... مع أنها كانت تبدو أنها أميل للأدب .. فقد كانت لا تكف عن قراءة كتب الأدب .

وفيما بعد .. قال **صالح مرسى** فى مجلة المصور (٣٠ ابريل ١٩٨١) .. إن دولابها كان مكتظا بترجمات **تولستوى** .. **تشيكوف** .. **فيكتور هوجو** .. **وجان جاك روسو** .. بالإضافة إلى كتب **طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم** .. ورسالة الغفران **لأبى العلاء المعرى** .

« وفى ركن من الدولاب ، كتابان لهما مكانة خاصة .. القرآن .. وصحيح البخارى » .

إن العلم بدون الآداب الإنسانية .. شقاء .

والعلم بدون القيم الروحية .. فناء .

هكذا .. فهمت **سميرة موسى** معادلة الحياة وهى تتقدم بأوراقها إلى كلية العلوم .. بعد أن أصبحت الأولى على القطر كله فى امتحان البكالوريا .

كان من الصعب أن يقبل الأب تعليم ابنته فى المدارس .. فكيف استسلم للجامعة ؟ .

حسب ما قاله الأب **لصالح مرسى** (ص ٧٢ ــ المصدر السابق) .. **« أصلها هددتنى بالانتحار »** .

« أصل دماغها كانت ناشفة .. قالت لى إنها إن ما دخلتش الجامعة حاترمى نفسها من الشباك » .. « طب أعمل إيه .. مانا خفت إنها تعمل حاجة فى نفسها » .

تخرجتْ فى كلية العلوم سنة ١٩٣٩ .. كانت الفتاة الوحيدة فى الدفعة .. وكانت الأولى عليها أيضا .

فى ذلك الوقت لم يكن فى هيئة التدريس بالجامعة سوى الرجال .. وحتى تصبح **سميرة موسى** معيدة بالكلية كان لابد أن يوافق مجلس الوزراء .. لم يكن ذلك ممكنا إلا بعد أن هدد الدكتور **مشرفة** بالاستقالة .. كما أنه لم يتردد أن يكون تعيينها فى هذا الموقع العلمى على مسئوليته .

حصلت على درجة الماجستير بمرتبة الشرف عن موضوع « التوصيل الحرارى

خلال الغازات وتكييف الهواء » .. وكان عليها أن تسافر إلى بريطانيا للحصول على شهادة الدكتوراه .. لكن .. ظروف الحرب العالمية الثانية فرضت عليها الانتظار حتى سنة ١٩٤٦ .

فى ذلك الوقت كانت الذرة لغزا غامضا .. معقدا .. وكانت الحرب قد انتهت بقنبلة هيروشيما فى ٦ أغسطس ١٩٤٥ ، وبعدها بيومين كانت قنبلة نجازاكى .. وكان ضحايا القنبلة الأولى ١٠٠ ألف إنسان .. ثم .. كان تساقط الإشعاع النووى .. وتهديد الحياة على الأرض بعصر من الجليد ، تختفى فيه الشمس وراء مخلفات الانفجار .

وقد أفزع هذا التصور الباحثة الشابة .

أفزعها أن تعود الحياة إلى الظلام .. والصقيع .. وتتجمد أطرافها إلى الأبد .

فكان أن سعت لدراسة الإشعاع النووى .. وفى كلية بدفورد القريبة من لندن .. حصلت على الدكتوراه فى الأشعة السينية وتأثيرها على المواد المختلفة .. وكان زميل الدراسة الدكتور **جمال نوح** .. الذى شارك فى إقامة أول مفاعل ذرى فى مصر .

لم تستغرق الدكتوراه سوى سنتين .. فترة قياسية لم يسجلها أحد قبلها أو بعدها .. فقد انتهت منها فى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٨ .. وقال أستاذها بروفيسور **فلينت** فى ملاحظاته عنها .. إنها لطيفة .. طيبة .. ممتازة .. لها شعبية .

لم تعد للقاهرة فور حصولها على الدكتوراه .. فقد بقى لها ــ من المدة المقررة للبعثة ــ سنة أخرى .. قضتها فى المعامل والمستشفيات لتحقق حلمها الكبير .. كيف يمكن أن تستخدم الذرة فى علاج السرطان ؟ .

وقبل أن تنتهى السنة الثالثة كانت قد توصلت إلى ما هو أخطر .. تفتيت ذرات معادن رخيصة .. متوافرة فى كل بقاع الأرض .. مثل الحديد والنحاس .. وهذا يعنى أن القنبلة النووية يمكن أن يملكها الجميع .. وبسعر أرخص من الأسلحة التقليدية .

وقد جعل ذلك منها عالمة مشهورة جدا .. خطرة جدا .. فكان أن تلقت دعوة للسفر إلى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٥١ ، طبقا لبرنامج يُسمى برنامج فولبريت ..

وأتيح لها إجراء أبحاث فى معامل جامعة سان لويس بولاية ميسورى الأمريكية .. وكان هناك من ينظر بعين القلق لما تفعل .

فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢ ، ركبت سيارة إلى كاليفورنيا لمواصلة تجاربها فى جامعتها .. وفى الطريق دفعتها سيارة أخرى .. عند نقطة خطرة .. فى منطقة مرتفعة .. لتسقط السيارة فى الهاوية ومعها الدكتورة **سميرة موسى** .. وكان من الممكن أن يكون الحادث قضاء وقدرا .. لولا أن سائق السيارة قفز منها .. دون مبرر سوى أنه كان يعرف ماذا سيحدث .. ثم .. دعم ذلك أنه اختفى إلى الأبد .. وظهر أنه كان يحمل اسما مستعارا .

قيد الحادث ضد مجهول .. ولم يعرف أحد بدقة كيف وقع ؟ .. ولماذا ماتت **سميرة موسى** وحدها ؟ .. وكيف قفز السائق فى الوقت المناسب ؟ .. ومن هو ؟ .. وأين اختفى ؟ .. ومن الذى دعاها إلى هذه الرحلة التى كانت قبل أيام قليلة من رحلة العودة إلى الوطن ؟ .

إن هناك من يشير بأصابع الاتهام إلى المخابرات الأمريكية .. التى كانت لا تقبل أن يتوصل أحد غير الأمريكيين إلى السلاح الذرى .. خاصة بعد تجريبه فى اليابان .. وما صحبه من هول .. وندم .. ويدعم ذلك .. أنه وقت مصرعها .. كان الناس فى أمريكا مشغولين بقضية نووية شهيرة ، تعرف بقضية روزنبرج .

وروزنبرج هو **جوليوس روزنبرج** الذى سلم وزوجته **راشيل** أسرارا عن القنبلة الذرية إلى الروس مكنتهم من إنتاجها بسرعة واللحاق بالولايات المتحدة فى سباق امتلاكها .

وقد حُكم على الزوجين بالإعدام على الكرسى الكهربائى .

لكن .. اتهام المخابرات المركزية بقتل **سميرة موسى** لا يجد أدلة قوية عليه عند الذين يطلقونه .. على عكس اتهام الجماعات الصهيونية بتدبيره .

إن ثورة يوليو لم يكن قد مر عليها سوى ٣ أسابيع تقريبا .. وقد أفزع قيامها **ديفيد بن جوريون** الذى سيطر عليه هاجس .. أن العسكريين الشبان الذين قاموا

بها سيدمرون إسرائيل ، كى يمحوا عار هزيمتهم فى حرب ١٩٤٨ .. كما أن انهيار النظام الملكى فى مصر قطع كل خيوط الاتصال والاطمئنان القوية بين تل أبيب وقصر عابدين مما ضاعف من قوة تأثير هذا الهاجس على مؤسس ومُعلن دولة إسرائيل وأول رئيس حكومة وأول وزير دفاع لها .. كذلك .. فإن الإرهابى العجوز كان قد فكر فعلا فى أهمية القنبلة الذرية لإسرائيل .. ولم يكن من الممكن ان يترك لمصر فرصة لتتوصل إليها .. ومن ثم فإن قتل عالمة تعرف الكثير مثل **سميرة موسى** مسألة لا تحتاج التأجيل .. وخاصة أن الفرصة سانحة ..

ويدعم ذلك .. سؤال **ألبرت آينشتين لمحمد حسنين هيكل** ، فى الحوار الذى جرى بينهما ، سنة ١٩٥٢ ، وأعاد **محمد حسنين هيكل** نشره فى كتاب « زيارة جديدة للتاريخ » ــ ص ١٩١ ..

سأل **آينشتين** :

□ هل صحيح انك تعرف بعض شباب الضباط الذين قاموا بالثورة ؟

أجاب **هيكل** :

ــ **إننى إلى حد ما ... أعرف بعضهم** .

□ هذا ما أريد أن أسألك فيه . هل تعرف ما الذى ينوون عمله بأهلى ؟ .

ــ وعندما دُهش **هيكل** .. أضاف **آينشتين** مفسرا :

□ أهلى من اليهود ... هؤلاء الذين يعيشون فى إسرائيل .

ويدعم ذلك أيضا ..

أن إسرائيل عرضت على **آينشتين** أن يكون رئيسا لها .. وصاحب الاقتراح كان **بن جوريون** الذى أكد له ذلك قائلاً « **إن قبولكم لهذا المنصب الذى يعرض عليكم لن يؤدى إلى تعويق حريتكم فى مواصلة عملكم العلمى العظيم** » كما جاء فى رسالة له تحمل توقيع **أبا إيبان** ، سفير إسرائيل لدى واشنطن .. وتضيف الرسالة :

« **وبالعكس فإن الحكومة والشعب فى إسرائيل سوف يبذلان كل جهد تمكينكم من ذلك إدراكا منهم للأهمية القصوى لهذا العمل** » .

أى أن **بن جوريون** كان يريد القنبلة من مصدرها الرئيسى .

وقد رفض **آينشتين** المنصب .. ليس لأنه ضد دولة إسرائيل وإنما لأنه ضد منطق الدولة فى حد ذاته .. فوجود الدولة يستدعى استعمال العنف وهو ضده .. « **وأظن أننى كنت سأتحمل على ضميرى عبء ما لم أقره بمحض إرادتى » ـــ هيكل ـــ** ص ٢٤٠ المصدر السابق .

ولو صح أن إسرائيل قتلت **سميرة موسى** .. لكان معنى ذلك أنها تترصد عقولنا منذ أكثر من ٣٧ سنة .. مع أن عمرها ٤٠ سنة فقط .

وقد قُتلت **سميرة موسى** فى الغربة مثل **يحيى المشد** .

ورحلت مثله فى سن النضج والعطاء .. كان عمرها ٣٥ سنة .

وكلاهما مات بلا ثأر .. مثل المهربين وتجار الشنطة .

والخوف من علمهما .. كان السبب .. اى أن سر القوة كان أيضا عامل الفناء .

ومثلهما علماء كثيرون فى العالم الثالث .. ففى الفترة من ١٩٥٩ إلى ١٩٨٥ .. قُتل من هؤلاء ، فى ظروف غامضة ١٤٦ عالما ذريا .. من الهند .. وباكستان .. والأرجنتين .. وجنوب إفريقيا .. و ١٣ دولة نامية أخرى حسب وثائق وكالة الطاقة الذرية الدولية .

وحسب نفس المصدر :

٩٨ ٪ من الضحايا قُتلوا خارج بلادهم وكانوا يشكلون خطرا على دولة أخرى ، ولم يعرف الجناة حتى الآن .

٩٢ ٪ منهم تلقوا عروضاً للعمل فى دول أخرى غير دولهم .. ورفضوا .

نصفهم على الأقل قُتل بالرصاص .. أما النصف الآخر فقُتل بوسائل متنوعة .. السم .. حادث سيارة .. تفجير بيته .. إلخ .

وفى معظم الحالات .. لم تطلب دول الضحايا تعويضا أو سعت للثأر بل إنها فى أغلب الأحيان كانت تفضل عدم كشف الجناة .

وشبه المؤكد أن الجناة منظمات إرهابية أو أجهزة مخابرات .. معادية .

وشبه المؤكد أيضا أن الضحايا لم يكونوا تحت حماية من نوع ما .. فهم ثروة غير معروفة القيمة فى دولهم .

فمرة أخرى .. لا كرامة لعالم ذرة فى العالم الثالث .

وفى بلادهم لا يوضع هؤلاء العلماء تحت الحراسة .. وإنما يوضعون تحت المراقبة .. لا خوفا عليهم ، بل خوفا منهم .

ولأن الذرة فى تلك الدول سياسة .. فهى غالبا ما تكون تابعة وخاضعة لدولة أخرى .. عظمى ، أو كبرى .. معظم الظن أنها غربية .. لذلك .. فهذه الدول تربى .. والغرب يأخذ علماءها على الجاهز .. إنها سرقة العقول لا هجرتها فقط .

وكل الإغراء يوضع فى طريق هؤلاء العلماء حتى ينخلعوا من جذورهم .. وإذا فشل الإغراء مع بعضهم ينجح القتل .. فلو لم تكن قوة العلم فى يد الكبار لابد أن تُحرق وتُقطع أصابع الصغار .. فلا يجوز أن يكون فى مصر **سميرة موسى** .. أو **مصطفى مشرفة** .. أو **يحيى المشد** .. أو **نبيل القلينى** .. إنهم خطر .. ولابد من التخلص منهم فى الوقت المناسب ... وقد كان .

□ □ □

□ ٢٠ □
وثائق ... النهاية !

عاد الدكتور **يحيى المشد** إلى القاهرة فى تابوت أُحكم إغلاقه .. ووُضع فى بطن طائرة « مصر للطيران » .. رحلة رقم ٧٩٦ ، التى أقلعت من مطار « أورلى » بباريس .. يوم الأربعاء ٢٥ يونيو ١٩٨٠ .

كان من المقرر أن يعود ــ حسب اللوائح ــ على حساب الحكومة الفرنسية .. وعلى إحدى طائرات شركتها الوطنية .. إلا أن العراقيين أصروا على تحمل كافة النفقات ، بما فى ذلك ، تكاليف شحن الجثمان إلى وطن الدكتور **المشد** .. مصر .. فكان أن استُبعدت إير فرانس من المهمة .

لم يشعر ركاب الطائرة ومعظمهم من المصريين بأى شىء غير عادى .. مع أن طاقم السفارة المصرية وعدد كبير من جنرالات البوليس الفرنسى كانوا على سلم الطائرة قبل إقلاعها، متأخرة عن موعدها بعض الوقت .

كان على رأس رجال البوليس الفرنسى ، المدير العام لشرطة باريس ، الجنرال **س . كوميتى** .. ومفتش بوليس المطار الجنرال **موجا** .

وهما اللذان سمحا بنقل الجثة جوا ، ووقعا وثيقة ــ حصلت على صورة ضوئية منها ــ تفيد بذلك .[1]

جمهورية فرنسا
الإدارة العامة للبوليس
المكتب الثالث

باريس ــ فى ٢٣ يونيو ١٩٨٠

---

(١) انظر صورة الوثيقة فى ملحق الوثائق .

تصريح بالدفن !

يصرح بالنقل عن طريق الجو ، دون اعتراض من أى دولة تمر عليها الطائرة ، لجثمان السيد **يحيى المشد** المتوفى يوم ٨٠/٦/١٣ فى باريس ١٧٠ (رقم المنطقة التى قُتل فيها) — فرنسا .

المدير العام لشرطة باريس

الجنرال **كوميتى**

ووقع الجنرال **جوما** على التصريح بالعلم ، واعتمد من السفارة المصرية بتاريخ اليوم التالى .

فى اليوم نفسه صدرت الوثيقة التالية أيضا .

قسم باريس

إدارة الشئون الصحية

القومسيون الطبى

٦٥٣ — مسيو يحيى المشد — مصر — رقم مسلسل ١٢٣٥٤ .

تقرير

أقر أنا الدكتور المسئول عن القومسيون الطبى بإدارة الشئون الصحية والاجتماعية فى باريس بأنه خالٍ من الأمراض المعدية .. فلا تيفويد ولا جدرى (من ١٤ يوما) ولا كوليرا (من ٥ أيام) .

تحريرا فى باريس — ٢٣ يونيو ١٩٨٠ .

توقيع غير واضح .[٢]

واعتمدت هذه الوثيقة من السفارة المصرية فى ٨٠/٦/٢٤ .

وفى يوم ٢٤ يونيو أيضا .. جاء تقرير المشرحة الذى سّهل عملية نقل الجثمان إلى القاهرة .

---

(٢) انظر صورة الوثيقة فى ملحق الكتاب .

صور... ومستندات

PREFECTURE DE POLICE

Direction de la
Police Générale

INSTITUT MEDICO-LEGAL

2, place Mazas
75012 PARIS

REPUBLIQUE FRANCAISE

PARIS, le 24.06.1980

CERTIFICAT DE NON CONTAGION

Je soussigné, Professeur BAILLY, Médecin Inspecteur de l'Institut Médico-Légal de la Préfecture de Police à Paris, certifie que

M. EL MESHAD Yahia Amin

né le 11. 11. 1932

à BANHA (Egypte)

dont le corps a été transporté le 14.6.

à l'Institut Médico-Légal,

n'est pas décédé d'une maladie contagieuse.

En conséquence, rien ne s'oppose sur le plan sanitaire, au transport du corps en dehors des limites du territoire métropolitain.

Le Médecin-Inspecteur
de l'Institut Médico-Légal

24-6-80

□ تقرير من البوليس الفرنسي عن حادث اغتيال المشد

DEPARTEMENT DE PARIS

DIRECTION DES AFFAIRES SANITAIRES
ET SOCIALES DE PARIS

Sous-Direction de l'Action Sanitaire

683 Mr Yahia EL MESHAD
EGYPTE.

ATTESTATION

Je soussigné, médecin des Actions Sanitaires à la Direction des Affaires Sanitaires et Sociales de Paris, certifie qu'en dehors des cas de maladies infectieuses endémiques habituelles et de quelques cas de typhoïde, il n'existe aucune épidémie dans le Département de Paris, notamment pas de cas de variole depuis 14 jours, pas de cas de choléra depuis 5 jours.

Fait à PARIS, le 23 JUIN 1980

La Médecin de la Santé
Chargé des Actions Sanitaires

PREFECTURE DE PARIS

24-6-80

تقرير الطب الشرعى .



وزارة الداخلية
MINISTERE DE L'INTERIEUR
مصلحة وثائق السفر والهجرة والجنسية
ADMINISTRATION DES PASSEPORTS
DE L'IMMIGRATION ET DE LA NATIONALITE

13043 / ١٧٠٤٢

No du passeport 74 .... ٧٤ رقم الجواز

Bureau d'émission .... الإسكندرية الجهة التي أصدرته

Date d'émission ١٩٧٤ / ٨ / ١٢ تاريخ الإصدار

Nom du titulaire .... دكتور اسم صاحب الجواز

يحيى أمين المشد

Dr. / Yahia Amin El Meshad

(Nom de l'épouse) (اسم الزوجة)

Au nom du Ministre des Affaires Etrangères, les autorités intéressées sont requises et priées de permettre au porteur de passer en toute liberté et sans entraves et de lui prêter l'aide et la protection dont il pourra avoir besoin.

باسم وزير الخارجية نطلب من جميع المختصين ونرجو أن يسمحوا لحامل هذا الجواز بالمرور مع تذليل أية صعوبة تقوم في سبيله وأن يبذلوا له المعاونة ويحيطوه بالرعاية عند الاقتضاء

Directeur des Passeports ou Consul Général

مدير وثائق السفر أو القنصل العام

حرر بمدينة الإسكندرية في ١٣ من شهر ٨ سنة ١٩٧٤

Fait à Alex. *le* 13 *du mois de* 8. 1974

يشتمل هذا الجواز على ٤٨ صفحة
Ce passeport renferme 48 pages

295133

صورة ضوئية لجواز سفر المشد الذى قتل وهو يحمله

PREFECTURE DE POLICE

DIRECTION
de la
POLICE GENERALE
3 BUREAU

12561

REPUBLIQUE FRANÇAISE

Paris, le 23 JUIN 1980

LAISSEZ-PASSER MORTUAIRE

MORTUARY PERMIT

Toutes les prescriptions légales relatives à la mise en cercueil ayant été observées, le corps de

All legal regulations concerning the placing in a coffin having been complied with, the body of

: Mr Yahia EL MESHAD

décédé le 13.6.80 a Paris 17°-
deceased on the at

par suite de décès de 1ère catégorie
owing to

à l'âge de 47 ans
at the age of years

doit être transporté : par air [X] route [ ] train [ ] bateau [ ]
has to be transported : by air [X] road [ ] rail [ ] boat [ ]

de Paris 17° FRANCE
from

au CAIRE EGYPTE
to

via poste frontière RO1884.
via frontier post

Le transport de ce corps ayant été autorisé, toutes les autorités des pays sur le territoire desquels le transport doit avoir lieu, sont invitées à le laisser passer librement et sans obstacles.

The transport of this body having been allowed, all the authorities of the countries through which the transport will have to go, are requested to let it pass freely and inimpeded.

Vu à ... le 24.6. ...
Le Commissaire Principal
G. MOGA

24-6

Le Directeur de la Police Générale
The Director of General Police

C. COMITI.

تقرير آخر للبوليس الفرنسى عن الحادث .

A T T T E S T A T I O N (1)

Nom et adresse de l'Entreprise ayant procédé à la mise en bière : ....
.... [illegible] ....
.... 3, rue Mesnil 75116-PARIS ....

Attestation relative au transport par avion de la dépouille mortelle de :

Monsieur [illegible] ....

Vol AF N° [illegible] 7?? ..... du [illegible] 25 Juin de .. PARIS ..... à LE CAIRE ...

LTA N° [illegible] ....

L'Entreprise soussignée déclare que le corps :

. est inhumé depuis plus de 5 ans (2)
. est inhumé depuis moins de 5 ans et

certifie s'être conformée tant aux règlements officiels qu'aux règlements AIR FRANCE (voir au verso) et que toutes précautions ont été prises pour que la qualité de la soudure [illegible] au cercueil une étanchéité parfaite. En outre, le cercueil est muni d'un appareil épurateur-décompressant agréé (voir au verso).

Lieu et date Paris, le 24 Juin 1980 ...

SIGNATURE

POMPES FUNEBRES REUNIES
H. de BORNIOL-LAMY-TROUVAIN
3, Rue Mesnil, 75116 PARIS
727-43-61 - 704-65-22

(1) à établir en 2 exemplaires
(2) rayer la mention inutile

24-6-80

□ بوليصة شحن جثمان المشد قتيلاً إلى القاهرة

الجمهورية العراقية
REPUBLIC OF IRAQ

IRAQI ATOMIC ENERGY COMMISSION
Tuwaitna Baghdad
P. O. Box 765

منظمة الطاقة الذرية العراقيــة
التويثة ــ بغداد
ص . ب ٧٦٥



Department ....

Ref. ....

Date ....

دائـرة الشـؤون الاداريـة

العـدد ٩٤٦٢/١/٤

التاريخ ٧/٨/٢

السيدة زنوبــه علي الخشـالــي

حرم المرحوم الدكتوريحيى امين المشـــــ

م/ شكر وتقدير

نقدم لك شكرنا لاهدائك بعض الكتب العلمية الى مكتبــــة

المنظمة متمنين لك التوفيقـه • مع التقديـــــر•

جاسم محمد اسعيد

ع• مسؤولة المكتبة الفنيـــــة

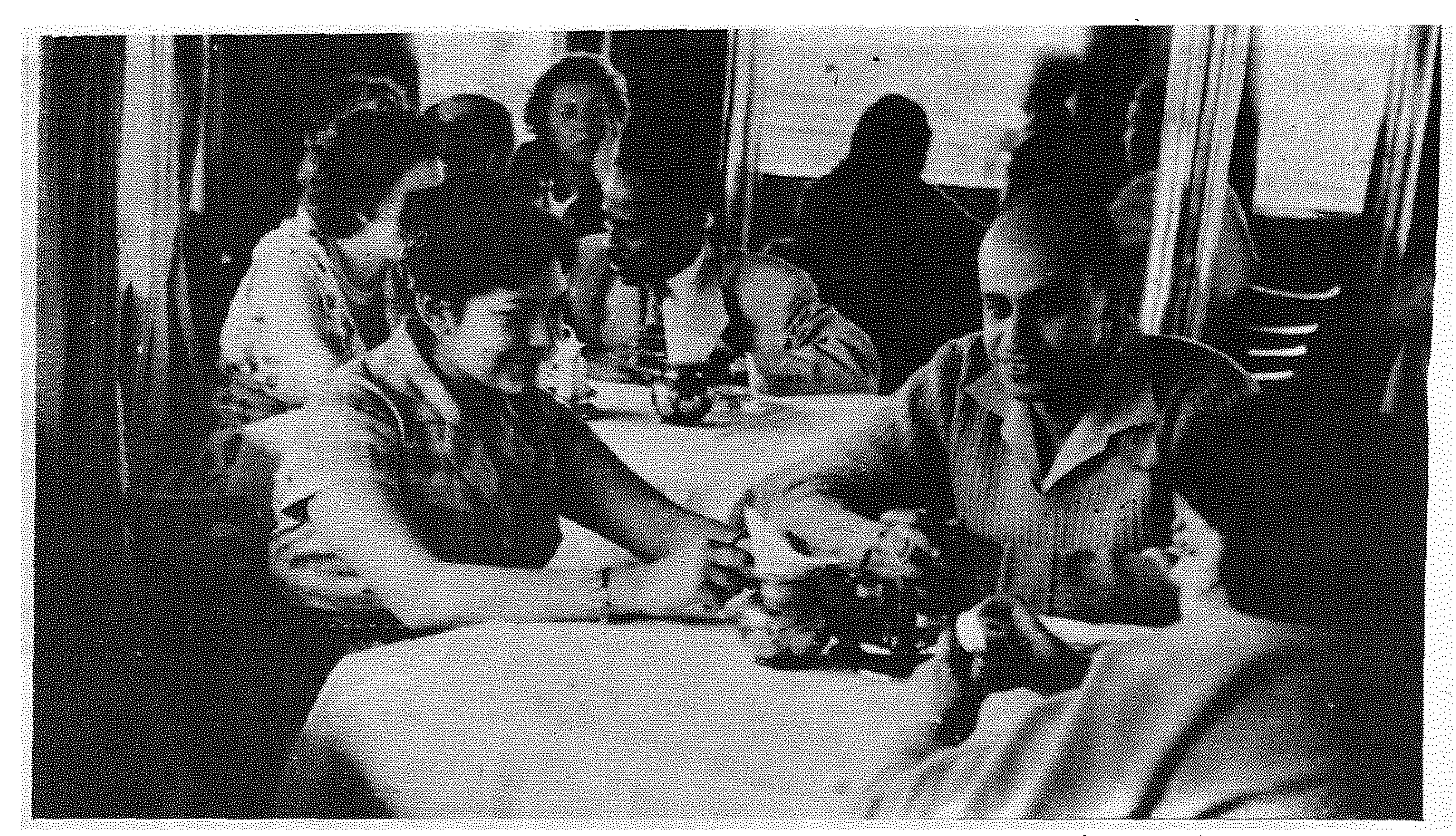
نسخة منه الى •
المكتبــة الفنيـــــــة

اضبارة المرحوم الدكتور يحى امين المشد / مع الاوليات

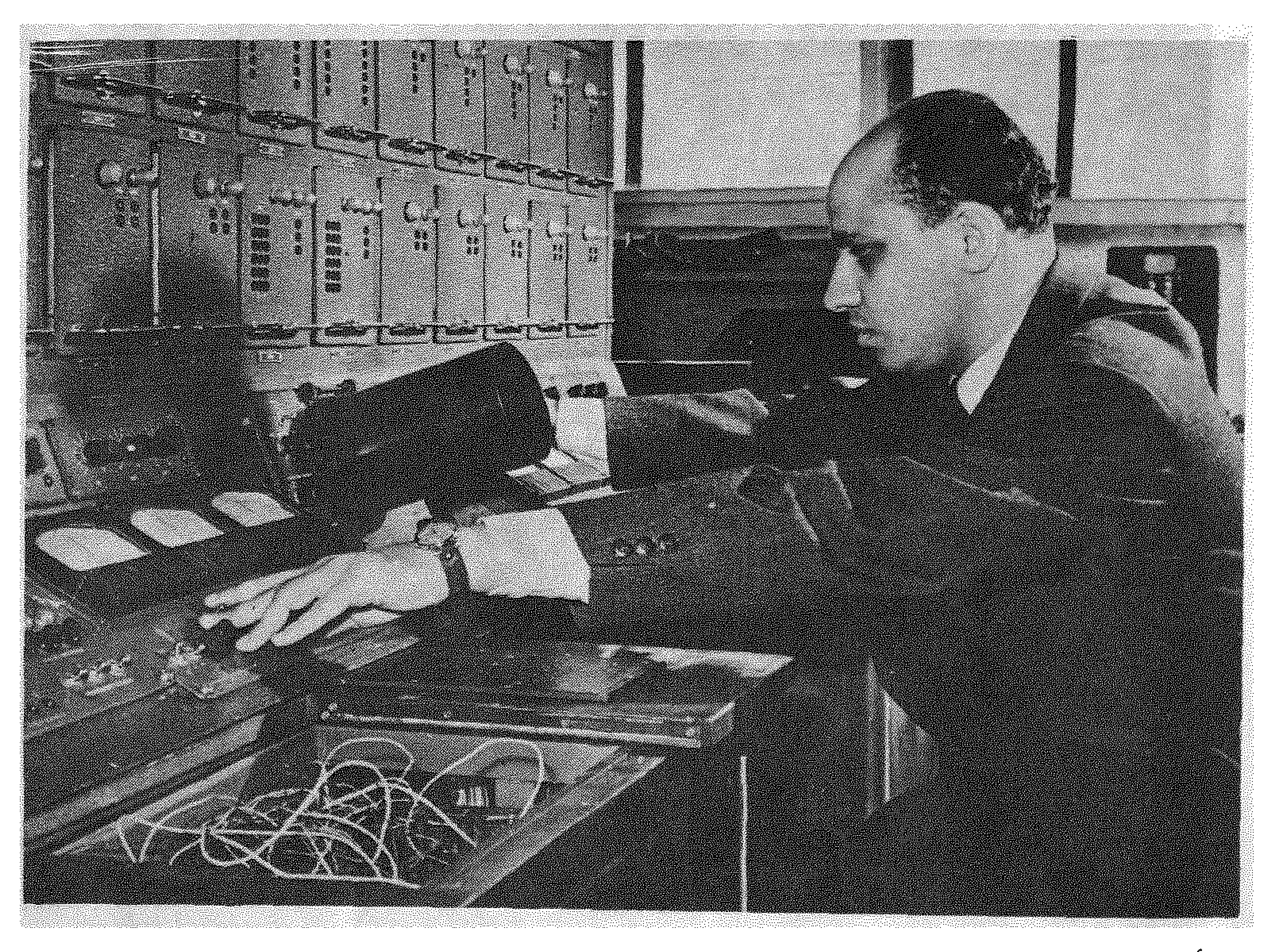
Cable : IRATOM - Baghdad
Tel. 8873481
Telex 2312 2180 ATOM IK

العنوان البرقي : ايراتوم ــ بغــداد
هاتف ٨٨٧٣٤٨١
تلكس ٢٣١٢ ٢١٨٠

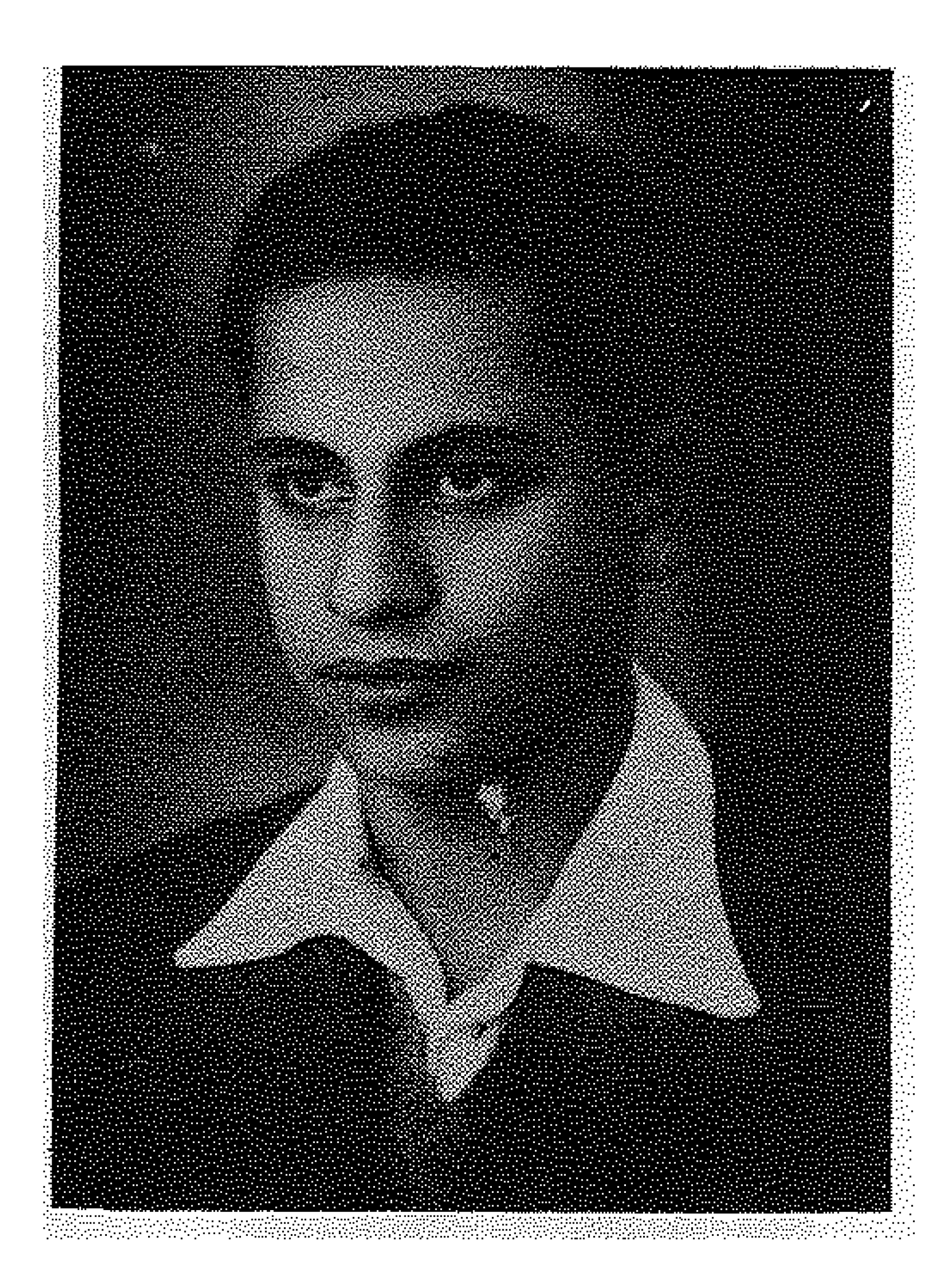
خطاب شكر لزوجة المشد على تبرعها بمكتبته العلمية لمنظمة الطاقة الذرية العراقية .



مع زوجته فى شهر العسل .



□ أمام المفاعل النووى .



□ صورة نادرة للدكتور المشد وهو طالب ثانوى .

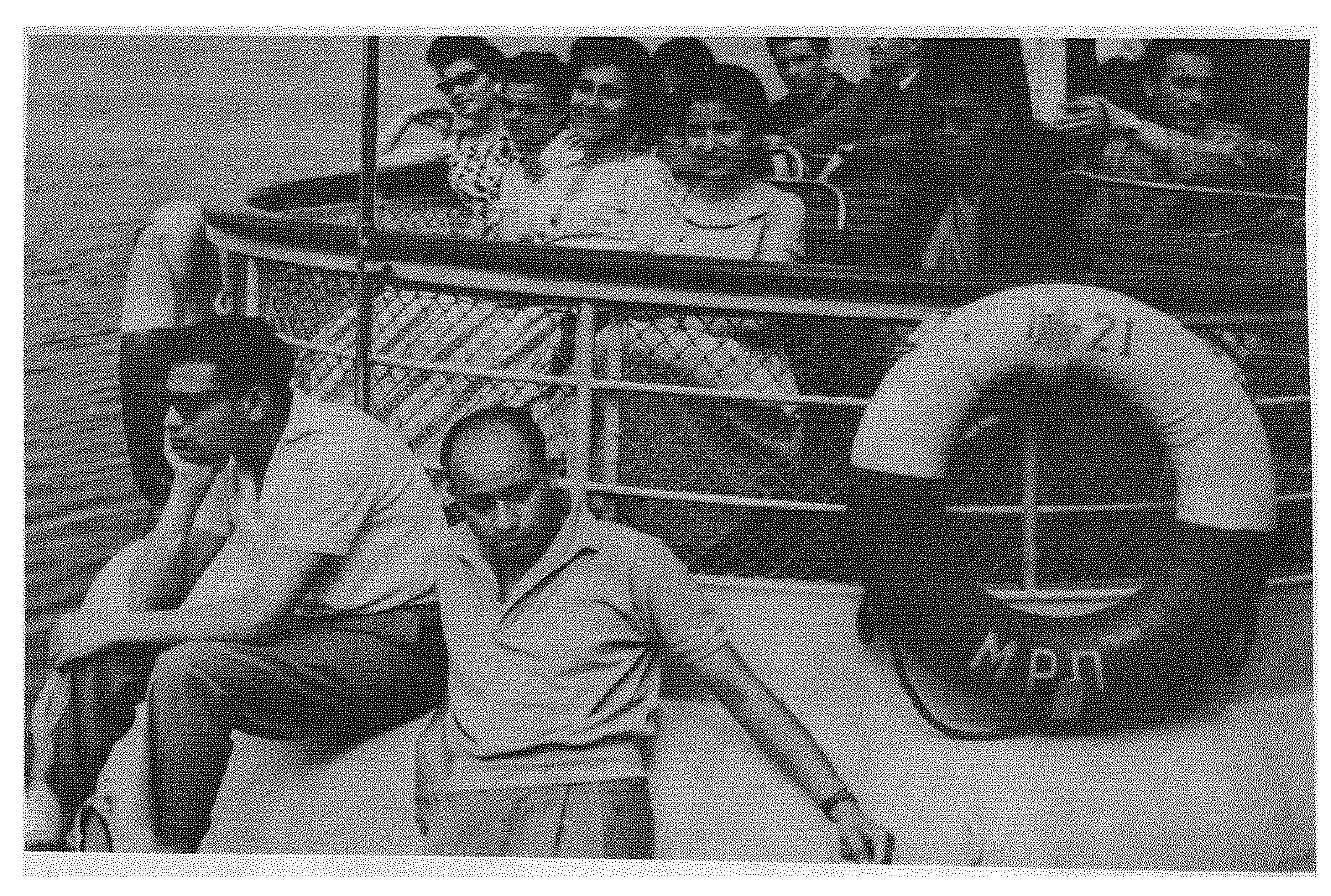


□ صورة عائلية لأسرة المشد .

□ المشد (أقصى اليمين أعلى الصورة) فى مؤتمر دولى للذرة .



□ فى موسكو مع المشرف على رسالته العلمية فى الوقود النووى .



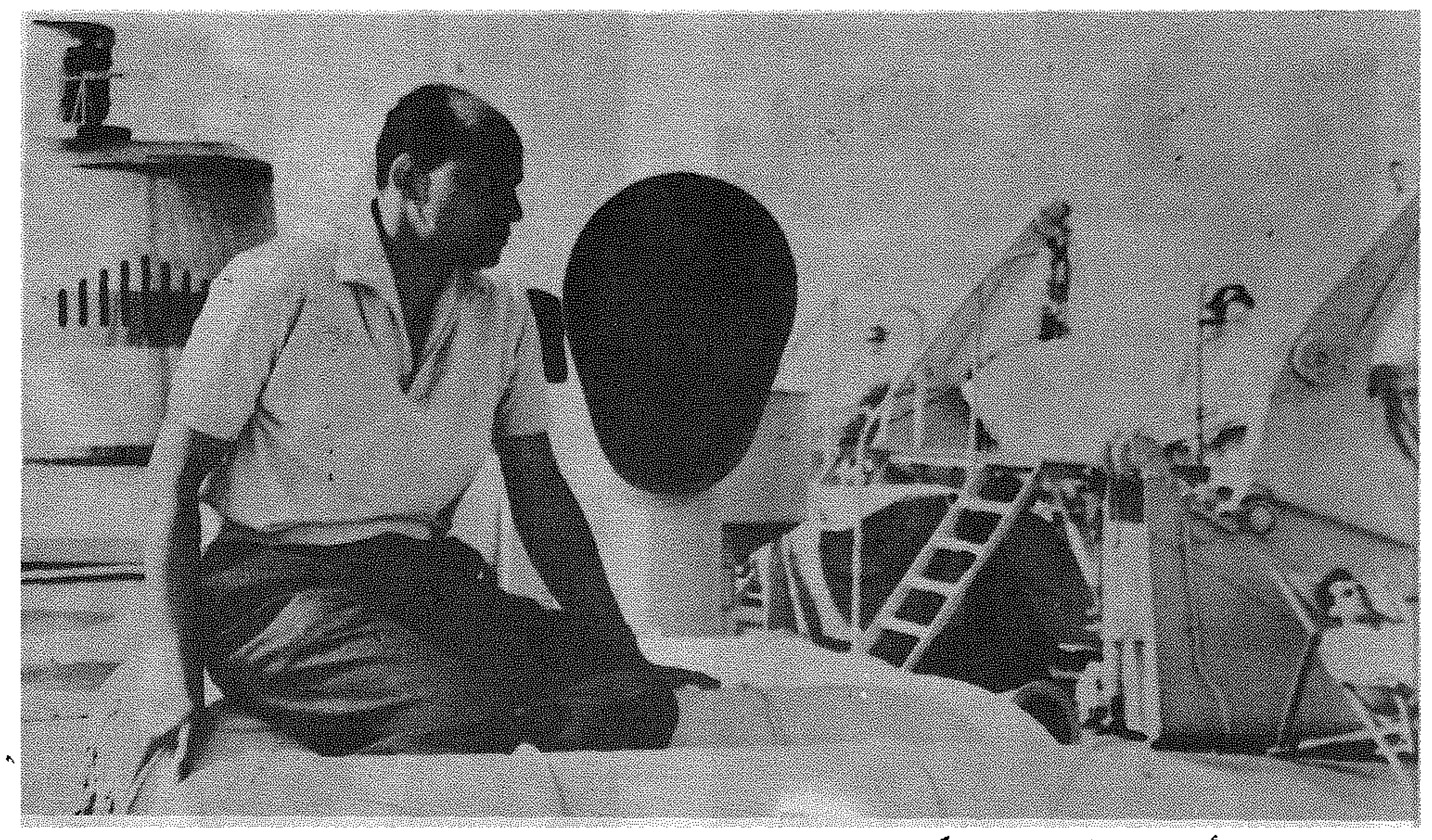
□ فى رحلة مع جامعة الإسكندرية .



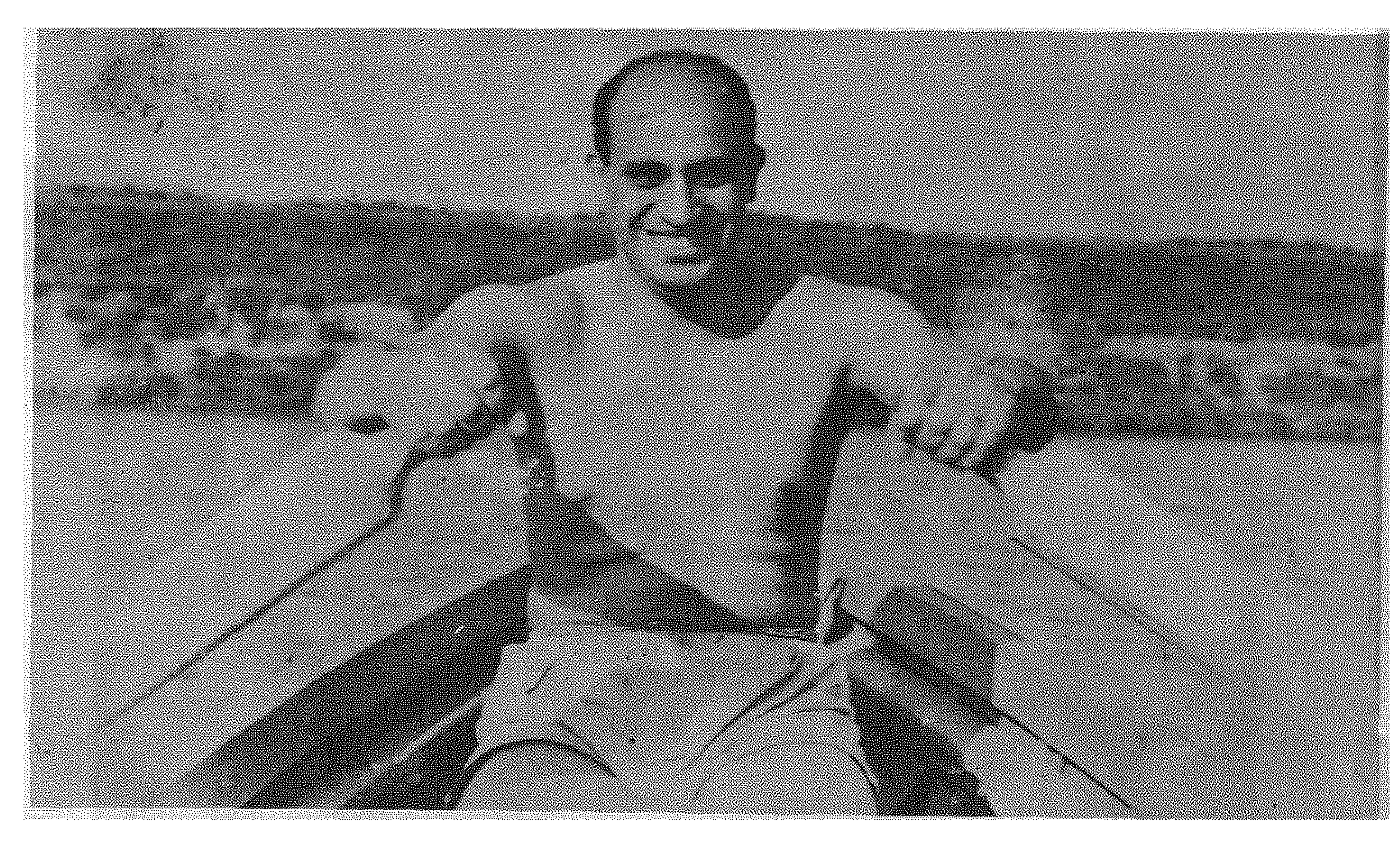
□ فى معرض للكتب العلمية بروسيا .



فى نادى الطلبة العرب بموسكو .



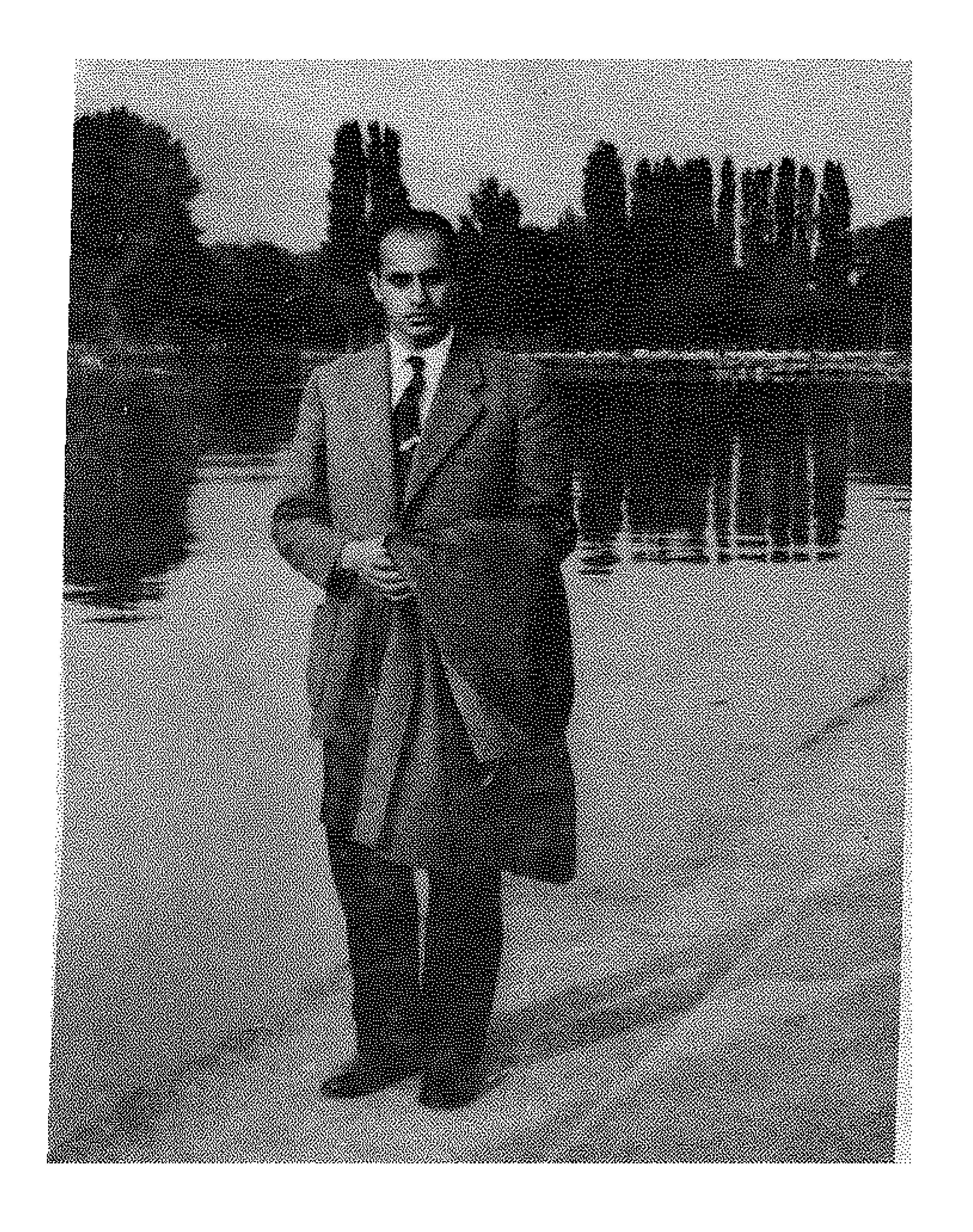
□ عائدا إلى أرض الوطن من موسكو .



صورة نادرة للمشد وهو يجدف فى النيل .



▫ صورة تذكارية مع شقيقه وأعز أصحابه



▫ فى لندن اثناء استراحة من مؤتمر علمى



▫ مع والده وزوجته وابنته .

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩/٨٧٧٠

تم الجمع التصويرى والتصحيح اللغوى والتجهيز الفيلمى
بالـــدار العربيـــة للطباعة والنشر والتوزيـع
١١ شـــارع مدكـور متفـرع مـن شارع المـروة
غـرب نـادى الصيـد ـــ الدقـــى ـــ القاهـرة
ت : ٣٤٨١٠٦٨ ـــ الرقم البريدى ١٢٣١١

مطابع الأهرام بكورنيش النيل

هذا الكتاب ...

منذ تسع سنوات اغتيل فى باريس عالم الذرة المصرى النابغة يحيى المشد ... ساهمت إحدى فتيات الليل فى التخلص منه ثم قتلت هى الأخرى . وخلال تلك السنوات والكاتب الصحفى عادل حمودة يفتش فى وثائق هذه القضية ، ويجمع أسرارها ، ويحاور شهود العيان ، حتى اكتملت الرواية ... تم كشف الفاعل .



... المفاعل العراقى

... بل راح يغوص فى أعماق عمليات المخابرات الإسرائيلية ... الشرق الأوسط .

... المفاعل النووى العراقى مرتين ؟

... الناصر بتصنيع قنبلة ذرية مصرية ؟

... الإسرائيلية للاستيلاء على شحنه الماء الثقيل من ... لإحدى الناقلات البحرية التى كانت على متنها تلك ...

... موسى ... من علماء الذرة المصريين ؟

وأسرار أخرى تجمع بين ... والخبرة يكشفها هذا الكتاب الذى يستحق الاقتناء !

الناشر

الناشر دار سفنكس للطباعة والنشر والتوزيع

مطابع الأهرام بكورنيش النيل


Bibliotheca Alexandrina
1523081